صيدا
ودورها
فى الصراع الصليبى الاسلامى

دكتور
أسامه زكى زيد
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية التربية - جامعة طنطا

تقديم

دكتور جوزيف نسيم يوسف
استاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨١



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الاسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ أسمت محمود غنيم
الاسكندرية

صيدا

ودورها
فى الصراع الصليبى الاسلامى

دكتور

أسامة زكي زيد

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية التربية - جامعة طنطا

تقديم

دكتور جوزيف نسيم يوسف

استاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٩٨٠



الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل ربي زدني علما

صدق الله العظيم

محتويات الكتاب

الفصل الأول

رقم الصفحة

و ١١٠٧م ـ حصار الصليبيين للمدينة عام ١١٠٨ م / ٥٠١ هـ ، وأثر ذلك على كل من دمشق والقاهرة ـ سقوط صيدا فى أيدى الصليبيين عام ١١١٠م/٥٠٤هـ ، وتأسيس بارونية بها ـ أوضاع صيدا الداخلية فى ظل الحكم الصليبي لها : علاقة بارونات المدينة بالسكان الأصليين ـ واجباتهم تجاه ملك مملكة بيت المقدس ـ واجباتهم تجاه أتباعهم من الفرنج ـ طباع الفرنجة وعاداتهم فى صيدا ـ التنظيمات القضائيه بالبارونية ـ الوضع الاقتصادى بها .

الفصل الثاني

فترة الحكم الصليبى الاولى للبارونية ١١٧ - ١٧٢

صيدا فى ظل اسرة يوستاش جارنييه

(١١١٠ - ١١٨٧م / ٥٠٤ - ٥٨٣هـ)

دور يوستاش جارنييه أول بارونات صيدا فى حصار صور عام ١١١١م / ٥٠٥هـ ، وانعكاساته على موقف دمشق ـ اشتراك صيدا فى هجوم الصليبيين على نواحي دمشق عام ١١١١ م / ٥٠٥هـ ، وانعكاساته على موقف دمشق ـ اشتراك صيدا فى هجوم الصليبيين على نواحى دمشق عام ١١٢١م / ٥١٥ هـ ، ونتائجه ـ إختيار يوستاش جارنييه نائبا لمملكة بيت المقدس أثناء غياب ملكها فى الأسر ، وأثره على المسلمين فى المنطقة ـ جيرارد بن يوستاش وتدعيم نفوذه فى البارونية (١١٢٤ - ١١٥٤م / ٥١٨ - ٥٤٩هـ) ـ تبادل الهجمات والاشتباكات بين افرنج

رقم الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

تقديم

تخصص الدكتور أسامة زكى زيد مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية بجامعة طنطا فى عصر الحروب الصليبية ، وعلى وجه التحديد ، فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب أثناء الصراع الصليبي الاسلامى . اذا أخذ يعمل فى هذا المجال بهمة وحماسة السنوات الطوال من الدراسة المتصلة المضنية . وقد واسعدنى ان اقدم باكورة انتاجه إلى القارىء العربى الكريم ، والخاص بالعلاقات بين الصليبيين واسماعيلية الشام فى القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) . ويضاعف من سعادتى اليوم ان اقدم ، فى هـذه الكلمه السريعة ، كتابه الثانى المعنون « بارونية صيـدا وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الادنى فى عصر الحروب الصليبية » .

وهذا الكتاب ، الذى بين ايدينا ، يعالج زاوية هامـة من زوايا الحروب الصليبية . فعلى الرغم من كثرة ما كتب فيها بمختلف اللغات ، الا أن الكثير من جوانبها لايزال حتى اليوم ، بحاجة إلى المزيـد من الدراسة والبحث . وكتاب الدكتور اسامة زيد يتناول احد هذه الجوانب الهامة الجديدة . وهو ينقسم إلى خمسة فصول ، تسبقها مقدمة ودراسة تحليلية نقدية لمصادر البحث ومراجعه ، ويآخرها خاتمة وستة ملاحق وقائمة المصادر والمراجع التى استقى منها مادته العلمية .

وفى المقدمة كشف عن أهمية الموضوع وجدته ، وأعقب ذلك بـدراسة تحليلية نقدية لمصادر الكتاب ومنابعه ، من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة . وتدل هذه الدراسة على ان المؤلف تعامل ، فى المرتبة الاولى ، مع المجموعات الاساسية التى تضمنت المصادر الاصلية الاجنبية للحركة الصليبية ، وانه رجع

إلى عشرات المصادر التى تزخربها هذه المجموعة ، من لاتينية وفرنسية قديمة ويونانية قديمة ، معظمها لايزال بلغته الاصلية التى دون بها ، وقليل منها نقل إلى اللغات الاوربيه الحديثة كالانجليزية والفرنسية . هذا إلى جانب عشرات المصادر العربية ، بعضها لايزال مخطوطا لم ير النور بعد ، بينما نشر البعض الآخر نشرا علميا محققاً . وعن طريق المقارنات والموازنات التاريخية بين هذه المنابع والاصول ، نجح المؤلف فى عرض موضوعه عرضا متسقاً مسلسلا ، بأسلوب سليم ، ومنهج صحيح ، يتسم بالدقة والموضوعية . وكانت الثمرة هذه الدراسة القيمة التي تناولت تاريخ احدى البارونيات الصليبية على الساحل الشامى ، وهى بارونية صيدا ، التى كانت مملكة بيت المقدس اللاتينية فى فلسطين ، مع تقييم علاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى الشرق الادنى ، منذ ان استولى الفرنج عليها سنة ١١١٠ م (٥٠٤ هـ) أيام الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى ، إلى ان استعادها المسلمون منهم بصفة نهائيـــة سنة ١٢٩١ م (٦٩٠ هـ) فى عهد السلطان المملوكى الاشراف خليل .

لقد عالج هذا كله فى فصول الكتاب الخمسة . ففى الفصل الأول وعنوانه « استيلاء الصليبيين على صيدا وتأسيس بارونية صليبية بها (١١١٠م / ٥٠٤هـ) » ، استعرض احوال المدينة اثناء تبعيتها للخلافة الفاطمية قبل قيام الحملة الصليبية الاولى ، واشار إلى النتائج التى ترتبت على قيام الحملة الاولى من حيث تأسيس الامارات الصليبية الاربع فى الارض المقدسة ، واتجاه انظار اللاتين نحو صيدا إعتباراً من عام ١٠٩٩ م (٤٩٢ هـ) لموقعها الجغرافى والاستراتيجى الممتاز على الحوض الشرقى للبحر المتوسط ، مما جعلها مطمعا للغزاة . ثم تحدث عن محاولاتهم العديدة للاستيلاء عليها ، إلى ان انتهى الامر بسقوطها فى أيديهم عام ١١١٠ م (٥٠٤ هـ) وتأسيس بارونية بها.

وجعل عنوان الفصل الثانى « فترة الحكم الصليبى الاولى لبارونية صيدا فى ظل اسرة يوستاش جارنيه (١١١٠ – ١١٨٧ م / ٥٠٤ – ٥٨٣ هـ) » واشار فيه إلى المحاولات العديدة التى بذلتها البارونية لتدعيم نفوذها فى جميع انحاء مملكة بيت المقدس اللاتينية ، والعمل على إعلاء شأنها على باقى المدن الصليبية الإخرى ، واثر ذلك على علاقاتها بالمسلمين . واشار فى ختام الفصل إلى حركة اليقظة الإسلامية التى شهدتها المنطقة فى القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) لمواجهة الخطر الصليبى ، مع التركيز على موقف بارونية صيدا من هذه التطورات ، إلى ان انتهى الامر باستيلاء المسلمين على المدينة عام ١١٨٧ م (٥٨٣ هـ) بعد ان ظلت فى قبضة اللاتين حوالى ثلاثة ارباع القرن ، وفى وقت اعتدل فيه ميزان القوى بين الطرفين المتصارعين.

وفى الفصل الثالث وعنوانه « صيدا بين الصليبيين والمسلمين (١١٨٧ – ١٢٢٧ م / ٥٨٣ – ٦٢٤ هـ) » ، تحدث المؤلف عن استيلاء صلاح الدين الايوبى على أحد الحصون الهامة التابعة لبارونية صيدا ، وهو حصن شقيف ارنون . وأوضح ان المصالح الخاصة والمنافع الذاتية لدى الصليبيين كانت فوق أى اعتبار آخر ، وبين ايضا ان المدينة منذ استيلاء صلاح الدين عليها وحتى سنة ١٢٢٧ م (٦٢٤ هـ) ، كانت تتأرجح بين الصليبيين والمسلمين فتارة يستولى عليها الفرنج ، وتارة يستحوذ عليها المسلمون ، وثالثة تحكم مناصفة بين الطرفين ، وذلك وفقا لمقتضيات الظروف والاحوال فى المنطقة ، مما يكشف عن مدى ادراك كل من المسلمين والصليبيين لأهمية صيدا فى الصراع السياسى الدائر بينها . واشار المؤلف فى الفصل الرابع وعنوانه « فترة الحكم الصليبى الثانية للبارونية (١٢٢٧ – ١٢٦١ م / ٦٢٤ – ٦٦٠ هـ) الى بعض القضايا الهامة واثرها على الاوضاع السائدة فى المنطقة . ومن

بينما الحملة الصليبية السادسة بقيادة الامبراطور الالماني فريدريك الثاني ونجاحها في الاستيلاء على صيدا عام ١٢٢٧ م (٦٢٤ هـ)، والمجهودات التي بذلتها اسرة جارنيه الحاكمة لتحصينها وتعزيز استحكاماتها ، وجهود لويس التاسع ملك فرنسا في وسط القرن الثالث عشر الميلادي (اواسط القرن السابع الهجري) في سبيل تجديد اسوارها ، واثر ذلك على الابقاء على البارونية وعدم سقوطها مبكرا في قبضة المسلمين ، في وقت أصبح فيه مركز الثقل يميل بقـــوة إلى الجانب الاسلامي ، بينما أخـــذ الكيان اللاتيني في الشرق الأدنى في التداعي والانهيار . واختتم الفصل بتحليل الظروف التي دفعت بآخر افراد اسرة جارنييه الحاكمة إلى التنازل عن صيدا عام ١٢٦١ م (٦٦٠ هـ) لجماعة الفرسان الداوية، وما ترتب على ذلك من آثار .

اما الفصل الخامس والاخيرة وعنوانه « اضمحلال بارونيه صيدا وسقوطها في عصر دولة المماليك الاولى (١٢٦١ - ١٢٩١ م / ٦٦٠ - ٦٩٠ هـ) » فقد عالج فيه احوال البارونية اثناء حكم الفرسان الداوية لها ،مع تحليل دقيق لعوامل انحلالها وانهيارها في الوقت الذى كان فيه مماليك مصر يستعدون لتوجيه الضربة الأخيرة اليها . وقد تم ذلك في عهد السلطان الاشراف خليل الذي استولى على صيـدا بصفة نهائية سنة ١٢٩١ م (٦٩٠ هـ) ، في نفس الوقت الذي كانت تتساقط فيه تباعا بقية القلاع والمعاقل اللاتينية على امتداد الساحل الشامي معلنة نهاية عهد الحروب الصليبية . وتضمنت خاتمة الكتاب تقييماعاما لطبيعة العلاقات التي قامت بين البارونية في ظل حكم اللاتين لها و بين المسلمين في الشرق الادنى ، مع تحديد الأراء والأفكار التي توصل المؤلف اليها من وراء هذه الدراسة القيمة التي تتميز بالعمق والاصابة .

لقد تصدى الدكتور أسامة زيد – في هذه الحقيقة لموضوع جديد لم يظهر

فيه من قبل ، سواء في الشرق أو الغرب ، كتاب علمي مستقل يلم بكل اطرافه وزواياه، من مختلف المصادر والاصول ، من عربية وغير عربية . و كل ما هناك فصل أو بعض فصل ، أو نتف وشذرات مبعثرة هنا وهناك في المراجع الحديثة المتخصصة ، وهي لا تعطي صورة محايدة متكاملة عنه . لذا يعتبر كتاب الدكتور أسامة زيد اول دراسة علمية قائمة بذاتها في هـذا الموضوع الهام ، تجمع بين العلم بأصوله العربية والاجنبية على حد سواء ، سعيا وراء الحقيقة التاريخية المطلقة .

وأخيراً ، لكي ندرك أهمية صيـدا بالنسبة لكل من المسلمين والصليبيين وقتها ، وبالتالي أهمية موضوع هـذا الكتاب ، يكفي القول بأن صيـدا كانت المدينة التي حاول اللاتين بكل السبل والوسائل الاحتفاظ بها تحت سيطرتهم اطول فترة ممكنة أثناء وجودهم في الاراضي المقدسة ، الذي دام قرابة مائتي عام كما أنهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها الا بعد مضي عدة سنوات من انتهاء الحملة الصليبية الاولى ، وبعد محاولات عديدة . فقد استولى عليها سنة ١١١٠م ، ولم يتمكن المسلمون من استعادتها منهم بصفة اخيرة الا في سنة ١٢٩١ م ، وهي السنة التي تختتم بها الحروب الصليبية الكبيرة صفحتها . وفي زحمة هـذا الصراع السياسي العنيف بين الجانبين الصليبي والاسلامي ، وهو في ذات الوقت صراع بين جنسين مختلفين وبين حضارتين متباينتين ، لعبت صيدا دورا خطيرا ، كان من أهم آثاره، إلى جانب عوامل أخري متعددة متفاوتة التأثير، الابقاء على الكيان اللاتيني المتداعي في الارض المقدسة ، قرابة نصف قرن ، إلى أن تمكن الاشراف خليل من توجيه ضربته القاضيـة اليها في أخريات القرن الثالث عشر الميلادي (آواخر القرن السابع الهجري)، بأعتبارها من أهم وأقوى معاقل اللاتين المتبقية لهم على الساحل الشامي . ويمكن القول ، دون

مغالاة ، انه لولا هذه البارونية والدور الذى قامت به، لربما كانت دولة اللاتين في الارضى المقدسة قد سقطت في قبضة المسلمين قبل استيلاء الاشرف خليل بحوالي خمسين عاما .

لكل هذا ، يعتبر كتاب الدكتور أسامة زكى زيد ، إثراءاً للمكتبه التاريخية ، وأضافة جديدة قيمة إلى مكتبة تاريخ الحروب الصليبية ؟

الاسكندرية في ١٧ سبتمبر ١٩٨٠

دكتور جوزيف نسيم يوسف
أستاذ تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب — جامعة الاسكندرية

مقدمة المؤلف

موضوع البحث : أهميته ومكانه في تاريخ الحركة الصليبية — تعميم لفظ الفرنج أو « الفرنجة » ، فى بعض المصادر القديمة ، على الصليبيين بالشام ، ومن بينهم اللاتين في صيدا — صيدا : موقعها وجغرافيتها وطبوغرافيتها واسمها واشتقاقه ، كما عبر عن ذلك كتاب المسالك والممالك والرحالة والجغرافيون العرب والأجانب — أوضاع العالمين الإسلامي والمسيحي حتى محاولات استيلاء الفرنج على صيدا أثناء الحملة الصليبية الأولى وبعدها . الناحية المنهجية فى الموضوع .

شهدت العصور الوسطى التي اقتطعت من تاريخ البشرية حوالى عشرة قرون من الزمان ، الكثير من الظواهر التاريخية الهامة ، العديد من الأنتفاضات الخطيرة التى اهتز لها كيان العالم آنذاك . وتعتبر الحروب الصليبية التى اشتد فيها الصراع بين كل الغرب اللاتينى والشرق الأدنى الاسلامى طوال قرنين من الزمان ، من أبرز حركات التاريخ الوسيط . إذ تركت آثارها وبصماتها على مجرى سير الأحداث ليس فقط حتى نهاية العصور الوسطى ، وانما بشكل أو بآخر حتى يومنا هذا .

ومن حسن الحظ أن المكتبة التاريخية عامرة بالوثائق والأصول المتعلقة بالحركة الصليبية ، التى خلفها كتاب ومؤرخون عاصروا مختلف مراحلها ، وبينهم من شاركوا فى وقائعها وأحداثها ودونوا مشاهداتهم فى كتب ومؤلفات لاتزال باقية إلى اليوم تروى قصة قرون عديدة خلت . وقد تعددت منابع هذه الحركة ، فمنها ما هو مدون باللغات الأوربية القديمة كاللاتينية أو الفرنسية القديمة أو اليونانية القديمة ، ومنها ما هو باللغة الأرمنية ، ومنها ما هو مكتوب باللغة العربية . وجانب كبير من المصادر الأجنبية نشر نشرا علميا محققا ومترجم إلى اللغات الأوروبية الحديثة كالانجليزية والفرنسية والألمانية ، وقليل لايزال بلغته الأصلية التى دون بها . أما المصادر العربية فجانب كبير منها لايزال خطيا لم ير النور بعد ، وبعضها منشور ومحقق .

من هنا لايجد الباحث فى هذا الموضوع الحيوى أية صعوبة فالمادة متوفرة وفى متناول اليد . وجوانب الموضوع وزواياه عديدة متعددة لاتزال بحاجة ، على الرغم من كثرة ما كتب فيه ، إلى مزيد من الدراسات الدقيقة المتخصصة . ويلاحظ بصفة عامة أن المدن التى استولى عليها الصليبيون ، وبخاصة تلك التى توجد على امتداد الساحل الشامى ، وأسسوا بها دوقيات أو بارونيات مستقلة

أو تابعة لاماراتهم فى الرها وانطاكية وطرابلس أو تابعة للمملكة التي أسسوها فى بيت المقدس ، يلاحظ أنها لم تنل حظها الكافي من الدراسة المستقلة المتكاملة. فكثير منها لم يدرس بعد دراسة علمية قائمة بذاتها ، وقليل منها وردت الاشارة اليه عرضا أو بصورة سريعة في المؤلفات العامة عن الحروب الصليبية أو فى البحوث والمقالات المنشورة في مختلف المجلات والدوريات العلميـة التي عالجت ناحية من نواحي هذه الحروب أو جانبا من جوانبها . وما أكثر قضاياها ومشاكلها التي لا تزال بحاجة إلى الاستقصاء بهدف استجلاء غوامضها .

من هذا المنطلق وقع اختيارنا على موضوع البحث الذى جعلنـا عنوانه « بارونية صيدا وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى فى عصر الحروب الصليبيه » ، عساه أن يسد فجوة فى مكتبة الحروب الصليبية بصفة خاصة ، وفى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بوجه عام ، إلى جانب الدراسات الجادة القيمة التي ظهرت فى هذا الميدان الواسع الفسيح . والحدود الزمنية للموضوع تشغل الفترة الممتدة من بدايات القرن الثانى عشر حتى آواخر القرن الثالث عشر الميـلادى (من بدايات القرن السادس حتى آواخر القرن السابع الهجرى) . وهى على وجه التحديد من سنة ١١١٠ م (٥٠٤ هـ) عندما استولى الصليبيون على مدينة صيـدا فى أعقاب الحرب الصليبية الأولى وأسسوا بها بارونية كبيرة تابعة لملكة بيت المقدس اللاتينية ، وتنتهى عام ١٢٩١ م (٦٩٠ هـ) عندما تمكن السلطان المملوكى الاشرف خليل من استعادة صيدا إلى حظيرة الاسلام بشكل نهائى وحاسم . وكانت هنـاك حصون وقلاع تابعة لبارونية صيدا أثناء فترات الحكم الصليبي لها ، من أهمها حصن شقيف أرنون المنيع الذى يتميز بموقعه الاستراتيجى . لذا كان المسلمون بعد بقطعهم فى بواكير القرن السادس الهجرى (بدايات القرن الثانى عشر

الميلادى) يسعون دائما إلى سلخة عن الكيان الصليبى وضمه إلى ملكهم ؛ الأمر الذى زاد من حدة الصراع بين الطرفين .

على أية حال ، ترجع أهمية العلاقات بين بارونية صيدا وبين جيرانها المسلمين فى الشرق الأدنى ، إلى أنها تلقى مزيد من الضوء على فترة هامة ودقيقة فى تاريخ الحركة الصليبية نفسها بصفة عامة وفى تاريخ الشام آنذاك على وجه الخصوص .

ومن بين أسباب قصر دراستنا على الجانب السياسى فى هذه العلاقات دون النواحى الأخرى من اقتصادية واجتماعية وثقافية وغيرها ، أن المادة التى عثرنا عليها واستقيناها من بطون المنابع والأصول تكفى لعمل بحث متكامل فى هذا الشأن . هذا ، بالاضافة إلى أن تلك المنابع والأصول نفسها لم تتعرض للنواحى الأخرى إلا عرضا وفى اسطر معدودات ، وكثير منها أغفلها اغفالا يكاد أن يكون تاما .

وعلى هذا يلاحظ أن المكتبة التاريخية تفتقر إلى بحث مستقل قائم بذاته يتناول أحداث هذه العلاقات بشىء من التحليل والتفصيل ، ويضم شتات أخبارها وأحوالها من واقع ماجاء عنها فى جوف التواريخ العربية والأفرنجية . والمعروف أن هذا الموضوع لم يلق العناية الكافية من المؤرخين القدامى والحديثين فى الشرق والغرب على السواء . وكل ماكتب فيه مجرد نتف وشذرات مبعثرة هنا وهناك فى مختلف المراجع من عربية وغير عربية لاتصلح أساسا لدراسة علمية دقيقة محققة ، وذلك بأستثناء المؤلف القيم الذى كتبه الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم تحت عنوان « دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى » والذى افدنا منه كثير . ونظرا لأن هذه الدراسة العلمية تناولت تاريخ صيدا طوال العصر الاسلامى الذى شكل بضع مئات من

المسلمين ، كان طبيعيا أن تشغل فترة الاحتلال الصليبي للمدينة جزءا ضيقا من الكتاب لتكون حلقة الوصل بين مختلف العصور الاسلامية . وهنـاك أيضا كتاب باسم « تاريخ مدينة صيـدا » لأحمد عارف الزين ، وهو لا يتعرض للعلاقات بين الصليبيين الموجودين فى صيدا و بين مسلمى الشرق الأدنى ، لأنه ركز دراسته على السرد العام لتاريخ المدينة منذ القدم حتى العصر الحديث مارا بمرحلة العصور الوسطى مر الكرام . ولم نصادف غير ذلك بحثا قائما يمس الموضوع مسا مباشرا ووافيا من كافة جوانبه .

ولعل سبب عدم اقبال المؤرخين المسلمين القدامى على كتابة بحث مستقل عن هذه المدينة أو غيرها من سائر المدن الصليبية الواقعة على الساحل الشامى فى عصر الحروب الصليبية ، أنه لم يكن يعنيهم أن يضعوا تاريخا محصورا يبين ماهية هذه العلاقات بين الجانبين الصليبي والاسلامى ، وانما انصرفوا إلى التدوين العام لما يجرى من وقائع وأحداث سنة بعد الأخرى على غرار الحوليات المعروف . أما الكتاب اللاتين القدامى وغـيرهم من الأجانب كالأرمن والبيزنطيين ممن عاصروا الحركة الصليبية وشاهدوا أحداثها وشارك بعضهم فى معاركها ، فعلى الرغم من أنهم خلفوا لنا كتبا ومؤلفـات مستقلة عن هذه الحركة ومختلف مراحلها ، إلا أن صيدا لم تظفر بمؤلف قائم بذاته . واكتفى بعضهم بالاشارة إلى البارونية التى أسسوها فى صيدا وعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين فى ثنايا تآليفهم عن الحملات الصليبية المتتابعة التى تعرض لهـا الشرق الأدنى الإسلامى .

من هنا ، كان لزاما علينا الالمـام بكل ما ورد عن هـذه البارونية فى شتى المصادر والأصول من عربية وأجنبية ، بحيث لا يكون اعتمادنا على شق واحد من شقي البحث ، وانما التعرف على وجهتى النظر الإسلامية والمسيحية بالمقارنات

والموازنات التاريخية بغية إعطاء صورة متكاملة للموضوع تجمع بين العلم بأصوله ومنابعه الإسلامية والمسيحية على السواء ، فى نظرة موضوعية محايدة منزهة .

وجدير بالذكر ، أن تاريخ بارونية صيدا مليء بالأحداث والصراعات المتشابكة بين الصليبيين الموجودين بها وبين المسلمين في منطقة الشرق الأدنى . والمقصود بالمسلمين هنا تلك القوى التي تولت زمام الأمور في المنطقة من فاطمية وأيوبية ثم مملوكية في كل من مصر والشام . أما بالنسبة لمسلمي العراق فلم نصادف أثناء جمع مادتنا العلمية مايفيد وجود أية علاقات أو صلات بينهم وبين بارونية صيدا طوال فترة الحروب الصليبية .

وكما ذكرنا امتد الحكم الصليبي لمدينة صيدا فترة طويلة من الزمن . فبعد أن استولى الصليبيون عليها عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ ، أقاموا بها بارونية ظلت بأيديهم حوالى ثلاثة ارباع قرن إلى أن تمكنت قوات صلاح الدين الأيوبى من استعادتها عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ . وبعد ذلك أخذ الحكم في المدينة يتأرجح بين الصليبيين تارة وبين المسلمين تارة أخرى ، وبين حكم المناصفة تارة ثالثة . فقد ظلت ملكا للمسلمين حتى عام ١١٩٨ م / ٥٩٥ هـ إلى أن وافق الملك سيف الدين العادل (أخو صلاح الدين) على مناصفة المدينة بين الصليبيين والمسلمين . واستمر الأمر على هذا الحال حتى عام ١٢٠٤ م / ٦٠٠ هـ عندما أصبح الصليبيون يمتلكون المدينة دون أن يكون للمسلمين أى حق فيها ، وذلك بموجب المعاهدة التى وافق عليها الملك العادل واستمر سريانها حتى عام ١٢١٧ م / ٦٠٤ هـ ولكن عاد بعدها الحكم مناصفة بين الطرفين حتى عام ١٢٢٧ م / ٦٢٤ هـ . إذ تمكن الصليبيون في تلك السنة من الاستيلاء عليها بالقوة . وأقر ذلك الملك الكامل محمد فى المعاهدة التي أبرمها مع الامبراطور فردريك الثاني

عام ١٠٢٩ م / ٦٢٩ هـ إذ تنازل عن النصف الخاص للمسلمين فى المدينة ، وعادت صيدا مرة اخرى بارونية صليبية بحته اعتمر الحكم للصليبيين فيها حتى عام ١٢٥٠ م / ٦٤٧ هـ عندما تمكن المسلمون من انتزاعها من أيدى الصليبيين. ولكن ذلك كان لفترة قصيرة ، فقد تمكن الصليبيون من استعادتها فى ذات العام وظلوا بها حتى تمكن السلطان الأشرف خليل عام ١٢٩٠ م / ٦٩٠ هـ من تخليصها نهائيا من براثن الصليبيين . وأصبحت بعد ذلك مدينة إسلامية لها أهميتها الكبرى بين سائر المدن الإسلامية الأخرى .

ورغم أن مدينة صيدا كانت في وقت من الأوقات ملكا للمسلمين وفق ما أوضحنا . فلم نغفل عن ذكر أحوالها ومدى علاقاتها بالصليبيين فى ذلك الوقت ضمانا لتسلسل الأحداث التاريخية وترابطها وتناسقها على امتداد الكتاب هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لانه كان لصيدا بارونات يحكمونها من الناحية الاسمية وبدون أرض طوال فترة تملك المسلمين لها . وكانت هناك اتصالات وسفارات ومداولات بينهم وبين المسلمين في ذلك الوقت مثل تلك المفاوضات التي حدثت بين رينالد بارون صيدا « الاسمى » (١١٥٤ م — ؟ / ٥٤٩ هـ — ؟) وبين صلاح الدين عام ١١٩١ م / ٥٨٧ هـ للتحالف معا ضد القوات الصليبية بالشام مقابل تنازل السلطان له عن صيدا ، وكانت المدينة آنذاك فى حوزة المسلمين .

وقد حرصنا على امتداد فصول الكتاب علي تحليل وتعليل ما استخدمه المؤرخون القدامى من الفاظ ومصطلحات وتعبيرات ، ومحاولة الاستفادة منها في سرد الأحداث التاريخية . إذ ادركنا بالمقارنات أنه ليس بالضرورة على بعض مؤرخى هذه الفترة الزمنية التى نحن بصددها عند تعرضهم لمعركة من المعارك الحربية بين الجانبين الصليبي والإسلامي ، أن يحددوا اسم صيدا

بالذات أو أن يعددوا اسم المدن الصليبية الأخرى الواحدة تلو الأخرى حتى تعرف مدى اسهامها في المعركة من عدمه . وانما هناك تعبيرات والفاظ ذكرها أولئك المؤرخون ، وبخاصة المسلمون منهم ، توصلنا بعد تحليلها إلى تأكيد اشتراك بارونية صيدا في هذه المعارك دون ذكر اسمها صراحة أو على وجه التحديد . فثمة عبارات مثل « اشتراك كل فرنج الساحل » ، أو « اشتراك كل بلاد الساحل » ، أو « عبأ الملك كل ما أمكنه جمعه من الفرسان للاشتراك في هذه المعركة » ، أو « وقد خرج الراجل والفارس » ، وغير ذلك من التعبيرات والألفاظ التي توحي باشتراك بارونية صيدا في أحداث تلك الفترة من الزمان دون الافصاح عن ذلك صراحة . وإذا كان معظم الكتاب المسلمين القدامى قد أشاروا إلى الصليبيين الغربيين عموما تحت اسم « الأفرنج » أو « الفرنجه » أو « فرنجة الساحل » دون تحديد دقيق لجنسياتهم والمناطق التي أتوا منها من الغرب وتلك التي استقروا بها في الشام ، (١) فان عددا منهم حرص عند التعرض لبارونية صيدا وعلاقاتها بالمسلمين على ذكر اسم صيدا وأحيانا أسماء حكامها اللاتين (٢) أما المصادر اللاتينية فكانت أكثر تحديدا في هذا المجال بطبيعة الحال . فاذا كان لبارونية صيدا موقف معين اشارت اليه ، وإذا كان لصاحبها اللاتيني دور محدد سجلته (٣) . وبالموازنات التاريخية أمكن في معظم الأحوال تحديد دور بارونية صيدا على وجه اليقين على الرغم من اشارة

---

(١) نذكر على سبيل المثال مؤلفات ابن الاثير .

(٢) نذكر على سبيل المثال مؤلفات أبى شامة .

(٣) نذكر على سبيل المثال ، تأليف البرت دكس ووليم الصورى وهرقل ص٤٩٢ ، ٤٨١ ، ٧٣ — ٧٦ على التوالى .

بعض المصادر العربية إلى الصليبيين بصيدا واللاتين بصفـة عامة تحت اسـم « الفرنج » حسبما أسلفنا .

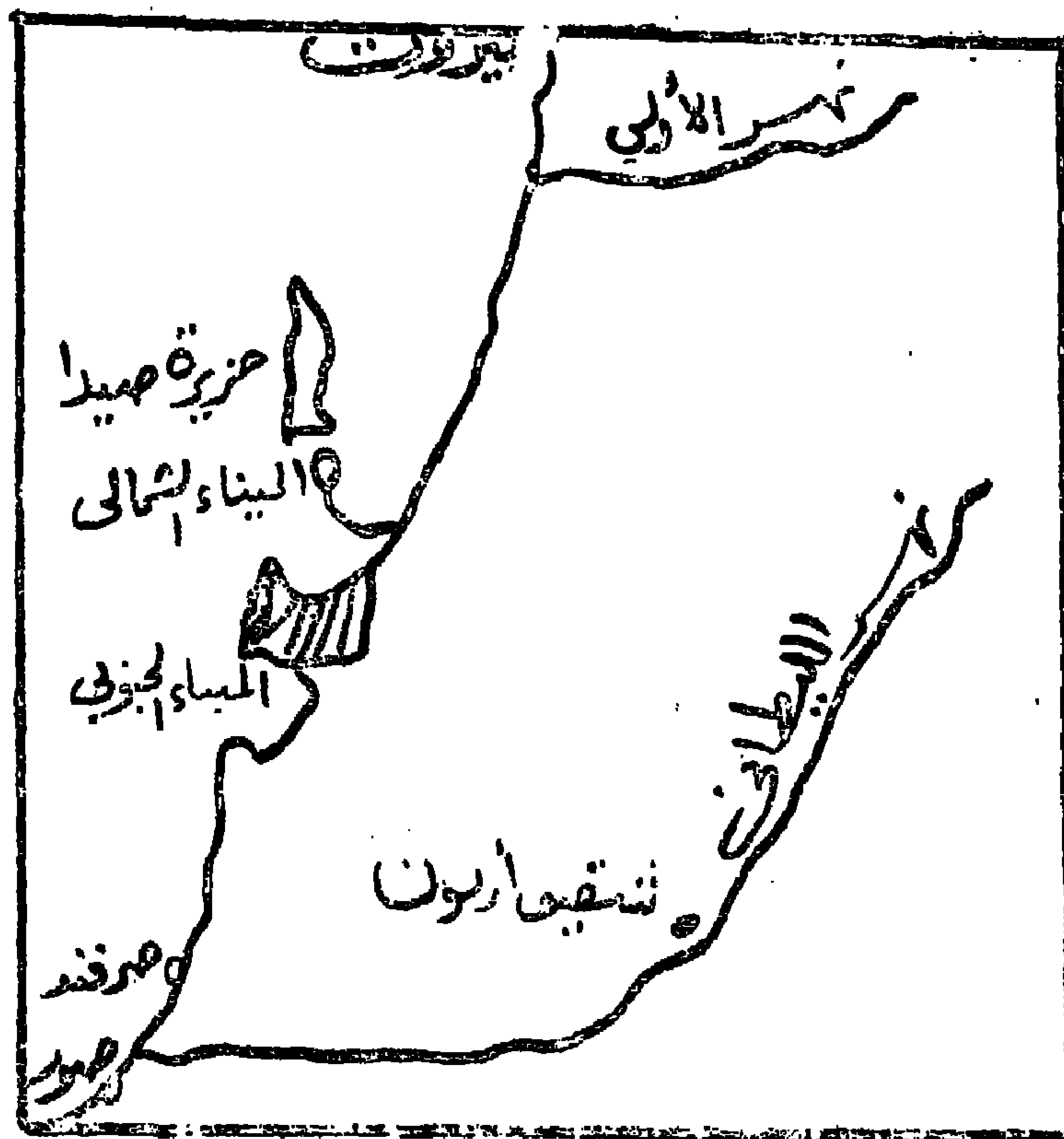
وننتقل بعد ذلك إلى أمرين هامين يتصلان بموضوع البحث اتصالا وثيقا ومباشرا . أولها يتعلق بموقع مدينة صيدا وجغرافيتها وطبوغرافيتها ، وثانيهما خاص بأوضاع العالمين الإسلامي والصليبي فى أواخـر القـرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) وحتى استيلاء الفرنج على صيدا عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ ، مما يساعد على تفهم الظروف التى مهدت للفرنج عملية الاستيلاء عليها وتأسيس بارونية لاتينية بها ، وكذلك تفهـم طبيعة العلاقات بين هذه البارونية وبين جيرانها المسلمين فى عصر الحروب الصليبية .

تعتبر صيدا احدى المدن البحرية الحصينة الواقعـة على الساحل الجنـوبى للبنان . وهى من أعمال مدينة دمشق وتبعد عنها بحوالى ٣٦ ميلاً ، وتقع شمال صور وتبعد عنها بحوالى ٦ أميال ، كما أنها تبعد .. ميلاعن جنوب بيروت(١)،

(١) الانصارى الدمشقى : نخبـــة الدهر ص ٢٠١ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٤٨ ، ابن الوردى : خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص ٣٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ١١١ ، مؤلف مجهول : مراصد الاطلاع جـ ٢ ص ١٧٤ ومن المصـادر والمراجع الأجنبية انظر أيضا:

Sanuto, Cf. Palestine Piligrims , Text Society, p. 6: Cf. also : Muller, Castles of the Crusades, p. 70; Thomas, Early Travels in Palestine. p. 142; Banistre, A S rvey of the Holy Land, p. 355 : Taylor, La Syrie, p. 21; The Jewish Encyc., t. XII, p. 614, Inter. Encyc., t. XVI, p. 471.

وجدير بالذكر أنه يوجد موضع آخر اسمه صيدا عبارة عن قرية صغيرة بحوران من أعمال دمشق ، وهى خلاف صيدا الساحلية التى نعنيها . انظر القرمانى : أخبار الدول وآثار الاول ص ٤٥٩.



الموقع الجغرافي لصيدا وضواحيها

والمدينة على شكل مثلث قاعدته إلى الداخل ورأسه شبه جزيرة يتقدمها عدد من الجزر الصغيرة تعتبر بمثابة ساتر دفاعي طبيعي يحمي المدينة من الهجمات البحرية الموجهة ضدها (١) . ويحد مدينة صيدا من الشمال نهرا الأولى (٢) والدامور وتحيط بها من الشرق والجنوب والشمال الشرقي بساتين غنية بالفاكهة كان يزرع بها قصب السكر بوفرة . أما من ناحية الغرب فيوجد البحر الابيض المتوسط (٣) . وصيدا مدينة عريقة في القدم ، يرجع تاريخها إلى ماقبل العصر الاسلامي بفترة طويلة . وقد كانت من أهم المدن الفينيقية على طول الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، بحيث اعتبرت هي وانطاكية بمثابة الميناءين الرئيسين اللذين يربطان أراضي الشرق الأدنى بالساحل الشرقي للبحر المتوسط ومنه إلى البلدان الأوروبية (٤) .

وقد اختلف الباحثون في مدلول اسم صيدا. فالبعض يذكر أنها هي الواردة في التوراة ، وينسب هذا الاسم إلى صيدون الابن الاكبر لكنعان بن حام

(١) السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ص ٩
راجع أيضا:
Muller, op cit., p. 70 , Tristram, The Land of Israel, p. 34.

(٢) كان يعرف في العصر الاسلامي بنهر الفراديس نسبة الي البساتين الكثيرة التي تحيط به انظر ابراهيم الأسود : ذخائر لبنان ص ٣٧ .

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه - ترجمة يحيى الخشاب ص ١٤ انظر أيضا :
Charmes Voyages en Syrie p. 66 , Franklin, Palestine Depicted and Described p. 204.

(٤) حسن أبو العينين : دراسة في جغرافية لبنان ص ٥١٠ .

ابن نوح ، وقد بناها عام ١٩٠٠ ق.م(١). ويرى البعض الآخر أن هذا الاسم مشتق من كلمة « صيد الاسماك » ، إذ كانت هذه المدينة عبارة عن بلدة صغيرة مشهورة بكثرة الاسماك ، وقد دأب أهلها الفنيقيون على حرفة صيد الاسماك . هذا ، فضلا عن أنهم كانوا يسمون السمك «صيدون» (٢) . بينما يرى ياقوت الحموي في كتابة « معجم البلدان » أن هذا الاسم مشتق من « الصيداء » في العربية وهو حجراً بيض يعمل منه البرام(٣) . ويرى الدكتور السيدعبدالعزيز

(١) الكتاب المقدس : سفر التكوين ، الفصل العاشر رقم ١٥ وسفر أخبار الايام الأول الفصل الأول رقم ٦٣، رحلة بنيامين التطيلي ص ١٠ ، عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز في رحلة الشام والحجاز ورقة ١٤١ ، الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنـــان ص ١٢ ، خليل خوري : خرابات سورية ص ٤٦ انظر أيضا:

Anonymons, Cf. - R.H.C. H. Occ., t, III, p: 508.

(٢) نجيب ميخائيل : الشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٥٢ ، حورجي يني: تاريخ سورية ص ٢٥ ، ابراهيم الأسود : ذخائر لبنان ص ٥٨ انظر أيضا:

Stanley, Sinai and Palestine, p- 269.

هذا ، وقد كان الفنيقيون يسكنون قديماً عند بحر أرتريا ، وبسبب كثرة الزلازل عبروا البحر وسكنوا سواحل سورية البحرية ، وكانت أولى المدن التي أسسوها هي صيدا ، واسمها مشتق من كلمة «فينكس» ابن أجنور ، وأجنور هـو اله الفينيقيين : والبعض يقول أن «فينكس» معناها الشعب الأحمر ، اما لأنهم استوطنوا مدة طويلة سواحل البحر الاحمر وأنشأوا معامـل المنسوجات الأرجوانية ، واما لاحمرار وجوههم انظر ابراهيم الاسود . ذخائر لبنان ص٥١ ، نجيب ميخائيل : الشرق الادنى القديم ج ٣ ص ٤٨ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج٣ ص ٤٣٩ .

سالم أن لهذا التفسير صلة باسم « محلة البرامية » التي تشرف على صيدا واشتهرت بقدورها وبرامها الفخارية (١) . وقد يكون هذا الاسم مشتق أيضا من « الصيداء » بمعنى الأرض التي تتسم تربتها باللون الأحمر والحجارة الغليظة المستوية بالأرض (٢) . وثمة فريق آخر يرى أن سليمان بن داود قد تزوج من ابنة صاحب صيدا ، وأنه بها أصيد الحوت الذي بلغ خاتمه فسميت صيدا (٣) . وهناك رأي آخر يقول بأن الكنعانيين عرفوا باسم الصيدونيين ونظرا لأنهم قد أسسوا هذه المدينة فقد نسبت اليهم (٤) .

ويأخذ السيد الدكتور عبد العزيز سالم في دراسته عن صيدا بالرأي القائل بأن اسمها مشتق من صيد ، والمقصود به صيد السمك ، وهو الحرفة الرئيسية لسكان هذه البلدة منذ نشأتها . وقد أراد الأهالي تمجيد هذه الحرفة الرئيسية لهم فأطلقوها على مدينتهم بحيث أصبح اسم صيدون بمعنى مدينة صيد الأسماك كذلك يرى أنه ليس ضروريا أن تكون حرفة الصيد التي كان يمارسها الصيداويون قاصرة على السمك فقط ، إذ من المعروف ان اهل صيدا احترفوا أيضا صيد نوع من القواقع والاصداف البحرية كانوا يستخرجون منه الاصباغ الارجوانية (٥) . ثم جاء القائد العربي يزيد بن أبي سفيان فأطلق اسم صيدا

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ صيدا في العصر الاسلامي ص ١٨ .

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٤٣٩ .

(٣) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ١٠ .

(٤) The Jewish Encyc , t. XII, p. 664.

(٥) السيد عبد العزيز سالم . دراسة في تاريخ مدينة صيدا ص ١٩ .

على المدينة بدلا من اسمها القديم صيدون (١) .

وجدير بالذكر أن الصليبيين عندما استولوا على المدينة اطلقو عليها اسم ساجت (٢) وبربط الدكتور السيد عبد العزيز سالم بين هذه التسمية وبين اللفظة اللاتينية « ساجيتا » بمعنى السهم لأن السهم كان شعار مدينة صيدا في العهد الصليبي ، وكانت العملات التي سكت بها في هذا العصر تحمل هذا الشعار (٣) .

ومهما كانت الآراء والأقوال حول اسم المدينة واشتقاقه ، فقد كانت صيدا تشغل المكانة الأولى بين سائر المدن الفينيقيه الأخرى ، وهى اقدمها لأنها ثانى مدينة بنيت بعد الطوفان (٤) وكانت تتزعم هذه المدن خاصة فى القرن الحادى عشر ق.م ، وذلك بسبب براعة ابنائها وتفوقهم في النواحي التجارية . ولكن منذ القرن العاشر ق.م بدأت تقبل شهرتها وورثتها مدينة صور فى هذا المجال (٥) وقد غزا الاشوريون سواحل فينيقية آواخر القرن الثامن ق.م واستولوا على مدينة صيدا عام ٧٢٠ ق.م ، وبعدها خضعت المدينة للبابليين . ولما غزا الفرس

---

(١) حسن أبو العينين : دراسة فى جغرافية لبنان ص ٥١٠ .

(٢) Sanuto op. cit., p. 6, Ludolph, Cf PalestinePiligrims' Text Society, p. 49, Anonymous, Cf. R H.C. - H. Occ, t. III, p. 508.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا ص ١٩ .

(٤) Banister, op cit., p. 355.

(٥) نجيب ميخائيل : الشرق الادنى القديم جـ٣ ص ٣١ ، ابراهيم الاسود : ذخائر لبنان ص ٨٥ .

سورية أصبحت صيدا ولاية فارسية منذ عام ٥٢٦ هـ ق.م ، وعادت مرة أخرى في عهدهم إلى كامل مجدها ، وأصبحت تحتل المكانة الأولى من بين سائر المدن الفينيقية الموجودة حينذاك . وظلت تحت أيديهم حتى عام ٣٣٣ ق.م عندما تمكن الاسكندر الاكبر من الانتصار على الفرس والاستيلاء على معظم المدن الفينيقية وعلى رأسها صيدا . وبعد ذلك خضعت المدينة لحكم البطالمة ثم الرومان واستمر وضعها على هذا الحال إلى أن تم الفتح العربي لها عام ١٥هـ/٦٣٦م على يد يزيد بن أبي سفيان (١) .

تلك هي صيدا التي امتازت بجمالها وطيب جوها (٢) ، فضلا عن موقعها الاستراتيجي والتجاري الهام على الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسط مما جعلها مطمع الطامعين عبر القرون والاجيال ، إلى أن دخلت في اطار الدولة العربية التي تكونت عقب حركة الفتوحات إلى أن آل أمرها إلى الفاطميين عام ٣٦٠هـ/ ٩٦١م الذين شهد عصرهم اندلاع الحركة الصليبية . وهنا يجب أن نذكر أن ميزان القوى بين المسيحيين الغربيين والمسلمين في الشرق الادنى قد تغير أكثر من مرة منذ الفتح العربي وحتى قيام الحروب الصليبيه فقد كان هذا الميزان في صالح المسلمين منذ الفتح وحتى بدايات القرن العاشر الميلادى تقريبا (من آواخر القرن الأول وحتي أوائل القرن الرابع الهجرى) ، ثم انقلب لصالح الدولة البيزنطية أولا خـــلال القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين (القرنان الرابع والخامس الهجريان) ولصالح الغرب اللاتيني بعد

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا ص ٥٧ .

(٢) عبد الغني النابلسي : الحقيقة والمجاز ورقة ١٤١ .

ذلك اعتبارا من أواخر القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) . ويرجع ذلك بطبيعة الحال لظروف وعوامل عديدة المت بكل من الشرق والغرب عبر هذه القرون من سياسية واجتماعية واقتصادية وغيرها (١).

وعلى هذا ، كان الشرق الأدنى الاسلامى فى أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثانى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري) يعانى من التفكك والانحلال بسبب تدهور الحالة السياسية فكانت الخلافة الفاطمية فى مصر تسير من سيىء إلى أسوأ بسبب ضعف خلفائها وتنازع الوزراء على الحكم وكثرة الحروب بين عناصر الجيش المختلفة كما أن العداء المذهبي بين المسلمين أنفسهم أدى إلى تفرق كلمتهم الأمر الذى ساعد الفرنج على تحقيق اطماعهم فى سهولة ويسر . إذ كان الاختلاف بين الدولة العباسية فى بغداد التى تدين بالمذهب السنى وتتاخم حدودها أملاك السلاجقة فى آسيا الصغرى وبين الدولة الفاطمية فى مصـــر التى تدين بالمذهب الشيعى وتبسـط سلطانها على مصر وجانب كبير من الشام من بينه مدينة صيدا والساحل الشرقى للبحر المتوسط، فقد ترتب على أن بلغ من كراهية الفاطميين

---

(٣) حول موازين القوى بين المسلمين والصليبين انظر مؤلف رينيه جروسيه :
Histoire des Croisades.

اذا وضع مؤلفه الكبير عن الحروب الصليبية على الاساس سالف الذكر . كما أشار الى هذه الفكرة أيضا الدكتور عزيز سوريال عطيه فى كتابيه :

1 - The Crusade in the leter Middle Ages. London, 1938,.

2 - Crusade, Commerce and Culture, Bloomington, 1962.

للسلاجقة أنهم اعتقدوا ان قيام دولة صليبية فى الشام سوف يكون حاجزا دون تقدم السلاجقة نحو مصر وضمها إلى ممتلكاتهم ، وهو أمر كان يدور بخلد السلاجقة وقتذاك بعد أن أصبحوا القوه الأسلامية المسيطرة فى المنطقة ولاشك أن هـذا العامل كان له أثره على مـوقف الفواطم من الغزو الصليبى المرتقب (١) .

كل هذا ساعد على نجـاح الصليبيين إلى حـد كبير فى تثبيت أقدامهم فى مراكز هامة من أراضى الشرق الأدنى الاسلامى،وتأسيس الأمارات اللاتينية الأربع : الأولى فى أعالى الفرات وهى الرها ، والثانية فى أعالى الشام وهى انطاكية ، والثالثة على الساحـل الشامى وهى طرابلس ، والرابعة وهى فى قلب فلسطين وهى بيت المقدس . وقد فرضت تلك الأمارات بحكم وجودها وضعا شائكا بالنسبة للكيان الأسلامى فى المنطقة .

فبعد أن كانت الخلافة العباسية تتسم بالقوة وازدياد النفوذ ومـواصلة الجهاد ، وبخاصة ضد الروم فى العصر العباسى الأول ، أصبحت تعانى كثيرا من الضعف والانحلال وأصبح خلفاؤها ألعوبة فى أيدى الامراء منذ عهد الخليفة العباسى المعتصم بالله (٨٣٣ - ٨٤٠م / ٢١٨ - ٢٢٧هـ) . ولقد كانت كثرة الثورات والحركات المذهبية والدينية داخل الدولة سببا هاما فى زيادة ضعفها ، مما أدى إلى ظهور وحدات سياسية مستقلة على حساب الخلافة نفسها وكانت الدولة تسير نحو التدهور حتى أنه لم يكن الخليفة العباسى فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى (أوائل القرن السادس الهجرى) أى ظـ ل من

(١) السيد الباز العرينى : مصر فى عهد الايوبيين ص ١ - ٢ .

السلطان والنفوذ . وكانت الخلافة العباسية وقتذاك منصرفة إلى محاولة التشكيك في نسب الفاطميين والشيعة واعادة المذهب السنى إلى مكانته الأولى (١) . هكذا بلغ انحلال إحدى القوى الاسلامية الكبرى فى الشرق الأدنى ، فى الوقت الذى كان فيه الصليبيون يمكنون لأنفسهم فى بلاد الشام وشمال العراق ، مما صرفهم عن اتخاذ أى موقف ايجابى وقتها .

أما بالنسبة للخلافة الفاطمية، فلم تكن بأحسن حالا من الخلافة العباسية فرغم أنها حكمت مصر مدة تنيف عن قرنين من الزمان (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م) ، الا أن عوامل الضعف بدأت تنخر فى كيانها منذ حكم الخليفه المستنصر بالله (٤٠٧ - ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٩٤م) (٢) . إذ بلغت الخلافة درجة كبيرة من التدهور والانحلال وعانت من نزعة انفصالية أدت إلى انسلاخ كثير من أملاكها فى بلاد الشام عنها حتى أنه لم يبق لها سوى صيدا وعكا فحسب . وكانت الخلافة الفاطمية فى هذا الوقت مشغولة فى محاولة انتزاع زعامة العالم الاسلامى من الخلافة العباسية وتقويض دعائمها واحلال المذهب الشيعى بدلا من المذهب السنى .

أما بالنسبة للقوة الثالثة التى كانت موجودة فى ذلك الوقت فى المنطقة ،

---

(١) الاربلى : خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، تحقيق مكى السيد جاسم ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٥٦ ولمزيد من التفصيلات عن أحوال الخلافة العباسية انظر : مختار العبادى :فى التاريخ العباسى والفاطمى عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران والعراق ، جمال الدين الشيال : تاريخ الدولة العباسية.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن أحوال الخلافة الفاطمية وأئمتها انظر المقريزى:اتعاظ الحنفاء، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٥ ، جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية ج ١ د عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر.

ونعني بها السلاجقة في آسيا الصغرى ، فقد أصبحت في العقد الأخير من القرن الحادى عشر الميلادي (أواخر القرن الخامس الهجرى) فى حالة فوضى واضطراب وانقسام سياسي وأسرى . وبدأ التفتت يظهر على ممتلكات هذه الدولة ، فأنقسمت إلى وحدات سياسيه صغيرة ، وخاصة في بلاد الشام بعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه عام ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م . ولم يحل عام ١٠٩٦م / ٤٨٩هـ حتى كانت الدولة منقسمة إلى خمس ممالك متنافسة وهي : سلطنة فارس « اصبهان » وعلى رأسها السلطان بركياروق ، ومملكة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها أبو الحرث سنجر ، ومملكة حلب وعلى رأسها رضوان ، ومملكة دمشق وعلى رأسها شمس الملوك دقاق بن تتش ، وأخيرا سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وعلى رأسهم قليج أرسلان (١) .

هذه صورة عامة مركزة لأحوال الشرق الأدنى الاسلامى فى أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجرى (أواخر القرن الحادى عشر الميلادى وأوائل القرن الثانى عشر الميلادى) ، وفى الوقت الذى ظهر فيه الصليبيون فى الشام . ولاشك أن الضعف الذى انتاب هذه المنطقة كان له أكبر الأثر بالنسبة للغرب الأوروبي فى وقت كان قد أفاق فيه من كبوته بعد قرون طويلة من الفوضى والظلام أثر انهيار الامبراطورية الرومانية المقدسة (٢)

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن أحوال السلاجقة انظر البندارى : مختصر تواريخ السلجوق ، تحقيق هوتسما ص ٦ وما بعدها ، الأصفهانى : تاريخ دولة آل سلجوق ص ٢ وما بعدها ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ١١٤ ، محمد الشيخ : الجهاد المقدس ص ٣٦ ، عبد النعيم حسنين : سلاجقة ايران وفارس ص ١٢ وما بعدها .

(٢) حول أوضاع الغرب اللاتيني قبل قيام الحملة الصليبية الأولى انظر المراجع التالية :

إن شجعه ذلك على الاعداد لحملة كبيرة موجهة ضد الشرق الاسلامي لاستقطاع الجزء الاكبر منه وتكوين مملكة صليبية تخدم مصالحه وتقلب ميزان القوى الذي لم يكن في صالحه في القرون الماضية . فكانت هذه الحملة هي المعروفة بأسم الحملة الصليبيه الأولى . وقد خرجت في حشود ضخمة حتى بلغت بلاد الشام . وكانت الرها الواقعة شمال الجزيرة هي أول مدينة يستولى عليها الصليبيون ويؤسسون أول امارة لهم بها . وقد تتابعت بعد ذلك ضربات الصليبيين في الشام . فأستولوا على انطاكية وأقاموا بها الامارة الثانيه ، ثم بيت المقدس حيث أنشأوا المملكة لهم . وبعد ذلك تفرغوا لاستقطاع باقي المدن الشامية من أيدى المسلمين وبخاصة مدن الساحل . فكانت صيدا من نصيبهم ، وقد استولوا عليها بعد عدة محاولات عام ١١١٠م / ٥٠٤هـ .

وجدير بالذكر أن النجاح الذى حققه الصليبيون لايرجع إلى قوتهم أو كثرة عددهم ، ولايعزى إلى المساعدات التى كانوا يتلقونها من الغرب ، وانما يرجع أساسا الى تفرق كلمة المسلمين وقتها . لان القوات الصليبية عندماتقدمت إلى الشرق الأدنى لم تصادف قوات اسلامية متحدة ، بل صادفت قوى متفرقة متنازعة : الة السياسية فى العالم العربى آنذاك (١) .

وإذا كان الغرب الأوروبى قد أمد الفرنج بمساعدات مستمرة ، فليس

Runciman, Byzantin Civilisation, pp. 50 - 54, Diehl, L' Europe Oriental de 1081 - 1453. (Moyen Age t. IX).

وكذلك تشارلز وورث : الامبراطورية الرومانية .

(١) ارنست باركر : الحروب الصليبية — ترجمة السيد الباز العرينى — ص ١٩٦ ، محمد الشيخ : الجهاد المقدس ص ٩ .

معنى هذا أنه لم يكن يعانى من الفوضى والاضطراب ، وانما كانت أحـواله تتسم بمظاهر المنازعات والحروب فضلا عن الانشقاقات الدينية بين رأسى العالم المسيحى الغربى حينذاك وهما البابا والإمبراطور ، بجانب الخلافات الموجودة بين الكنيستين الأرثوذكية الشرقية والكاثوليكية الغربية ، إذ أصرت كل منهما أن يسود وجهة نظرها وأن تكون لها الأسبقية على الأخرى ، ولهذا السبب عندما عرضت فكرة الحرب المقدسة على البابا أوربا الثانى (١٠٧٨ — ١٠٩٧م/ ٤٨١ — ٤٩٣هـ) وجد فى تنفيذها فرصة كبيرة لانهاء الخلاف بين الكنيستين، فضلا عن السيطرة على الكنيسة الأرثوذكية ، وتحقيق أطماع أخرى عديدة من بينها التخلص من نفوذ كبار رجال الاقطاع فى الغرب . وبناء على ذلك ارتفعت أسهم البابوية فى القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) باعتبارها السبب فى المكاسب التى حققها الصليبيون بحيث أصبح لها الهيمنة الكبرى على الصليبيين فى الأراضى المقدسة (١) . يضاف إلى ما تقدم ما كانت تتمتع به من هيبة فى نفوس أهل الغرب فى وقت كانت فيه السيطرة على مصائر الأفراد وحياتهم الخاصة والعامة لها الأمر والنهى وعلى الجميع الطاعة . وفى وقت كان فيه الغرب اللاتينى عبارة عن وحدة واحدة فى مجموعة على رأسها الجهاز الكنسى البابوى بينما لم تكن القوميات قد ظهرت بعد .

هذا هو وضع كل من الشرق الادنى والغرب الاوروبى فى الوقت الذى كان فيه الصليبيون يستعدون للانقضاض على الدول الاسلامية فى المنطقة، وفى الوقت الذى تمكنوا فيه من تكوين بارونية صليبية فى مدينة صيدا .

---

(١) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٩٨ انظر ايضا :
Grousset, L' Empire du L' evant, I p. 295.

وتقسيمنا المنهجي لفصول الكتاب تقسيم زمني وموضوعي في ذات الوقت راعينا فيه التسلسل الزمني للاحداث والوقائع إلى جانب وضع صيدا مابين بارونية تابعة للفرنج أو مدينة خاضعة للمسلمين أو محكومة مناصفة من قبل الطرفين . الفصل الاول وعنوانه « استيلاء الصليبيين على صيدا وتأسيس بارونية بها (١١١٠م/٥٠٤هـ) » بدأناه بذكر أحوال صيدا أثناء تبعيتها للخلافة الفاطمية في مصر ، ثم تحدثنا عن اتجاه أنظار الصليبيين نحو المدينة اعتبارا من عام ١٠٩٩م/٤٩٢هـ والمحاولات العديدة التي بذلوها بقصد الاستيلاء عليها ، وموقف كل من الدماشقة والمصريين من هذه المحاولات العدوانية . وتعرضنا بعد ذلك للمحاولة الأخيرة التي قام بها الصليبيون عام ١١١٠م/٥٠٤هـ التي انتهت بسقوط صيدا في أيديهم وتأسيس بارونية صليبية بها خاضعة مباشرة لمملكة بيت المقدس اللاتينية وكان على رأسها يوستاش جارنييه أول بارون لها على أن يكون الحكم فيها وراثيا في أسرته من بعده . واختتمنا الفصل بذكر بعض الأوضاع الداخلية للبارونيه في ظل الحكم الصليبي لها .

أما الفصل الثاني وعنوانه « فترة الحكم الصليبي الأول للبارونية — صيدا في ظل أسرة يوستاش جارنييه (١١١٠ — ١١٨٧م/٥٠٤ — ٥٨٣هـ) » فقد تضمن المحاولات العديدة التي قامت بها البارونية لتدعيم نفوذها في جميع أنحاء مملكة بيت المقدس ومدى تأثير ذلك على علاقاتها بجيرانها المسلمين في الشرق الأدنى . وأوضحنا الدور الفعال الذي قامت به في حصار مدينة صور عام ١١١١م/٥٠٥هـ وأثر ذلك على دمشق الاسلامية . وألقينا الضوء على الدور الذي قامت به مع باقي القوات الصليبية للهجوم على نواحي دمشق عام ١١٠١م/٥١٠هـ . ثم انتقلنا إلى تولي جيرارد بن يوستاش حكم البارونية ومحاولاته السير على نهج سياسة أبيه في مساعدة الجيش الصليبي في الشام في

كل معاركه ضد المسلمين بهدف تثبيت مركزه وتقوية نفوذه بالنسبة لباقى المدن الصليبية الأخرى ، بل واعلاء شأنه عليها أن أمكن ذلك ، ولعل أهم عملية حربية اشترك فيها هى حصار مدينة عسقلان الاسلامية عام ١١٥٣م/٥٤٨ﻫ ونجاح الصليبيين فى الاستيلاء عليها . وانتقلنا بعد ذلك إلى حكم البارون رينالد بن جيرارد والأوضاع التى سادت فى عهده ، ثم تأثير ذلك على علاقته بنور الدين محمود في ذلك الوقت ، ومن بعده صلاح الدين الأيوبى . وأخيرا عرضنا بايجاز موقف صيدا من معركة حطين الشهيرة ، ومدى الدور الذى قامت به في مواجهة القوات الاسلامية هناك ، وماترتب على ذلك من آثار تتلخص فى استرداد المسلمين لمدينة صيدا عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ ﻫ في عهد صلاح الدين .

أما بالنسبة للفصل الثالث وعنوانه « صيدا بين الصليبيين والمسلمين (١١٨٧ – ١٢٢٧م/٥٨٣ – ٦٢٤ ﻫ)فقد أشرنا فيه إلى حصار السلطان صلاح الدين لحصن شقيف أرنون التابع لبارونية صيدا , ومحادثاته مع رينالد ، ثم المحاولة الفاشلة التى قام بها الصليبيون للاستيلاء على المدينة عام ١١٨٩م/٥٨٥ ﻫ وبينا بعد ذلك محاولة كل من رينالد بارون صيدا السابق ومعه كونراد دى مونتفرات صاحب صور الاتفاق مع السلطان صلاح الدين ضد باقى الصليبيين فى الشام مقابل التنازل عن مدينة صيدا . وأشرنا إلى موافقة المسلمين عام ١١٩٨م/٥٩٤ ﻫ على مناصفة الحكم بالمدينة بينهم وبين الصليبيين ، ثم تنازل المسلمين عام ١٢٠٤م/٦٠٠ ﻫ عن النصف الخاص بهم فى صيدا إلى الصليبيين بحيث أصبحت ملكا لهم حتى عام ١٢١٧م/٦١٤ ﻫ . وتضمن هذا الفصل أيضا موقف باليان صاحب صيدا من الحملة الصليبية الخامسة على مصر بقيادة جان دى برين صاحب عكا والملك الأسمى لبيت المقدس ومحاولة الكامل محمد

التنازل عن صيدا بأكملها بجانب مدن الساحل للصليبيين مقابل الجلاء عن دمياط، ثم هزيمة الصليبيين آخر الأمر أمام المساعدات التى وصلت إلى المصريين من الشام .

وفى الفصل الرابع وعنوانه « فترة الحكم الصليبى الثانية للبارونية (١٢٢٧-١٢٦١م/٦٢٤ - ٦٦٠ هـ) » ، أشرنا إلى الدعوة إلى الحملة الصليبية السادسة بقيادة الامبراطور الألمانى فردريك الثانى . ونجاح جنود الحملة فى الاستيلاء على مدينة صيدا عام ١٢٢٧م/٦٢٤هـ ، ثم انشغال الصليبيين الموجودين بالمدينة بتشييد قلعة بحرية حصينة على جزيرة صغيرة تقع عند مدخل المدينة . وبعد وذلك استعرضنا تدعيم نفوذ البارونية فى جميع انحاء المملكة اللاتينية فى الاراضى المقدسة أثناء حكم باليان لها، ثم من بعده ابنه جوليان آخر بارونات البارونية من أسرة يوستاش جارنييه ، ثم موقف المسلمين من هذه التطورات وأشرنا إلى وصول الملك الفرنسى لويس التاسع إلى أراضى الشام بعد هزيمته فى مصر واستقراره بصيدا ومحاولاته اعادة تحصينها وترميم أسوارها ، ثم انشاء القلعة البرية التى نسبت اليه . ولم نغفل فى ذلك المجال الغارة الوحشية التى شنها المغول على المدينة عام ١٢٦٠م/٦٥٩هـ و تدميرهم لها ، وماترتب على ذلك من اتحاد بارون صيدا وغيره من بارونات المملكة اللاتينية فى الشام مع المسلمين للوقوف معا ضد الخطر المشترك الذى كان يهدد كليهما وهو الغزو المغولى . وأخيرا أشرنا إلى الضعف الذى وصلت إليه بارونية صيدا فى آواخر حكم جوليان خاصة بعد الغارة المغوليه عليها ، مما جعله يتنازل عن الحكم فيها إلى جماعة الفرسان الداوية عام ١٢٦١م/٦٦٠ هـ .

أما الفصل الخامس والاخير من هذه الرسالة وعنوانه « أضمحلال بارونية صيدا وسقوطها فى عصر دولة المماليك الاولى (١٢٦١ - ١٢٩١ م /

٦٦٠ — ٦٩٠ هـ) » فقد أوضحنا فيه أحوال البارونية أثناء حكم الفرسان الداوية لهـــا بقدر ما أتاحت لنا المادة التي عثرنا عليها في مختلف المصادر والأصول ، وكذلك سياسة السلطان المملوكي الظاهر بيبرس تجاه الفرنج الموجودين بالبارونية بصفة خاصة وأثر ذلك على علاقته بالفرنج بصفة عامة ثم المعاهدة التي عقدها معهم عام ١٢٦٩ م / ٦٦٧ هـ لمناصفة صيدا بين الطرفين وأشرنا بالتفصيل بعد ذلك إلى الهدنه التي أجرها السلطان المنصور سيف الدين قلاوون مع حكام صيدا عام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ . وأخيرا تعرضنا إلى الضربة القاضية التي وجهها المسلمون إلى مدينة صيدا عام ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ والتي أنتهت بسقوطها في أيديهم أيام السلطان الاشرف خليل ، بحيث عادت المدينة مرة أخرى مدينه أسلامية لهـــا كيانها وشخصياتها بين سائر الدول الاسلامية الموجودة في المنطقة .

وأنهينا الكتاب بخاتمة تضمنت خلاصة النتائج التي توصلنا اليها على امتداد فصول الكتاب ، مع تقييم عام لطبيعة العلاقات التي نشأت بين الصليبيين الموجودين بالبـــارونية ومسلمي الشرق الادنى . كما أشرنا الى موقف صيدا في القرن الرابع عشر الميلادي (القرن السابع الهجرى) من الحملات الصليبيه المتأخرة .

وقد فرض علينا البحث بتزويده بخريطة هامة توضح صيدا من جنوب لبنان وبيان حدودها . هذا فضلا عن عدد من اللوحات الايضاحية . وتمثل إحدى هذه اللوحات منظرا عاما لقلعة البحر ، ومنظرا آخر لحصن شقيف أرنوب التابع لبارونية صيدا ، هذا بجانب رسمين تخطيطيين لقلعتي البحر والبر . وقد أستعنا في إعـــداد هذه الخريطة واللوحات بعدد من مؤلفات المؤرخين

الحـــديثين وعلى رأسهم « ميولر » Muller والدكتور السيد عبد العزيز سالم .

وذيلنا المؤلف بستة ملاحق هامة تتصل بموضوع البحث أتصالا وثيقا . أولها نص مستمد من مصدر لاتيني معاصر وهو أستيلاء الصليبيين على صيدا عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ وهذا النص لم ينقل بعد إلى اللغات الحديثة . وثانيها عن مخطوطة عربية لم تنشر بعد للنويرى الكندى ، وتوضح أستيلاء السلطان صلاح الدين على حصن شقيف أرنون وهو أحد الحصون الهـــامة التابعة لبارونية صيدا الـلاتينية وثالثها مأخوذ عن مصدر باللغة الفرنسية القديمة من « الوثائق الآرمنية » فى « مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية » خاص بالغارة الوحشية التى شنهـــا المغول على مدينة صيدا عام ١٢٦٠ م / ٦٥٨ هـ ، ثم بيع المدينة إلى جماعة الفرسان الداوية . ورابعهما عن مصدر آخر باللغــة الفرنسية القديمة للمؤرخ روتلان ويتعلق بتسليم الملك الصالح أسماعيل سلطان دمشق حصن شقيف أرنون إلى بارون صيدا عام ١٢٤٠ م / ٦٣٨ هـ . والملحقان والثالث والرابـع لم ينقلا بعد إلى اللغات الحديثة . وخامسها عبارة عن نص الهـدنة التى عقدت عام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ بين الملك المنصور سيف الدين قلاوون وبين حكام صيدا وعكا وعثليت اللاتين ، وهى منقولة عن مخطوطة « تاريخ الدول والملوك » لكاتبها ابن الفرات .

والملحق السادس والأخير عبارة عن بيان بأسماء البارونات الذين حكموا صيدا من أسرة يوستاش جارنييه منذ تأسيس البارونيه عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ وحتى آخر أفراد هذه الاسرة جوليان جارنييه الذى حكم حتى سنة ١٢٦١ م / ٦٦٠ هـ ، وموضح قرين أسم كل منهم تاريخ بداية ونهاية حكمه

وأعقبنا ذلك ببيان بأسماء مقدمى الداوية الذين حكموا البارونية من سنة ١٢٦١ م / ٦٦٠ هـ وحتى ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ ، مع بيان تواريخ حكمهم . وبآخر الكتاب قائمة بأسمـــاء المصادر والمراجع من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعة ، وهى التى أعتمدنا عليها وأستعنا بها فى جمع المادة التاريخية المتعلقة بموضوع البحث وأفدنا منها فائدة كبرى تبدو فى ثنايا المؤلف .

عرض وتحليل لمصادر الكتاب ومنابعه

يكتنف تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، وبخاصة في فترة الحروب الصليبية ، كثير من اللبس والغموض الشديدين . وهناك العديد من الموضوعات الشائكة المعقدة في هـــذا الميدان بحاجة إلى الدراســة والاستقصاء . ولعل السبب في ذلك أن بعض المصادر الاجنبية لاتزال بلغاتها الأصلية التي دونت بها ، كاللاتينية أو الفرنسية القديمة أو اليونانيه القديمة أو الأرمنيه ، ولم تترجم إلى اللغات الحديثه بعد . فضلا عن أن بعض المصادر العربية القديمة قد فقدت ، لم يتم العثور عليها ، وبعضها لايزال خطيا لم ينشر حتي الان . ويضاف إلى ذلك وجود فجوات في تلك المصادر والأصول ، من عربية وغير عربية ، تحتاج إلى المقارنات والموازنات التاريخيــة .

وتمثل العلاقات السياسية بين بارونية صيدا في ظل الحكم اللاتيني لها وبين المسلمين في الشرق الأدنى في عصر الحروب الصليبية ، حلقة في سلسلة حلقـات هذه العلاقات الطويلة الممتدة بين الشرق والغرب ، كما تمثل مرحـلة زمنية هامة في تاريخ العصر الوسيط على وجه العموم . ورغم ذلك لم تلق العناية الكافيه من الكتاب والمؤرخين ، بينما مرت عليها الاصول الغربيه في كثير من الأحيان مرورا سريعا ، ولم تتعرض لهـــا كتب الحديثين إلا عرضا وفي أسطـــر معدودات .

وأهم المصادر الغربية التي اعتمدنا عليها وأخذنا منها كتاب وليم الصوري Guillaume de Tyr المعروف بأسم « الأعمال التي انجزت في بلاد ما وراء البحر » (١) وقد وضعه المؤلف باللغة اللاتينيه تحت اسم :

« Historia Rerum in Partibus Transmarinis Gestarum »

---

(١) ولد وليم الصوري في بيت المقدس عام ١١٣٠ م . وكان يتقن كثيراً من اللغات =

ويتميز هذا المصدر بأهميته الفائقة فى تاريخ العلاقات الصليبية الأسلامية بصفة عامة ، وفى تاريخ العلاقات بين الصليبيين الموجودين فى بارونيسة صيدا والمسلمين المجاورين لهم فى منطقة الشرق الأدنى فى الفترة موضوع البحث بصفة خاصة . وأمدنا المؤرخ بتفصيلات عديدة أغفلت ذكرها كثير من المصادر الأخرى من عربية وأجنبية . نجد مثالا لذلك فى عرضه المفصل لموقف بارونات مملكة بيت المقدس تجاه يوستاش جارنييه صاحب صيدا (١١١٠ - ١١٢٣م / ٥٠٤ - ٥١٧هـ) عندما تم اختياره نائبا عن الملك الصليبى فى إدارة أمور المملكة أثناء غيابه فى الأسر . وكذلك الحال بالنسبة للدور الذى قام به جيرارد بارون صيدا (١١٢٤ - ١١٥٤م / ٥٤٠هـ). فقد أعطانا صورة واضحة للموقف من كافة جوانبه ، كما يبين أهمية صيدا أبان هذه الغزوة الصليبية . كذلك اهتم وليم الصورى بذكر تفاصيل الغزوة الحربية التى شنها أسد الدين شيركوه على مدينة صيدا عام ١١٦٤م/٥٦٠هـ ، والتى انتهت بتدميرها وتخريبها . ورغم ذلك يبدو أنه لم يراع الدقة التامة عند تحديد تواريخ بعض

= مثل اللاتينية والفرنسية والعربية ، فضلا عن المامه بالفارسية والعبرية واليونانية . وبدأ حياته بالعمل فى السلك الكنسى حيث كان تابعا لرئيس أساقفة صور . ودخل فى خدمة الملك عمورى الأول ملك بيت المقدس اللاتينى (١١٦٢-١١٧٣م) الذى عينه رئيسا لشمامسة كنيسة صور ، وكلفه بكتابة تاريخه . وقام كل من الأستاذ الدكتور عمر كمال توفيق والأستاذ الدكتور السيد الباز العرينى بعمل دراسة تحليلية عن هذا المؤرخ وكتابه . انظر عمر كمال: المؤرخ وليم الصورى ، مقال بمجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٧ ص ١٨١-٢٠٠ ، السيد الباز العرينى مؤرخو الحروب الصليبية ص١٠١-١٥٢، نظير حسان سعداوى : ثلاثة من مؤرخى الحروب الصليبية ص ٤٥ - ٥٦ راجع كذلك :
Dodu, Histoire des Institution Monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem (1091 — 1290), pp. 3 — 4.

الاحداث التاريخية التى اتفق عليها كثير من المؤرخين الآخرين العرب والأجانب المعاصرين لها . إذ ذكر أن استيلاء الصليبيين على مدينـــة صيدا كان فى عام ١١١١م /٥٠٥هـ ، بينما المتفق عليه بين سائر المؤرخين هو عام ١١١٠م/٥٠٤هـ، وقد ثبت أن هذا هـــو التاريخ الصحيح . كذلك أدرج حادثة حصار المصريين لمدينة يافا ووفاة يوستاش جارنييه صاحب صيدا ضمن أحداث عام ١١٢٢م/٥١٦هـ ، بينما الثابت تاريخيا وفقا لروايات المؤرخين الصليبيين والمسلمين المعاصرين لأحداث هذه الفترة من الزمن ، أن حصار المدينة تم عام ١١٢٣م / ٥١٧ هـ . كذلك كانت وفاة يوستاش جارنييه في نفس العام . وقد تناولنـا كل هذه الامور بالتحليل والتفسير في موضعها الطبيعي من الكتاب .

وهناك مصدر اخر لا يقل أهمية عن كتاب وليم الصورى وهو كتاب البرت دكس Albert d'Aix (١) المعروف باسم « تاريخ بيت المقدس » وهو مؤلف باللغة اللاتينية تحت اسم Historia Hierosolymita ويعتبر هذا المؤلف من المصادر الاساسية التى لا غنى عنها فى تاريخ الحروب الصليبية فى الفـترة الممتدة من سنة ١١٠٣ حتى سنة ١١٢٠م (٤٩٦ — ٥١٤ هـ) . وقـــد أمدنا

---

(١) لا نعرف على وجه التحديد الاسم الكامل لهذا المؤرخ ومكان مولده . وكل ما نعرفه عنه أنه كان كاهنا وأمينا لخزينة اكس Aix ورجح انتماؤه الى مدينة اكس لاشابل الألمانية . وهذا الكتاب يروى قصة الحملة الصليبية الأولى وتاريخ المملكة اللاتينية فى الفـترة الممتدة من سنة ١١٠٣ م/ ٤٩٦ هـ حتى سنة ١١٢٠ م / ٥١٤ هـ . ولمزيد من التفصيلات أنظر :

R. H. C. - H. Occ., t. IV, pp. XX - XXIX

وراجع كذلك السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٦٥ — ٦٦ .

بكثير من الوقائع والاحداث المتعلقة بموضوع البحث التي سكتت عنها المصادر الاجنبية الاخرى . مثال ذلك توضيحه للدور الذى قام به يوستاش جارنييه صاحب صيدا في حصار مدينة صور عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ عندما عهد اليه مهمة قيادة الابراج الصليبية الثلاثة التي استخدمت في حصار المدينة .

وثمة مصدر لاتيني آخر يجدر الاشارة اليه وهو كتاب فوشيه دي شارتر Foucher de Chartres (١) المسمى « أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس » والمدون أصلا باللغة اللاتينية تحت اسم

« Gesta Francorum Iherusalem Peregrintium»

وللمؤلف أهمية خاصة بصفته شاهد عيان لبعض الاحداث الهامة المتعلقة بموضوع البحث . إذ قدم وصفا دقيقا لاستعدادات الصليبيين لحصار مدينة صيدا عام ١١١٠م/٥٠٤هـ ثم الاستيلاء عليها . ولا يقتصر أهمية هذا الكتاب

---

(١) ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا عام ١٠٥٨ م ، وأصبح كاهنا بها . وكان أحد المشتركين في الحملة الصليبية الأولى ضمن جيش روبرت كونت نورمانديا وأتين كونت شارتر . وشاهد معظم المعارك الحربية التي دارت رحاها بين الافرنج والاتراك السلاجقة في اسيا الصغرى ثم انفصل عن الجيش الصليبي قبل الاستيلاء على أنطاكية ولازم بلدوين الأول فترة توليه امارة الرها . واشترك معه في جميع المعارك الحربية التي خاضها . ثم اصطحبه بلدوين عندما توج على بيت المقدس ، وظل ملازما له حتى وفاته عام ١١١٨م / ٥١٢ هـ أنظر :

Foucher de Chartres , Cf. R. H. C. - H. Occ., t. III, pp. XXVII - XXX.

راجع كذلك السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٣٧ — ٤٣ ، جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ص ٧ .

بالنسبة لموضوع البحث عند حد الاستيلاء على المدينة ، وإنما تمتد الى السنوات الاولى التي أعقبت الاستيلاء عليها وتأسيس البارونية بها وأثر ذلك في الكشف عن طبيعة العلاقات بين البارونية والمسلمين المجاورين لها . فمثلا ألقى الضوء على الدور الذي قام به يوسعاش جارنيه صاحب صيدا بصفته نائبا عن الملك الصليبي أثناء وجوده في الاسر - في تجميع القوى الصليبية ، وتخليص مدينة يافا التي كانت تابعة لهم في ذلك الوقت من الحصار المصرى لها عام ١١٢٣م/٥١٧هـ . ويمتاز هذا المصدر عن غيره من المنابع والاصول بأنه لا يكتفي عند وصفه لاحدى المعارك بين الصليبين والمسلمين ، بالأشارة إلى مضمون الحادثة فحسب ، وإنما يراعي ذكر المدن الصليبية الأخرى التي كان لها دور في المعركة ، الأمر الذى ساعدنا في كثير من الاحيان على إبراز موقف صيدا من المعارك ودورها فيها .

كذلك يعتبر تاريخ هرقل Eracles (١) من المصادر الرئيسية التي يعتمد عليها بأعتباره مصدر ثقة وردت فيه تفصيلات ومعلومات قيمة لم ترد في كثير من الاصول الاخرى . فمثلا أنفرد دون سواه من المصادر الاجنبية والعربية

---

(١) منشور باللغة الفرنسية القديمة في « مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية » وهو مكمل لتاريخ وليم الصوري ، ولم يعرف مؤرخه . ولقد قام أحد رجال الملك الفرنسي لويس التاسع في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (منتصف القرن السابع الهجرى) بترجمة كتاب وليم الصورى وأضاف عليه ذيلا تناول الفترة من سنة ١١٨٤ حتى سنة ١٢٧٧ م وسماه بأسم « تاريخ هرقل » لأن أول كلمة افتتح بها الكتاب « الامبراطور هرقل » ولمزيد من التفاصيل أنظر :

Runciman, A History of the Crusades. t. I, p. 477, t. III, p. 482.

يذكر حادثة أتصال رينالد صاحب صيدا (١١٥٤ م — ؟ / ٥٤٩ هـ — ؟) بعد هروبه إلى صور واستيلاء المسلمين على صيدا عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ بالسلطان صلاح الدين ودعوته للحضور لتسليمه مدينة صور . كذلك أنفرد هرقل بذكر تجديد الهدنة القائمة بين الملك العادل صاحب مصر (١٢٠٠ — ١٢١٨ م / ٥٩٦ — ٦١٥ هـ) والملك حنا دى برين صاحب عكا (١٢١٠ — ١٢٢٥ م / ٦٠٧ — ٦١٢ هـ) للمرة الثالثة لمدة ست سنوات أخرى تنتهى عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ ، والتى بموجبها تنازل الطرف الأول للصليبيين عن الجزء الخاص بالمسلمين فى صيدا . وإذا كانت المؤرخ قد سد ثغرات عديدة فى تاريخ العلاقات الصليبية الأسلامية فى الفترة موضوع البحث ، الا أنه سكت تماما مثل غيره من المؤرخين الآخرين العرب والاجانب عن ذكر أية تفصيلات تتعلق بأسترداد السلطان صلاح الدين لمدينة صيدا عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ . إذ مر على هذه الواقعة مر الكرام دون الخوض فى تفاصيل الأستعدادات التى جهزت لحصارها ثم سقوطها ، وما إلى ذلك مما يشفى غليل الباحث فى هذا المجال .

وهناك مصدر آخر أطلعنا عليه وهو تاريخ روتلان Rothelin وهو مصدر هام عظى بصفة عامة حوادث الفترة الممتدة من سنة ١٢٢٩ حتى سنة ١٢٦١ م (٦٢٧ — ٦٦٠ هـ) ولكنه لم يوضح طبيعة العلاقات التى كانت قائمة آنذاك بين الصليبيين فى بارونية صيدا والمسلمين الموجودين فى الشرق الأدنى . كذلك أغفل عن ذكر بعض الحوادث الهامة المتصلة بموضوع البحث والتى كنا نتوقع أن يمدنا بمعلومات وافيه عنها بصفته شاهد عيان لها . فمثلا لم يذكر حادثة غزو بعض الفرسان الغربيين بقيادة المارشال ريشار لمدينة بيروت عام ١٢٣١ م / ٦٢٩ هـ ، وتصدى باليان صاحب صيدا (١٢١٠ —

١٢٣٩ م / ٩٠٧ — ٦٣٧ هـ) لهم واجلائهم عن الأراضى المقدسة بصفة عامة وعن بيروت بصفة خاصة رغم أن المؤرخ هرقل قد أنفرد بذكر هذه الرواية بشيء من التفصيل كذلك كنا ننتظر أن نستقي منه معلومات طيبة حول زيارة الملك الفرنسي لويس التاسع المعروف بالقديس لويس للأراضى المقدسة والتحصينات التي أقامها بمدينة صيدا وأهمها القلعة البرية التي شيدها . لكننا لا نجد مبررا لأغفال مثل هذه الحقائق التاريخية الهامة التي لو كان قد زودنا بها لسدت ثغرات كثيرة في مجرى تاريخ الحركة الصليبية بعامة وتاريخ صيدا آنذاك على وجه الخصوص . خاصة وانه كان شاهد عيان لكل هذه الأحداث . ورغم قلة المعلومات التي أستقيناها من كتاب رونلان . إلا أنها سدت جانبا هاما من جوانب البحث . فمثلا أوضح بالتفصيل مدى التعاون الذى كان قائماً بين الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق (١٢٣٧ — ١٢٣٨ م ثم ١٢٣٩ — ١٢٤٥ م / ٦٣٥ — ٦٣٦ هـ ثم ٦٣٧ — ٦٤٣ هـ) ، وجوليان صاحب صيدا (١٢٣٩ — ١٢٦٩ م / ٦٣٧ — ٦٦٠ هـ) عام ١٢٤٠ م / ٦٣٨ هـ وما ترتب على ذلك من تنازل الملك الصالح الصليبيين عن حق المسلمين في حصن شقيف أرنون ، الذى كان تابعا لبارونية صيدا من قبل ثم استولى عليه السلطان صلاح الدين . كذلك أوضح رونلان موقف جوليان وغيره من بارونات المملكة اللاتينية من سيف الدين قطز (١٢٥٩ — ١٢٦٠ م / ٦٥٨ — ٦٥٩ هـ) ومبادرتهم بالتعاون معه للوقوف معا ضد القوات المغولية التي كانت خطرا يهدد كليهما .

وبجانب هذه المصادر ، هناك حولية المؤرخ ميخائيل السرياني ويوجد مقتطفات منها في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (الوثائق الأرمينية) تحت اسم « Extraits, de la Chroniques de Michel le Syrien » ولكنه لم يكثر

من الاشارة إلى طبيعة العلاقات بين البارونية والمسلمين المجاورين ، باستثناء تلك الحادثة التى أنفرد بذكرها دون غيره من المؤرخين ، ونعنى بها ذهاب جيرارد صاحب صيدا إلى نور الدين محمود ودعوته للتعاون معه ضد الملك الصليبى عمورى الأول (١١٦٣ — ١١٧٤ م / ٥٥٨ — ٥٧٠ هـ) مما أثار الأخير عليه ، وقد تمكن من القبض عليه وحكم عليه بالموت حرقا بالنار . وقد أخذنا على المؤرخ ميخائيل السريانى فى هذه الرواية خطأه الغير متعمد فى ذكر تاريخ هذه الحادثة (١) . ويؤخذ عليه أيضا أنه لم يبرز بشكل تفصيلى كيفية أسترداد المسلمين لمدينة صيدا عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ . وإنما أقتصر على ذكر هذا الحدث فى اشارات سريعة لا تشفى غليل الباحث المتشوق للوصول إلى الحقيقة التاريخية الكاملة .

وبجانب ذلك رجعنا إلى كثير من الكتب الأخرى لمؤرخين مجهولى الاسم مست كتاباتهم جانبا هاما ودقيقا من جوانب الموضوع فهناك كتاب معروف باسم « تاريخ بيت المقدس وأنطاكية » «Li Estoire de Jerusalem et d' Antioche » والكتاب مدون باللغة الفرنسية القديمة وهو عبارة عن سرد تاريخى للحركة الصليبية منذ بدايتها حتى عام ١١٢٣م/ ٥١٧ . ورغم ذلك لم يذكر أية معلومات تتعلق بالمحاولات العديدة المبكرة التى قام بها الصليبيون من أجل الاستيلاء على مدينة صيدا أو كيفية الاستيلاء عليها عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ . وإنما أنتقل فجأة إلى الحديث عن يوستاش جارنييه ودوره فى تخليص يافا التى كانت تابعة للصليبيين من الحصار المصرى المفروض عليها عام ١١٢٣م /٥١٧ هـ . وكان المنطق أن يذكر فى لمحات سريعة التسلسل التاريخى السليم السابق على

(١) ناقشنا هذا الأمر بالتفصيل فى الفصل الثانى من هذا الكتاب .

هذا الحدث حتى يبدو الانسجام واضحا على امتداد الكتاب ، خاصة وأنه كان معاصرا لتلك الفترة .

وهناك أيضا مؤلف بأسم « تاريخ بيت المقدس » لكاتب مجهول وهو مكتوب بعنوان Historia Hierosolimitane ويؤرخ لوقائع الفترة الممتدة من بداية الحركة الصليبية حتى عام ١١٢٣م / ٥١٧ هـ ، وهو موجود فى الجزء الرابع من « مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية » (المؤرخين الغربيين) وقد أفدنا فى تغطية وقائع كثيرة تتعلق بمدينة صيدا منذ أستيلاء الصليبين عليها عام ١١١٠م / ٥٠٤ هـ . وحتى عام ١١٢٣م / ٥١٧ هـ .

وبجانب هذين المؤلفين توجد مؤلفات أخرى أدتمت بتأريخ هذه الفترة وساعدت كثيراً على تسليط الأضواء على جوانب عديدة من البحث وسد بعض الثغرات فيه . نذكر منها كتاب « تاريخ نيقية وأنطاكية وبيت المقدس » المعروف بأسم «Historià Nicenavel Antiochena Nocnon Jerosolymitana» وهو مكتوب أصلا باللغة اللاتينية لصاحبه « منيتوم » Monitum . ويوجد أيضاً كتاب للمؤرخ اللاتينى « بلدريكي » Baldrici تحت اسم « تاريخ بيت المقدس » Historia Jerosolymitana بالإضافة إلى المجموعة المعروفة بأسم « أعمال الفرنجة الحاجين إلى بيت المقدس » Expugnantium Therusalem Gesta Francorum التي قام بنشرها العالم بونجارز Bongars ورغم أن هذين المؤلفين يؤرخان للفترة الممتدة من بداية الحركة الصليبية حتى عام ١١٠٦م / ٤٩٩ هـ ، إلا أننا أفدنا مما ورد بها من معلومات . ولكن يؤخذ على مجموعة بونجارز التى تضمنت عددا من المصادر المبكرة عن الحركة الصليبية الطريقة التى أتبعها كاتبوها أحيانا ضمد وصفهم للأحداث التاريخية . فهم يكثرون من وصف أحوال الجو ورصد الكواكب والنجوم وتحركاتها مما يبعد بنا عن

الموضوع الأصلي ، ويؤدي إلي ملل القارىء ويبعده عن الجو التاريخي . ويتضح ذلك ، على سبيل المثال ، عند وصفه خط سير الصليبيين بحذاء الساحل وهم في طريقهم إلى بيت المقدس مارين ببيروت وصيدا وغيرها من الموانى الشامية (١) .

وثمة مصدر آخر هام أخذنا منه وهو كتاب «جان دي جوانفيل» Jean de Joinville (٢) عن حملة القديس لويس على مصر والشام ، وهو مدون أصلا باللغة الفرنسية القديمة . وقام الاستاذ الدكتور حسن حبشي بنقله إلى اللغة العربية . وقد عالج هذا الكتاب فترة من أهم فترات تاريخ مدينة صيدا فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى (أواسط القرن السابع الهجرى) إذ تناول بشىء من التفصيل الهجوم الذى تعرضت له صيدا من قبل المسلمين عام ١٢٥٣م / ٦٥١هـ ومحاولات القديس لويس الدفاع عنها ، وماأفرده من امكانيات كبيرة لتحصين المدينة . وذلك ماسكت عنه غيره من المؤرخين المعاصرين لهذه الفترة والمتأخرين عنهم زمنيا . ولكن ما يؤسف أن جوانفيل سكت عن وصف القلعة البرية التي أمر بتشييدها الملك الفرنسي فى مدينة صيدا والتى نسبت إليه . ولو كان جوانفيل

---

(1) Anonymous, Gesta Francorum Expugnantium Iherusalem, Cf. R.H.C. - H. Occ, t. III, pp. 507-508, 542-543.

(٢) ولد حوالى عام ١٢٢٤ م ، وكان أحد فرسان الملك الفرنسى لويس التاسع أثناء حملته على مصر والشام في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى (منتصف القرن السابع الهجرى) . ولمزيد من التفاصيل عن جوانفيل انظر جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على الشام ص ٣ — ١٦ ، حسن حبشى : القديس لويس : حملاته على مصر والشام ص ٤ — ٥ ، السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٥٣ — ١٦٠ .

قد أمدنا بوصف لهــذه القلعة لقدام سردا تاريخيا رائعا يفوق ماقدمة غيره من الكتاب ، وذلك بصفته شاهد عيان لاحداث هذه الفترة ومعاصرا لبناء القلعة . ومن أقرب المقربين إلى الملك لويس نفسه .

وبجانب هذا ، يوجد مصدر آخر مكتوب باللغة الفرنسية القديمة لصاحبة روبرت كلارى Robert Clary (١)قام الاستاذ الدكتور حسن حبشي بنقله إلى العربية تحت اسم «فتح القسطنطينية على يد الصليبيين» . وجــدير بالذكر أن المؤرخ لم يكن دقيقا في وصفه لبعض الوقائع والأحداث . ويبدو أن معلوماته التاريخية يشوبها التشويش والأضطرب وغير مكتملة الأمر الذى جعله يقع في العديد من الأخطاء التاريخية رغم أنه كان أحــد شهود العيان لما رواه ، وذلك عندما أشار بأن البلاد الصليبية كلها قد ضاعت على الصليبيين عقب موقعة حطين ماعدا صيدا وعسقلان ، مما يتنافى والواقع التاريخى (٢) .

وإلى جانب المصادر التى أشرنا اليها توجد أيضا « مجموعة تشريعات مملكة بيت المقدس « Assises de Jerusalem » ، وهى تقسم فى جزئين مكملين لمجموعة مؤرخى الحروب الصليبية . وقد استفدنا منها كثيرا على امتدادالكتاب فكان لكتب كل من حنا دى ابلين Jean d'Ielin ، وجاك دى ابلين

(١) المعلومات التاريخية عن هذا المؤرخ ضئيلة . وسبب ذلك أنه كان من الطبقــة الشعبية ثم لم يرق إلى المــكانة التى توفر له من يعنى به العناية الجــديرة بمواهبه . وقد اشــترك فى الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية ، وشاهد بنفسه سقوطها فى أيدى اللاتين . ولمزيد من التفصيلات انظر حسن حبشى : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ص ٣٣ — ٤٣ .

٢) ناقشنا هذا الموضوع بصورة تفصيلية فى الفصل الثانى .

وفيليب دى نافار Philippe de Navarre ، Jacqued 'Ibelin بجانب كتاب « جداول أنساب ماوراء البحر «Les Lignagesd'Outre mer» — كان لكل هذه التآليف أكبر الأثر بالنسبة لموضوع البحث . فعرفنا من خلالها تقسيم البارونيات داخل مملكة بيت المقدس مع اعتبار صيدا إحدى هذه البارونيات التى أصبح الحكم فيها وراثيا فى آسرة يوستاش جارنييه . كما زودتنا بمعلومات كثيرة تتعلق بحقوق وواجبات بارونات صيدا ، تجاه الملك الصليبى داخل المملكة اللاتينية ، وما إلى ذلك من تشريعات ووقائع تاريخية أشرنا اليها فى مواضعها فى الكتاب.

ونضيف إلى هذه المصادر كتابين هامين يحملان اسم « زهور التاريخ Flowers of History أولهما لروجر أوف وندوفر (١) Roger of Wendover والثانى لمتى أوف وستمنستر Matthew of westminister ورغم أن الأول قد تعرض للفترة موضوع للبحث فى اسطر قليلة ، إلا أنها كانت تتميز بقيمتها التاريخية . فمثلا أوضح بصراحة أن رينالد صاحب صيدا كان أحد الفارين من موقعة حطين الأمر الذى أكد اشتراك صيدا بقوتها فى هذة

---

(١) ينتسب الى مدينة وندوفر احدى مدن مقاطعة باكنجهام بانجلترا ، وكان يشغل وظيفة مرتل فى أحسد الأديرة ، وأخذ يتنقل فى مناصب السلك الكنسى حتى وصل الى منصب رئيس دير بلفدار الملحق بدير سانت البينى Albeney ، وكان ذلك فى عصر الملك حنا ملك انجلترا (١١٩٩ ، ١٢١٦م). ومات روجر عام ١٢٣٧ م ، وينقسم كتابه الى ثلاثة أجزاء : الأول يبدأ من بدء الخليقة ويستمر حتى عام ٤٤٧م ، والثانى ينتهى بحوادث عام ١٢٠٠م ، والثالث ينتهى بأحداث عام ١٢٣٥م انظر :
Roger of Wendover, Flowers of History, t. I,pp. V–VII.

الموقعة . كما أوضح دورا صيدا في تحسين العلاقات بين الملك اللاتيني عمورى وجماعة الحشيشية بالشام . ولكن رغم ذلك يؤخذ عليه الخطأ الذى وقع فيه عندما أدرج واقعة استيلاء الصليبيين على مدينة صيدا ضمن أحداث عام ١١١١م / ٥٠٥هـ . هذا بجانب أنه أغفل ذكر كثير من الحوادث الهامة الأخرى المتعلقة بالبارونية . فعلى سبيل المثال لم يشر ، ولو فى أسطر قليلة ، إلى الحصار الصليبى لمدينة عسقلان عام ١١٥٣م/ ٥٤٨ هـ والدور الذى قام به جيرارد بارون صيدا . أما بالنسبة للكتاب الثانى فهو للكاتب الانجليزى متى أوف وستمنستر Matthew of Westministen (١) وهو يعتبر من كبار كتاب أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى (أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن الهجرى) وتنتهى حوادثه بعام ١٣٠٧م . ورغم أن اشاراته عن الفترة موضوع البحث كانت سريعة ومقتضبة ، إلا أن لها قيمتها فى ربط الوقائع والأحداث وكنا ننتظر منه بصفته معاصرا لأحداث أواخر القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القرن السابع الهجرى) ، أن يمدنا بصورة دقيقة عن أحوال بارونية صيدا فى ذلك الوقت ومدى علاقة حكامها من جماعة الفرسان الداوية بجيرانهم المسلمين الموجودين فى الشرق الأدنى . ولكنه سكت عن ذكر هذه الأحداث مما لانجد له تبريرا معقولا .

---

(١) هو أحد الرهبان البندكتيين ، وينتسب الى مقاطعة وستمنستر فى انجلترا ، وذاع صيته فى بداية القرن الرابع عشر الميلادى وقد اعتمد فيما كتبه على مؤلفى روجر أوف وندوفر ومتى الباريزى اللذين عاشا فى القرن الثالث عشر الميلادى . انظر :
Matthew of Westminister, The Flowers of History, t. I, pp. I-III.

وكان « الوثائق الأرمينية » التى تقع فى جزئين ضمن « مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية » أهمية كبرى . قد استقينا منها مادة من الطراز الأول ومن أهمها كتاب « أعمال القبارصة » Les Gestes des Chiprois لأحد المؤرخين المجاولين ، وكتاب « خلاصة تواريخ بلاد الشرق» «La Flor des Estoires de la Terre d 'Orient » للمؤرخ الأرمينى « هيتون » . فقدعالج كل منها بشيء من التفصيل كثيرا من الوقائــع المتعلقة بطبيعة العلاقات بين الصليبيين الموجودين فى صيدا والمسلمين المجاورين لهم فى الشرق الأدنى خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى (النصف الثانى من القرن السابــع الهجرى) . فمثلا أوضح المؤرخ الأول مدى التعاون بين الصالح اسماعيل ملك دمشق وجوليان صاحب صيدا ، وما ترتب على ذلك من تنازل الأول للثانى عن حصن شقيف أرنون فى عام ١٢٤٠م / ٦٢٨هـ . كما برع أيضا هو والمؤرخ هيتون فى تصوير أسباب العداء الذى نشب بين جوليان صاحب صيدا والقوات المغوليه فى الشام، وما ترتب على ذلك من وقوف الصليبيين وعلى رأسهم صاحب صيدا والمسلمين وعلى رأسهم سيف الدين قطز ملك مصر جبهة واحــدة ضد جحافل المغول الذين كانوا يمثلون خطرا مشتركا على كليهما .

وإلى جانب هذين الكتابين اطلعنا على كتاب « الجدول الزمنى » لهيثوم الارمينى Hethoum ، وحولية متى الرهوى Matthieu d'Edess . وكنا ننتظر من « متى » بعد أن أشاد تفصيلا إلى حصار الصليبيين لمدينة بيروت ثم استيلائهم

(١) هو شاعر نورمانى الأصل تابع للبلاط الملكى الانجليزى ، رافق الملك ريتشارد فى حملته للشرق ولمزيد من التفصيلات عنه انظر نظير سعداوى : ثلاثة من مؤرخى الحروب الصليبية ص ٢٠ .

عليها عام ١٠٩٠م / ٤٠٠ هـ ، كنا ننتظر أن يوضح قصة استيلائهم على مدينة صيدا فى ذات العام ولو فى اسطر قليلة ، ولكنه أغفل ذكر ذلك . كما أنه لم يتعرض لسرد تاريخ هذه المدينة بعد أن استولى عليها الصليبيون إلا فيما يتعلق باختيار صاحبها يوستاش جارنييه نائبا عن الملك بلدوين فى حكم مملكة بيت المقدس طوال فترة وقوعه فى الأسر .

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر بعض المصادر الأجنبية الأخرى التى رجعنا اليها وأفدنا منها فى جوانب متعددة من البحث ، ويبدو أثرها جليا فى ثنايا البحث . نضرب مثلا لذلك بمؤلف أمبرواز Ambroise صاحب كتاب «حملة رتشارد قلب الأسد الصليبية » . إذا أوضح بصورة جلية اللقاءات العديدة التى تمت بين رينالد صاحب صيدا والسلطان صلاح الدين بشأن اقرار السلام بينهما . وكلها تتفق تماما مع ماذكره غيره من المؤرخين المسلمين المعاصرين لأحداث هذه الفترة من الزمن .

وهناك أيضا المؤلف المعروف باسم « حوليات الأراضى المقدسة » الذى تناول الفترة الممتدة من سنة ١٠٩٥م حتى سنة ١٢٩١م ، ولكن بشىء من الايجاز وقد قام بنشره كل من روهرشت Rohricht ورينو Rainaud وكذلك كتاب لادولف «adolph» المسمى « وصف الأراضى المقدسة» La Description of the Holy Land وهو يعد من أهم الكتب الجغرافية التى تخصصت فى وصف البلاد المقدسة . ويضاف إلى ماتقدم كتاب «الطريق إلى آسيا الصغرى وبيروت «A L 'A'as et a Beyrouth» للكاتب اللاتينى كورنيليو دى سيمونى Gorrelio Desimoni . وإلى جانب هؤلاء الكتاب يوجد عدد آخر من الرحالة اللاتين الذين زاروا المنطقة ودونوا مشاهداتهم وملاحظاتهم فى كتب ومؤلفات لاتزال باقية إلى اليوم تزود الباحث بقدر لا بأس به من المعلومات

التى تتصل بموضوع البحث . ومن هؤلاء بيركارد من جبل صهيون Burchard of Mount Sion (١) ، ومارينو سانوتو «Marine Sanuto» (٢) ، والرحالة البندقى ماركو بولو Marco - Polo الذى زار الشام فيما بين عامى ١٢٧٠ و ١٢٧١م (٦٦٩ - ٦٨٠هـ) .

وثمة مسألة جديرة بالتسجيل عند استعراض الأصول الأوروبية المعاصرة للفترة موضوع البحث واللاحقة لها ، وهى أن المؤرخين المسيحيين من أرمن ولاتين وغيرهم كانوا على المام لا بأس به بأحوال العالم الاسلامى آن ذاك . بل لقد انفرد بعضهم أحيانا بذكر أحداث لم تذكرها بعض الأصول العربية على الرغم من أهميتها بالنسبة للعلاقات الصليبية الاسلامية آنذاك . ومن ذلك

---

(١) ألماني الأصل عاش فى القرن ثالث عشر الميلادى وزار مصر وسورية ودون مشاهداته عام ١٢٨٠م ويرى البعض أنه مكث حوالي عشر سنوات فى الاراضى المقدسة والحقيقة أنه لم يمكث سوى سنتين ، أنظر عن ذلك :

Burchard, A Description of the Holy Land, pp. III-IV.

(٢) يطلق عليه أحيانا مارينو سانودو Sanedo وهو ينتمى الى احدى العائلات الشريفة فى البندقية . وقد سجل مشاهداته اعتبارا من أواخر القرن الثالث عشر الميلادى حتى عام ١٣٢١م وذلك بعد زيارته للشرق انظر :

Marino Sanuto, Secrets for the Crusades to help them to recover the Holy Land pp III-IV.

(٣) ولد عام ١٢٥٤ م فى البندقية وهو ينتمى الي احدى العائلات الشريفة بها ، وكان منذ صغره شغوفا بحب المغامرات وقد زار عدة بلاد ودون مشاهداته عنها فى رحلاته . ولمزيد من التفصيلات انظر :

Travels of Marco- Polo, pp. VII-XII.

اتجاه أنظار الصليبيين لمدينة صيدا سنة ١٠٠٩م/٩٢ ٤هـ ، والصراع الذى نشب بين المسلمين والصليبيين فى صيدا أثناء اقامة القديس لويس فى الشام فى الفترة من سنة ١٢٥٠ إلى سنة ١٢٥٣ (من سنة ٦٤٨ إلى سنة ٦٩١ هـ) ، والغارة الوحشية التى قام بها المغول على مدينة صيدا سنة ١٢٦٠م/٦٥٩هـ وماترتب على ذلك من وقوف جميع بارونات المملكة اللاتينية وعلى رأسهم جوليان صاحب صيدا مع سيف الدين قطز ملك مصر ضد القوات المغولية وما إلى ذلك من بيانات ومعلومات تخدم ناحية من نواحى البحث وتسد الكثير من الفجوات والثغرات فيه .

وليس معنى ذلك أن المصادر العربية من معاصرة وغير معاصرة تعتبر ثانوية بالنسبة لنا فمن الانصاف القول بأن فيها مادة ممتازة فيما يتعلق بأحوال الشرق الأدنى الإسلامى آنذاك وتطور العلاقات بين الصليبيين والمسلمين . وقد استعنا على بحث هذه النواحى بعدد غير قليل من المخطوطات العربية التى لم تر النور حتى الآن . هذا ، عدا المصادر الأخرى المطبوعة التى تتميز بدسامة مادتها .

وجدير بالذكر ، أنه رغم تعدد المصادر العربية التى تحدثت عن الموضوع ، سواء أكان ذلك فى لمحات سريعة أو بشيء من التفصيل ، إلا أننا فى كثير من الأحيان لانخرج إلا بصورة واحدة تكاد لاتتغير وهى الصورة التى رسمها المصدر الأصلى التى نقلت عنه باقى المصادر الأخرى . ولعل السبب فى ذلك ما درج عليه المؤرخون العرب من أخذ الواحد منهم عمن سبقه أخذا قد يكون حرفيا فى كثير من الأحيان وإن كان هذا هو المنهج المتبع عند الكتاب المسلمين وقتذاك إلا أن تلك المصادر كانت ذات فائدة كبرى فيما يتعلق بحفظ كثير من النصوص الهامة التى لم يعثر عليها فى مصادرها الأصلية . فكثيرا ما وردت فى بعض المصادر المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع البحث معلومات

وشذرات متناثرة هنا وهناك لم ترد فى المصادر الأصلية نفسها ولعلها قد نقلت عن كتب قديمة فقدت أو اندثرت فحفظتها لنا هذه المصادر من الضياع .

وثمة ملاحظة أخرى هامة أثارت انتباهنا عند استعراض كافة المصادر الأصلية العربية المعاصرة أو المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع البحث ، تتعلق بسكوت المؤرخين العام عن ذكر جهاد كل من عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ضد الصليبيين الموجودين فى صيدا باستثناء بعض الاشارات الموجزة تتعلق باهتمام نور الدين بشن بعض الغارات على المدينة ، عندما كلف أسد الدين شيركوه القيام بهذه المهمة . كما أن هـذه المصادر لم تشر إلى أى محاولة من جانب هذين المجاهدين بقصد فتح مدينة صيدا وإعادة ملكيتها للمسلمين مرة أخرى ، خاصة وإن المدينة كانت تتمتع بموقع استراتيجى ممتاز له أهميته بالنسبة للجانب الإسلامى فضلا عن أن ثغرها كان له أهمية كبيرة كحلقة صلة بين الصليبيين الموجودين في المنطقة وبين غرب أوروبا شأنه شأن سائر الثغور الصليبية الأخرى . وعلى هذا فان الاستيلاء عليه يعنى نقص حجم الامدادات المحتمل وصولها اليهم من الغرب عن طريق هـذا الثغر ، مما قد ينجم عنه حدوث ارتباك اقتصادى داخلى للمدن الصليبية بصفة عامـة ولصيدا بصفة خاصة . ولعل السبب فى عدم اقدام هذين المجاهدين على فتح هـذه المدينة وإعادتها إلى قبضة المسلمين مرة أخرى ، أنها كانت فى ذلك الوقت محصنة تحصينا قـويا بحيث يصعب الاستيلاء عليها ، ويكون حصارها ومحاولة الاستيلاء عليها بمثابة مغامرة غير مضمونة النتائج . أو لعل المدن الصليبية الأخرى التى وجه لهـا هذين البطلين اهتمامهما كانت أكثر أهمية فى نظرهما ، ويكون كل منهما قد أجل غزو مدينة صيدا إلى حين آخـر . ولكن كانت المنية أسرع من أن يحقق أى منهما هدفه فى هذه الناحية .

وإذا انتقلنا من التعميم إلى التخصيص ، نقول ان من أهم مؤلفات القرن الثانى عشر الميلادى (القرن السادس الهجرى) التى رجعنا اليها « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى (١) ، الذى يعتبر مرجعا أصليا فى تاريخ الشرق الأدنى منذ بداية القرن السادس الهجرى (بداية القرن الثانى عشر الميلادى) . ويمتد الكتاب حتى عام ٥٥٥ هـ/١١٦٠م متخذا من مدينة دمشق محورا للحوادث . ولقد ألقى ابن القلانسي الضوء على تاريخ مدينة صيدا ولكن دون اسهاب ، إذ اقتصر على ذكر لمحات سريعة مركزة . ورغم ذلك فقد أفادنا فى كثير من الأحيان ، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بوصفه البرج الذى استخدمه الصليبيون في حصار مدينة صيدا والاستيلاء عليها عام ١١١٠م/٥٠٤هـ . فكان وصفا دقيقا أعطى البحث قيمة تاريخية بصفته شاهد عيان لأحداث ذاك الزمان . وربما لو طالت به الحياه لأوضح تفاصيل أخرى كثيرة عن طبيعة العلاقات التى قامت بين الصليبيين فى بارونية صيدا وجيرانهم المسلمين فى الشرق الأدنى .

واعتمدنا أيضا على كتابى « الفتح القسى فى الفتح القدسى » و « تاريخ

---

(١) هو أبو يعلى حمزة بن راشد التميمى الدمشقى . ولد عام ٤٧٢ هـ / ١٠٧٩ م ، ينتمى الى أسرة دمشقية ، وبعد أن فرغ من دراسة علوم الدين والآداب شغل مناصب ادارية فتولى ديوان الانشاء ثم صار رئيسا لدمشق مرتين . توفى فى جمادى الأولى عام ٥٥٥ هـ/مايو ١١٦٠ م . انظر ابن رسول: نزهة العيون فى تاريخ طوائف القرون ج ١ ورقة ٣٨٢ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٤ ص ١٧٤ راجع أيضا السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٢ ومن المراجع الأجنبية انظر :

Gabrieli, Arab Historians of the Crusades, pp. XXVI-XXVII.

دولة آل سلجوق ، لصاحبهما عماد الدين الأصفهانى (١). والكتاب الأول منشور وقام بتحقيقة محمد محمود صبيح . ورغم أنه يعتبر سجلا حافلا لما قام به صلاح الدين من جهاد وحروب ضد القوى الصليبية فى المنطقة منذ عام ٥٨٣ حتى عام ٥٨٩ هـ (منذ عام ١١٨٧ حتى عام ١١٩٣م) ، ورغم أن صاحبه شاهد عيان لكل ماجرى من وقائع وأحداث إلا أنه مرمرورا سريعا على كثير من الأحداث دون أن يجد أى تبرير لذلك . فمثلا لم يوضح خطة السلطان صلاح الدين فى حصار مدينة صيدا واستعادته لهـا بعد موقعة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ . كما أنه غفل عن ذكر أى أحداث أخرى ترتبط بعلاقة السلطان صلاح الدين بالحكام الصليبيين فى بارونية صيدا أثناء خضوعها للصليبيين وبعد استيلاء المسلمين عليها ، وذلك باستثناء ما ذكره عن المحادثات التى تمت بين السلطان الأيوبى وزينالد صاحب صيدا عـام ١١٨٩م/٥٨٥ هـ بشأن تسليم حصن شقيف أرنون اليه . ولا ندرى أن كان هـذا السكوت بسبب سرية المحادثات وغموضها أم لأسباب أخرى مجهولة وإن كنا نستبعد

---

(١) ولد عام ٥١٩هـ/١١٢٥م. دخل فى خدمة نور الدين محمود فى ديوان الانشاء ولما مات نور الدين سافر الى حلب وعندما بلغه وصول صلاح الدين دمشق وأخذها عاد الى الشام وصلاح الدين على حلب فمدحه ولزم ركابه الى أن استكتبه ومال اليه وطالعه على سره . وكان يضاهى الوزراء . وبعد وفاة صلاح الدين اختلت أحواله ولم يجد فى وجهه بابا مفتوحاً فلزم بيته حتى توفى عام ٥٩٧هـ/١٢٠١ م . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٨ ، الصفدى الوافى بالوفيات ص ١٣٢ ـ ١٤٠ . العماد الأصفهانى : الفتح القسى ـ تحقيق محمد صبيح ص ١٧ ـ ٣٧ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٤ ص ٣٢٢ راجع كذلك نظير سعداوى : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ص ١٩ ـ ٢٨ السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

السبب الأول لأن الأصفهانى كان محل ثقة السلطان صلاح الدين . وربما يكون سكوت هذا المؤرخ عن ذكر كثير من الوقائع والأحداث يرجع إلى عدم حدوث معارك أو اتصالات بين الطرفين قبل تملك المسلمين لها بسبب انشغال السلطان صلاح الدين فى تجميع شتات المسلمين والاستعداد للمعركة الفاصلة بين الطرفين . أما الكتاب الثانى فهو عبارة عن منتجات مختصرة من مخطوطة « نصرة الفترة وعصر القطرة » . ورغم أن الكتاب متخصص فى تاريخ السلاجقة ، إلا أنه لم يشر إلى توسعاتهم وأطماعهم الخارجية في بلاد الشام ، فقد أشار إلى أحوال السلاطين والوزراء السلاجقة . ولم يفدنا بشىء ذى قيمة مثل اهتمام أولئك الحكام بصيدا واستيلائهم عليها عام ١٠٧٨م/٤٧١هـ وكذلك نجاح الوزير الفاطمى بدر الجمالى في استردادها منهم عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٩م .

وبجانب هذين المؤلفين الكبيرين يوجد كتاب « الأعتبار » لابن منقذ[1] (ت.٥٨٤هـ - ١١٨٨م) الذى كان على صلة كبيرة بمختلف القوى فى الشرق

---

(١) ولد فى جمادى الآخر عام ٤٨٨هـ/ يونيو ١٠٩٥م. نشأ على ضفاف نهر العاصى بجوار حماه . قضى معظم شبابه فى بلاط نور الدين محمود بدمشق ، وفى قصر الخليفة الفاطمى بالقاهرة ، وغالب سنى كهولته فى الدار الأتابكية بالموصل . وتعرف شخصيا بكثير من الزعماء الصليبيين ، وخصه صلاح الدين بعطفه . وآخى الفرنج ولاسيما الفرسان منهم فى وقت السلم ، وقاتلهم فى وقت الحرب ، وكتابه يتضمن خلاصة تجاربه ، وكل ما صادفه فى حياته من أحداث .وعلى الرغم من أنه ألفه فى شيخوخته إلا أنه ينبض بروح الشباب . أنظر ابن منقذ : الاعتبار ـ تحقيق فيليب حتى ص أ ـ ك ، الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص١٩٦ ، زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص٩٥ راجع أيضا
Gabrieli Arab Historians of the Crusades, pp. XXVII-XXVIII

الأدنى في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادى (النصف الأول من القرن السادس الهجرى) . ولكنه مع الأسف لم يذكر شيئا عن المدى الذى وصلت اليه العلاقات بين باروية صيدا تحت ظل حكم اللاتين لها والمسلمين فى الشرق الأدنى فى الفترة موضوع البحث . فرغم كثرة ما ذكره عن المعارك التى دارت رحاها بين الأفرنج والمسلمين ، إلا أنه لم يذكر ولو فى اشارة واحدة عابرة ما يفيد دخول صيدا فى احدى المعارك التي سجلها . وعلى هذا أخذ وصفه صفة العموم . وكنا نتوقع منه المزيد من التفصيلات التي ضن علينا بها غيره من المؤرخين ، خاصة وأنه كان شاهد عيان لمجرى أحداث الشطر الأكبر من القرن الثانى عشر الميلادى (معظم القرن السادس الهجرى) . ويعتبر كتابه بمثابة سرد طويل لذكرياته ومغامراته الطريفة مع الأفرنج ، فضلا عما ذكره عن كثير من عاداتهم وتقاليدهم . ومن بين مانشر أيضا من مراجع هذا العهد كتاب « رحلة بنيامين » للرحـالة الأندلسى بنيامين التطيلى (١) . وقام بترجمته عن الأصل العبرى عزرا حداد . وهو كتاب له قيمته لما أحتواه من معلومات قيمة فى أحوال العالم بصفة عامة ، والشرق والأدنى بخاصة ، فى فترة من أدق الفـترات التاريخية فى العصر الوسيط . ونعنى بذلك القرن السادس الهجرى (القرن الثانى عشر الميلادى) مما جعل الكتاب المذكور فى مصاف أهم الرحلات القديمة والمصادر التاريخية المعروفة .

---

(١) هو بنيامين بن الربى يونه التطيلى النبارى . وقامت دراسة كبيرة حول أصله ونشأته ومركزه العلمى والاجتماعى ، ولكنها لم تصل الي شيء قاطع محدد . وقد جال المدن البعيدة وسجل مشاهداته والامصار التى مر بها ، أو مانقــله عن الثقات ذوى الأمانة المعروفين لدى يهود أسبانيا . ودون هذا الـكتاب فى قشتاله عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م . ويقال أنه توفى فى هذا العام . لمزيد من التفاصيل انظر : رحلة بنيامين ص٢٢ وما بعدها .

ومن أهم المخطوطات التى ترجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجرى) والتى أستعنا بها « مخطوطة « زبدة الحلب فى تاريخ حلب » لابن العديم (ت ٦٦٦ ﻫ / ١٢٦٧ م) (١) التى لم ينشر منها سوى الجزء الأول ولقد أفدنا منها فى مواطن عديدة من البحث كان معاصرا لمعظم أحداث القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجرى) ، إلا أنه تجاوز عن ذكر تفصيلات عديدة لو كان قد ذكرها لأمدتنا بمادة علمية طيبة ، خاصة وأنه كان شاهد عيان لكثير من أحداث ذلك الزمان نضرب مثلا لذلك بحـــادثة أستيلاء الصليبيين على صيدا للمرة الثانية عام ١٢٠٧ م / ٦٠٤ ﻫ ، كذلك محاولة الملك الصالح أسماعيل صاحب دمشق غزو حصن شقيف أرنون وتسليمه إلى جوليان صاحب صيدا عام ١٢٤٠ م / ٦٣٨ ﻫ .

كذلك توجد مخطوطة « الأعـلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين » الحريرى (٢) . ورغم أنه كان معاصراً لأحداث هذا القرن إلا أنه لم يمدنا بالقدر الكافى من التفصيلات الخـاصة بموضوع البحث . وأكتفى بذكر مضمون الأحـداث دون الخوض فى تفاصيلها ، وذلك باستثناء ماذكره عن محاولة السلطان المملوكى الظاهر بيبرس فتح حصن شقيف أرنون عـــام ١٢٦٧ م / ٦٦٥ ﻫ . وقد أختلف مـــع غيره من المؤرخين فى ذكر الخطة التى

---

(١) هو كمال الدين أبو القاسم عمر ابن أحمد بن هبة الله أبى جرادة العقيلى الحلبى. ولد عام ٥٨٠ ﻫ/١١٨٤م . جمع تاريخا لحلب فى نحو ثلاثين مجلدا . وقد ناب فى سلطنة دمشق لفـترة من الزمن . وتوفى فى مصر عام ٦٦٦ﻫ/١٢٦٧م ، ودفن بسفح المقطم . أنظر العماد الحنبلى : شذرات الذهب ﺟ ٥ ص ٣٠٢ .

(٢) غير معروف تاريخ وفاته على وجه التحديد .

أتبعها السلطان بيبرس في الاستيلاء على الحصن . وأغفل ذكر الهدنة المبرمة بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صيدا وعكا وعثليث عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م .

وبين ما نشر من مراجع هذا العهد كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير (١) . (ت . ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م) . وقد تعرض لتاريخ مدينة صيدا من خلال تدوينه العام للحوادث التاريخية على امتداد الكتاب . ولكنه ضن على الباحثين بالكثير من المعلومات التى كانت تساعد على القاء الكثير من الأضواء على العديد من القضايا البحث ومشاكله . وفهو لم يذكر الا قشور الحوادث في بعض الأحيان . وعلى سبيل المثال لم يوضح بصورة تفصيلية كيفية أستيلاء الصليبيين على مدينة صيدا للمرة الثانية عام ١٢٢٧ م / ٦٢٤ هـ ، خاصة وأنه كان شاهد عيان لهذا الحدث ، بل أقتصر على ذكر الحادثة نفسها دون الاسهاب فيما يتعلق بدقائقها . ومن الملاحظ أن ابن الأثير لم يراع تحديد أسماء المدن الصليبية المشتركة فى أى من المعارك الحربية التي خاضعها ضد القوى الاسلامية فى المنطقة مما يسهل على الباحث تحديد الدور الذى قامت به مدينة صيدا .

---

(١) هو أبو الحسن على بن أبى الكرم الملقب بعز الدين ، والمعروف بابن الأثير ، ولد عام ٥٥٥ هـ/١١٦٠م فى الجزيرة ونشأ بهـا ثم سار الى الموصل واستقر بها . وكان أماما فى حفظ القرآن والحديث ، وحفظ للتواريخ المتقدمة والمتأخـرة . وتوفى عام ٦٣٠هـ/١٢٣٣م عن ٧٥ عاما . انظر ابن خلكان : : وفيات الاعيان جـ ٣ ص٣٣ — ٣٥ العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٣٧ ، ابن دقماق : نزهة الانام لوحة ٤٣ انظر ايضا نظـير سعداوي : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ص ٦ — ١٤ ، السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ص ٢٠٤ — ٢١٧ .

وأكتفى باستخدام عبارات عـــامة بجملة توحي باشتراكها دون الافصاح عن ذلك صـــراحة مثل « أشتراك كل فرنج الساحل » و « وقد خرج الراجل والفارس » إلى مثـــل هذه العبارات . ويؤخذ على أبن الأثير أنه لم يذكر مصادره الأصلية التى أخـذ عنها ، لدرجة أصبح البحث عنها من أشق الأمور وأعزها منالا . ويبدو أنه كان متعمداً فى تضليل القارىء بدليل قوله فى هذا الصدد « ثم ذكر أصحاب التواريخ » و « حكي أن بعض الحكماء بالانساب والتواريخ قال ... » وكان فى مقدوره أن يذكر أسماء هؤلاء جميعـا وأسماء تواريخهم التى أشاروا اليها بـــدلا من ذكر تلك العبارات التى تشق الباحث فى سبيل الكشف عنها (١) .

وإلى جـــانب ابن الأثير يقف ابن شداد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٦ م) (٢) صاحب كتاب النوادر السلطانية والمحـاسن اليوسفية . ويلاحظ أن مؤلفه مختصر للغاية ، ولم يتوسع فى ذكر بعض التفصيلات التى تتعلق بأحداث الفترة موضوع البحث . فمثلا لم يزودنا ببيان مفصل عن كيفية أسترداد صلاح الدين

---

(١) نظير حسان سعداوى : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ص ١٠ .

(٢) هو أبو المحاسن يوسف بن تميم بن عقبة الأسدى المعروف بأبن شداد الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعى . ولد فى الموصل عام ٥٣٩هـ/١١٤٥م ، ونشأ نشأة دينية ، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين عام ٥٨٤هـ / ١١٨٨م وولاه قاضيا عليها عام ٥٩١هـ/١١٩٥م ، وتوفى عام ٦٣٢هـ/١٢٣٦م انظر ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٧ ١٧٦ ـ ٩٧ ، ابن دقماق : نزهة الأنام فى تاريخ الأسلام لوحة ١٨ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب ج ٥ ص ٥٨ راجع أيضا : نظير حسان سعداوى : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ص ١٤ ـ ١٩ ، السيد الباز العرينى : مؤرخو الحروب الصليبية ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

لمدينة صيدا عام ١١٨٧ م / ٨٣ ٥ هـ عقب موقعة حطين ، وإنما أكتفى بذكر ذلك عرضيا ضمن أحداث العام المذكور . كما أنه لم يوضح موقف السلطان من الحكام الصليبيين في صيدا قبل أستردادها وكنا نتوقع منه تغطية الكثير من هذه الاحداث التي لم يبت فيها برأى قاطع محدد حتى اليوم . ومع ذلك أفادنا كثيراً فيما ذكره عن المحاور التي تمت بين السلطان الأيوبي وبين رينالد صاحب صيدا عند حصار المسلمين لحصن شقيف أرنون التابع لبارونية صيدا عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . وكذلك بالنسبة للمناقشات التي تمت بين السلطان صلاح الدين من ناحية وبين كل من رينالد صاحب صيدا والمركيز كونراد دي مونتفرات صاحب صور من ناحية آخرى . فقد توخى الدقة في وصفه لها بصفته شاهدعيان لما دار في هذه المفاوضات مما يضفى على روايته صفة الوثائق الرسمية . وقد خص المؤلف الصفحات الأولى من الكتاب بالكلام عن أخلاق صلاح الدين وتدينه وشخصيته وما إلى ذلك من بيانات وافيه عنه . وقسم ابن شداد كتابه إلى قسمين : الاول يختص بمولده وشخصيته ونشأته وأوصافه ، والثاني تناول فيه تقلبات الاحوال به وغزواته وفتوحاته وجهاده ضد الفرنج وتواريخ ذلك إلى آخر حياته . والقسم الثاني هو الذى أستقينا منه مادتنا التاريخية .

أما سبط ابن الجوزى (١) (ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٧ م) صاحب كتاب مرآة الزمان

---

(١) هو سبط شمس الدين أبو المظفر يوسف قزاوغلى ، ولد عام ٥٨٢ هـ/١١٨٦ م في بغداد ، وكان أبوه عبدا تركيا ، ودرس في مسقط رأسه وأصبح مدرسا وكاتبا بدمشق . وتوفي عام ٦٥٤ هـ/١٢٥٧ م . وكتابه من بدء الخليقة وينتهي بعام ١٢٥٦ م . انظر ابن تغرى بردى : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى ج ٥ ورقة ٥٩١ .

فى تاريخ الأعيان » ، فقد قامت حكومة الهند بنشر الجزء الثامن منه . ورغم أن هذا المؤرخ يعتبر ناقلا عمن سبقوه من المؤرخين وفقا للمادة المتبعة ، ورغم أن درايته بالوقائع التي كانت واقعة على مسرح الاحداث وقتذاك ، إلا أنه كان بخيلا في عرض الحقائق وماهية العلاقات التى ربطت بين الصليبيين مدينة صيدا والمسلمين فى الشرق الأدنى . فمثلا في الوقت الذى أوضح فيه حصار الصليبيين مدينة صيدا عام ٥٠١ هـ / ١١٠٨م وفشلهم فى الاستيلاء عليها ، نراه لم يذكر أية تفصيلات تتعلق بحصارهم الاخير لهـا واستحواذهم عليها عام ١١٠ م / ٥٠٤ هـ . ثم نفاجأ بعد ذلك بتوضيحة للدور الذى قامت به صيدا كمصدرهام لإمدادات الصليبيين أثناء حصارهم مدينة صورعام٥٠٥هـ/١١١١م. ولانجد فى الواقع أى تبرير لهذا .

وهناك أيضا كتاب « الروضتين فى أخبار الدولتين » للمؤرخ أبى شامه (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) (٢). وقد امتاز هذا الكتاب بتضمنه مقتطفات كثيرة من كتاب « كنز الموحدين في سيرة صلاح الدين » لابن أبى طى الذى فقد ولم يصلنا . ورغم أن كتاب الروضتين متخصص فى تاريخ أحداث كل من

---

(٢) هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن عثمان بن محمد المقدسى المعروف بأبى شامه لوجود شامه على حاجبه الأيسر . ولد بدمشق عام ٥٩٩هـ/١٢٠٢م وتوفى عام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م . زار بيت المقدس عام ١٢٢٩/٦٢٤م. وله هذا: والذيل على الروضتين « الذي قام بنشره الاستاذ عزت العطار تحت اسم « تراجم رجال القرنين السادس والسابع » . وكذلك كتاب « الضوء السارى الى معرفة رؤية البارى » و « الباعث على أفكار البدع والحوادث » . انظر الكتبى : فوات الوفيات جـ ١ ص ٥٢٧ — ٥٢٨، السبكى : طبقات الشافعية جـ ٥ ص ٦١ — ٦٢ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٨ — ٣١٩ .

نور الدين محمود والسلطان صلاح الدين ، إلا أنه لم يمدنا بالقدر الكافي من الحقائق المتعلقة بمدى علاقة بارونات صيدا بكل من هذين البطلين . وكل ماذكره أثناء عهد نور الدين محمود تلك الغارة التى شنها أسد الدين شيركوه على مدينة صيدا عام ٥٨ ؛ و ١١٥٩ م (٥٥٣ و ٥٥٤ هـ) . أما بالنسبة لعلاقة صلاح الدين بالحكام الصليبيين في صيدا ، كان المؤرخ أكثر تفصيلا فى ذكره العديد من الاحداث ، فمثلا أمدنا بمعلومات طيبة عن موقف السلطان من رينالد صاحب صيدا أثناء حصار المسلمين لحصن شقيف أرنون عام ٥٨٥هـ / ١١٨٩ م . وكذلك الحال بالنسبة للمفاوضات التى تمت بين الطرفين لإقرار السلام بينهما على أن يتنازل السلطان لرينالد عن مدينة صيدا مقابل انضمامه إلى صفوف المسلمين . ولكن رغم ذلك تجاوز المؤرخ عن ذكر بعض الاحداث الهامة . فمثلا فى الوقت الذى أوضح فيه أمر المعاهدة التى ابرمت بين المسلمين والصليبيين عام ١١٩٨م /٥٩٤ هـ لمدة ست سنوات والتى تم بموجبها مناصفة صيدا بين المسلمين والصليبيين ، نجده يتجاهل ذكر تجديدها مرتين أخريتين لذات المدة ، الأولى سنة ١٢٠٤م / ٦٠٠م ، والثانية من سنة ١٢١٠م / ٦٠٤هـ حتى سنة ١٢١٧م /٦١٠ هـ ولكن بشروط جديدة تنازل بمقتضاها الملك العادل عن الجزء الخاص بالمسلمين فى صيدا للصليبيين .

ولا يفوتنا فى هذا المجال الإشارة إلى كتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان (١) فهو من المصادر الهامة التي رجعنا اليها . وقد جاء فى ثناياه ترجمة

---

(١) هو أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد المعروف بابن خلكان . ولد عام ٦١٨هـ/١٢١١م ، تفقه بالموصل وتولى قضاء الشام سبع سنوات ، ثم عزل عنها ولكنه عاد الى ذات منصبه بعد سبع سنوات أخرى . لمزيد من التفصيلات انظر الكتبي : فوات

اسير بعض رجال القرن السادس الهجرى (القرن الثانى عشر الميلادى) ، والمعروف أنه اعتمد فى ذلك على ما كتبه الآخرين من قبله أو ما سمعه هو بنفسه ممن عاصر تلك الأحداث ، ومن أهم هـــذه الشخصيات كل من الملك نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى . وإن كان لم يذكر شيئا ضمن سيرة الاول يتعلق بعلاقته بالصليبيين الموجودين فى صيدا ، إلا أنه أبرز هـــذه النقطة عند تعرضه لسيرة السلطان صلاح الدين . فكان دقيقا عند وصفه موقعه من رينالد صاحب صيدا أثناء حصاره لحصن شقيف أرنون عام ١١٨٩م / ٥٨٥هـ .

وهناك أيضا كتاب « رحلة ابن جبير » للرحالة الاندلسى ابن جبير(١) فرغم أنه لم يصل إلى مدينة صيدا ولم يصفها فى رحلة ، إلا أننا تمكنا من التعرف على بعض عادات وتقاليد الصليبيين الموجودين بها ، وكذلك بعض الأنظمة المالية والاقتصادية المتبعة بالمدينة ، وذلك من واقع المقارنات التى عقدها المؤرخ فى كتاباته عن النظم والعادات المتبعة فى المدن الصليبية الاخرى .

= الوفيات جـ١ ص ١٠٠ — ١٠١ ، مقدمة وفيات الاعيان جـ ١ ص ٤ — ١٦ ، العماد الحنبلى : شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣١٧ .

(١) ولد فى بلنسيه عام ١١٤٥م/٥٤٠هـ ، وابحر لاداء فريضة الحج عام ١١٨٣م/٥٧٩هـ وكان كاتبا لصاحب غرناطة . وبعد أن أنهى فريضة الحج اتجه الى العراق فالموصل فحلب فدمشق فعكا ثم صقلية . وفى عام ١١٨٥م/٥٨١هـ وصل غرناطة . ولكن الحنين الى الأسفار لم يلبث واستبد به بعد أربع سنوات ، فولى وجهه مرة أخرى قبل الشرق حيث قضى عامين آخرين . ومات وهو فى الثالثة والسبعين من عمره . لمزيد من التفصيلات انظر كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٥ ص ٢٠٩ — ٢١٠ . زكى محمد حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٦٩ - ٨٦ .

ونختم هذه المجموعة من مؤرخي القرن الثالث عشر الميلادي (القرن السابع الهجري بابن واصل (١) المتوفى في أواخر هــذا القرن . وكتابه منشور تحت اسم « مفرج الكروب في أخبار بني أيوب » ويمتاز هذا الكتاب بأنه تاريخ كامل لدولة بني أيوب في مصر والشام . وقد خص المؤلف الجزء الأول منه بذكر نسب بني أيوب ، ثم أرخ بعد ذلك في ايجاز لدولة الاتابكة ، ثم بدأ بالتاريخ العام لمنشأة الدولة الأيوبية . ووقف هذا الجزء عند وفاة نور الدين محمود عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م . أما الجزء الثاني فقد شمل عصر صلاح الدين كله وانتهى بموته عام ٥٨٩هـ/ ٩٣ م . وفي الجزئين الثالث والرابع استمر المؤرخ في ذكر الحوادث التاريخية في منطقة الشرق الأدنى حتى عام ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠م . ورغم أن الجزء الأول تضمن شرحا للاحداث التي تمت في عهد كل من عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، إلا أننا لانجد اشارة واحدة تتضمن أي محاولة من كليهما للهجوم على صيدا والعمل على انتزاعها من أيدي الصليبيين وربما يكون ذلك معقولا بالنسبة لفترة حكم عماد الدين ، إذ لم

---

(١) هو جمال الدين أبو عبد الله بن سالم بن واصل قاضي قضاة حماه . ولد عام ٦٠٤هـ/١٢٠٧م ، وطاف بلدان الشرق الأدنى الكبرى وعواصمه وخاصة دمشق وبيت المقدس وحلب وبغداد ومكة والقاهرة . وتم نشر كتاب « مفرج الكروب » في خمس اجزاء قام بتحقيق الثلاثة اجزاء الاول الاستاذ الدكتور جمال الدين الشيال . الجزء الثالث بأحداث عام ٦١٥هـ . أما الجزءان الرابع والخامس فتنتهي حوادثهما بعامي ٦٢٨هـ ، ٦٤٥هـ على التوالي وقد حققهما الدكتور حسنين محمد ربيع تحت اشراف الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور . وتولت نشره دار الكتب المصرية عام ١٩٧٢ ، ١٩٧٧ على التوالي . انظر جمال الدين الشيال : مقدمة مفرج الكروب ج ١ ص ٤ وما بعدها .

تساعدنا المصادر بشقيها الشرقي والغربي على اثبات علاقة مباشرة بينه وبين حكام صيدا لانشغاله في تجميع القوى الإسلامية واستعادة الأمارات الصليبية الأربع . أما بالنسبة لموقف نور الدين محمود فلا نجد تبريرا مناسبا يوضح سبب اغفال المؤرخ عن ذكر علاقته بالصليبيين الموجودين في بارونية صيدا ، خاصة وأنه من الثابت تاريخيا أن نور الدين محمود أعد غارة كبيرة عام ١١٥٨م/ ٥٥٣ هـ بقيادة أسد الدين شيركوه للانقضاض على صيدا ، وأسفرت عن قتل كثير من الصليبيين الموجودين بها ، فضلا عن تدمير المدينة وتخريبها . ورغم ذلك لانجد لها مكانا ضمن أحداث هذا السفر الهام .

ومن أهم مؤلفات القرن الثامن الهجرى (القرن الرابع عشر الميلادى) التي خدمت جانبا من البحث أو زاوية من زواية كتاب « كنز الدرر وجامع الغرر » و « درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان » لابن أيبك (ت ٧٣٤هـ / ١٣٣٠ م) وإن كان الكتاب الأول قد احتوى على سرد الحوادث التاريخية على غرار نظام الحوليات المعروف ، إلا أن الكتاب الثاني بدأ بذكر الأنبياء منذ الخليقة حتى عام ٧٠٩ هـ . ونلاحظ أن الكتاب قد ركز تماما على مقاييس النيل طوال السنوات التي تعرض لذكر حوادثها فضلا عن أنه اقتصر على ذكر ملوك الدولتين الفاطمية والأيوبية في مصر فحسب . كما أن كتاباته كلها لا تتخذ الصورة التفصيلية عند ذكر الأحداث ، وانما اكتفى في معظم الأحوال بذكر الحادثة فقط دون التوسع في سرد تفاصيلها . فمثلا عندما تعرض لموضوع سقوط مدينة صيدا في أيدى المسلمين عام ١٢٩١م/٦٩٠هـ لم يذكر سوى أنها سقطت في أيدى المسلمين على أيام السلطان المملوكي الأشرف خليل دون الخوض في تفاصيل الحصار رغم أنه كان معاصرا لتلك الأحداث . ومع ذلك فقد استفدنا من مؤلفاته على امتداد فصول الكتاب ، خاصة وأنه انفرد

دون سواه بذكر احدى الحيل التى اتبعها السلطان الظاهر بيبرس بهدف الاستيلاء على حصن شقيف أرنون التابع لبارونية صيداعام ١٢٦٧م/٦٦٥هـ .

وهناك أيضا مخطوطة « نهاية الأرب فى فنون الأدب » للنويرى الكندى (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م) . وهى أولى الموسوعات التى ظهرت فى عصر سلاطين المماليك ، وتعرضت لمختلف العلوم والآداب والفنون . وقد بدأ المؤلف كتابه بالطريقة التقليدية المتبعة ، وهي سرد الحوادث التاريخية منذ بدأ الخليقة . وتعرض خلال سرده لأحداث القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين (القرنان السادس والسابع الهجريان) لبعض أحوال الصليبين في مدينة صيدا ، ومدى علاقاتهم بجيرانهم المسلمين فى الشرق الأدنى ، وعلى وجه الخصوص في كل من مصر والشام . وإلى جانب هذه الموسوعة الكبيرة توجد مخطوطة « الالمام بما جرت عليه الأحكام المقضية فى واقعة الاسكندرية » للنويرى السكندري الذى عاش فى أواخر القرن الثامن الهجرى (أواخر القرن الرابع عشر الميلادى) . وقد استفدنا منها فيما يتعلق باغارات الفرنج على مدينة صيدا بقصد السلب والنهب خلال هذا القرن . ومن بين ما نشر من مرجع هذا القارن كتاب « المختصر فى أخبار البشر » لأبى الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) ، وهو عبارة عن سرد الحوادث التاريخية منذ بدء الخليقة . ولكنه غفل عن ذكر أجزاء كثيرة من مواطن البحث فمثلا لم يذكر كلمة عن الغزوة الوحشية التى قام بها المغول على مدينة صيدا عام ١٢٦٠م/٦٠٩هـ والتي أنهت بتدميرها وتخريبها . كما أنه لم يوضح أخبار المعاهدة التى أبرمت بين السلطان بيبرس والفرنج عام ١٢٦٩ م / ٦٦٧ هـ بشأن مناصفة الحكم فى مدينة صيدا بينهما . وكذلك الحال بالنسبة للهدنة التى أبرمت بين السلطان المملوكي المنصور قلاوون وبين حكام صيدا وعكا وعثليث عام ٦٨٢هـ/١٢٨٣م

خاصة وانه كان معاصرا لها . وهناك أيضا كتاب « البداية والنهاية فى التاريخ » لابن كثير (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٧٣ م) . ومن الملاحظ أنه لم يتعرض لكثير من الحقائق التى تخدم موضوع البحث وتتصل اتصالا وثيقا به فسكت تماما عن ذكر وضع صيدا فى عهد خلفاء السلطان صلاح الدين الأيوبى ، وكذلك الحال بالنسبة للغارة المغولية التى أجتاحت المدينة ودمرتها عام ١٢٦٠م/٦٥٩هـ والمعاهدة المبرمة بين السلطان الظاهر بيبرس والفرنج بشأن مناصفة الحكم فى مدينة صيدا بين الطرفين . أما بالنسبة لما ذكره خاصا بأحوال البارونية ، فلم يكن أكثر من نتف وشذرات قليلة مبعثرة لا تشفى من غل .

وبجانب هذين المؤلفين توجد مؤلفات أخرى مثل « العبر فى أخبار من ذهب » و « دول الاسلام » و « تاريخ الاسلام » للذهبى (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م) و « الوافى بالوفيات » للصفدى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) وهو لم ينشر بعد . و « فوات الوفيات » لكتبى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » للسبكى (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) ، و « تتمه المختصر فى أخبار البشر » لابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) ، وهو يعتبر تكملة السلسلة التاريخية التى بدأ حلقاتها أبو الفداء فى كتابه الذى أسلفنا اليه . وجدير بالذكر أن كليهما أكتفى بسرد مضمون الحوادث التاريخية دون التوسع فيها ، فضلا عن أنهما لم يأتيا بجديد عمن سبقهما من الكتاب والمؤرخين .

أما بالنسبة لمؤلفات القرن التاسع الهجرى (القرن الخامس عشر الميلادى) فرغم أنها بعيدة زمنيا عن الفترة موضوع البحث ، الا اننا أخذنا منها من عدة نواح . ونذكر على سبيل المثال مخطوطة « الدر الثمين فى سيرة نور الدين » لابن قاضى شهبة (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، وهو كتاب عظيم الفائدة قام بنشره وتحقيقه الدكتور محمد زايد عام ١٩٧١ تحت اسم الكواكب الدرية فى

السيرة النورية . فرغم أن المؤلف تخصص في جمع سيرة نور الدين محمود ، الا أنه ضن علينا بذكر ما يتعلق بعلاقته بالصليبيين الموجودين فى صيدا فلم يتعرض الا لتلك الغارة التى شنها أسد الدين شيركوه على صيدا . بناء على أوامر نور الدين خلال عامى ١١٥٨ و ١١٥٩ م (٥٥٣ و ٥٥٤ هـ) . حقيقة أن العلاقات بين حكام صيدا ونور الدين محمود كانت غامضة فى ذلك الوقت ، الا أننا كنا نتوقع أن يولى مثل هذه العلاقات اهتماما خاصا يفوق غيره من المؤرخين الآخرين بصفته متخصصا فى جميع سيرته . وهناك أيضا مخطوطه « عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان » للعينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) (١) ، و« الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين » و « نزهة الأنام فى تاريخ الأسلام » لابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) ، و « فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر » لابن بهادر (غير معروف تاريخ وفاته) . ونضيف إلى هذه المخطوطات كتاب « العبر وديوان المبتدأ والخبر » لابن خلدون (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) (٢) وهو من الكتب العامة المطبوعة ، وكتب

---

(١) هو أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بدر الدين العينى . ولد ١٧ رمضان عام ٧٦٢ هـ / يوليو ١٣٦٠ م فى عنتاب بين مدينتى حلب وانطاكية . وكان والده يتولي منصب قاضي . وقد مارس دراسة الفقه وتمكن من معاونة والده فى مهام منصبه . ثم عين فى وظيفة قاضى القضاة الحنفية فى الديار المصرية عام ٧٨٤ هـ / ١٣٨١ م . وتوفى فى ذى الحجة ٥ م ٨٥٥ هـ / ديسمبر ١٤٥١ م . ولمزيد من التفصيلات أنظر العينى : مقدمة الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر ـ تحقيق هانز ارنست صح ط ، محمد مصطفى زيان المؤرخون فى مصر فى القرن ١٥ م ص ٢٠٣ ، ٢٢

(٢) هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون ، ولد عام ١١٣٢ م وتوفى عام ١٤٠٦ م . وارتبط صيته بمقدمته . ولمزيد من التفصيلات أنظر يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ص ١٠٦ — ١٠٣ .

« اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » و «السلوك لمعرفة دول الملوك» و «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» للمقريزي (٨٤٥ هـ/١٤٤٢م)(١) وقد غدا أولها من المراجع الرئيسية في تاريخ العصر الفاطمي ، والثاني في عصر الأيوبيين والمماليك . ويضاف إلى ما تقدم كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » لابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) ، وهو كتاب شامل لتاريخ مصر منذ الفتح العربي إلى اوساط القرن الخامس عشر الميلادي (اواسط القرن التاسع الهجري) . وقد اكتفى المؤرخ بذكر مضمون الحوادث التاريخية دون التوسع فيها . ويتضح ذلك عند تعرضه لاستيلاء الصليبيين على مدينة صيدا عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ ثم سقوطها في أيدي السلطان صلاح الدين عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ ، واخيرا سقوطها في ايدي المسلمين بصفة نهائية عام ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ . هذا بجانب انه اغفل ذكر كثير من الأحداث فمثلا على الرغم من انه افاض في الكلام عن عصر الظاهر بيبرس وفتوحاته العديدة ، الا انه لم يذكر المعاهدة التي عقدت بينه وبين الفرنج عام ٦٦٧ هـ / ١٢٦٩ م لمناصفة صيدا بين الطرفين . كما انه لم يذكر الهدنة التي تمت بين المنصور قلاوون وحكام صيدا وعكا وعثليت عام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ

---

(٣) هو تقي الدين أحمد بن علي ، ولد بالقاهرة عام ٧٦٦ هـ / ١٣٦٤ — ١٣٦٥م. تنتمي اسرته أصلا الى مدينة بعلبك بلبنان ، وكانت تسكن حارة تسمى «حارة المقارزة» وليس من المعروف هل سميت الحارة بأسم الاسرة أم أن الأسرة حملت اسم الحارة لسكنها بها . وكان في بداية نشأته حنفيا في المذهب ، ثم انقلب شافعيا . وقد درس المقريزي على يد كبار الشيوخ في عصره وعلمائه في الفقه والحديث والتاريخ . ولمزيد من التفصيلات انظر مقدمة اتعاظ الحنفا — تحقيق د. جمال الدين الشيال ص ١١ — ١٨ ، محمد مصطفى زيادة : المؤرخون في مصر في القرن ١٥م / ٩ هـ ص ٦ — ١٢ .

كل هذه الامور كان المعروض ان يسجلها في كتابه ، خاصة وانه اختص بذكر اخبار مصر القاهرة . وهناك ايضا كتاب « تاريخ بيروت » لصالح بن يحي (عاش في القرن الخامس عشر الميلادى / القرن التاسع الهجرى) . ورغم ان هذا المؤرخ غير متخصص في ذكر احوال مدينة صيدا ، الا انه ذكرها عرضا ضمن الأحداث التي حدثت وقد استفدنا منه مما ذكره عن غزوات السلب والنهب التي شنها الفرنج على صيدا في آواخر القرن الرابع عشر الميلادي (آواخر القرن الثامن الهجرى) . ومن المؤلفات الاخرى التى كتبت في فترات أخرى مخطوطه « تاريخ الدول والملوك » لا بن الفرات (ت ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م) (١) وقد أستفدنا منها في مواضع عديدة من الكتاب وتمتاز كتاباته بالدقة التامة في سرد الأحداث التاريخية بصورة تفصيلية . ويتضح ذلك عندما أشار إلى الهدنه التى عقدت بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صيدا وعكا وعثليت عـام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ . والجديد فيها أنه ذكر بنود الهدنة بالتفصيل ، فكان المؤرخ الوحيد الذى أنفرد بذكرها تفصيليـا دون

---

(١) رجعنا الي الجـزء المنشور ابتداء من حوادث ٥٦٣ هـ / ١١٦٨ م حتى عام ٦١٥ هـ / ١٢٠٩ م ، وقد نشره الدكتور حسن محمد الشماع وساعدت جامعة البصرة على طبعه . وصدر تحت عنوان « تاريخ ابن الفرات » : الجلد الرابع الجزء الأول من سنة ٥٦٢ هـ الى سنة ٥٨٦ هـ وطبع عام ١٩٦٧ م . والجزء الثاني يحوى الفترة من ٥٨٧ هـ حتى عام ٥٩٩ هـ وطبع عام ١٩٦٩ م . ويبدأ الجزء الأول من المجلد الخامس بحوادث عام ٦٠٠ هـ ويمتد حتى عام ٦١٥ هـ وطبع سنة ١٩٧٠ . وفيما ذلك لم ينشر بعـد ، ولهذا رجعنا الى المخطوطـة المصورة بدار الكتب المصرية لاستكمال بقية أحداث الفترة موضوع البحث . انظر عن ابن الفرات ، ابن تغرى بردي : المنهل الصافي ج ٥ ورقـة ٣٠ — ٣١ .

غيره من المؤرخين . وقد خصصنا النص الكامل لهذه المدنه فى الملحق الخامس بآخر الكتاب. وبجانب هذه المؤلفات يوجد كتاب « الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل » لابن اليمن العليمى (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) . ويقع الكتاب فى جزءين ، ويبدأ بسرد الأحداث التاريخية منذ الخليقة وينتهى بعصر السلطان المملوكى قايتبـاى فى أواخر القرن العاشر الهجرى (أواخر القرن السادس عشر الميلادى) . وحيث أن هـذا الكتاب متخصص فى أحـداث منطقة بيت المقدس ، لم يمـدنا بقدر واف من المعلومات بأحوال بارونية صيدا . وما هية العلاقات التى كانت تربطها بجيرانهـا المسلمين فى الشرق الأدنى . وكل ما هناك نتف وشذرات فيما يختص بفتح السلطان صلاح الدين للمدينة عام ١١٨٧م/٥٨٣هـ وبجانب هذين المؤلفين يوجد كتاب « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » للعماد الحنبلى (ت ١٠٢٩ هـ / ١٦٧٩ م) ، و « نزهة الناظرين فيمن ولى مصر من الخلفاء والسلاطين » لمرعى المقدسى (عاش فى القرن ١١ هـ / ١٧ م) ، و « الحقيقة والمجـاز فى رحلة بـلاد الشام ومصر والحجاز » لعبد الغنى النابلسى (عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى / القرن الثامن عشر الميلادى) ، و « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » لمؤرخ مجهول .

وبين الكتب العربية الأخرى التى أعتمدنا عليهـا بعض الاعـتماد ، كتب جغرافية مثل كتاب «صورة الارض » لأبن حوقل (١) (عاش فى القرن الرابع

---

(١) عاش فى النصف الأول من القرن العاشر الميلادى (النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) ، وقضى ثلاثين عاما فى ترحال دائم ، احتـوى كتابه على كثير من المعلومات الشيقة الدقيقة القائمة على الدراسة الحقلية ، انظر يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ص ٨٩ — ٩٠ .

الهجري / القرن العاشر الميلادي) و « معجم البلدان » لياقوت الحموي (١) (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ، و كتاب « آثار البلاد وأخبار العباد » للقزويني (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)(٢) ، وكتاب « نخبة الدهر في عجائب البر والبحر » للأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٠٩ م) ، وكتاب « تقويم البلدان » لابن الفدا (ت ٧٠٢ هـ / ١٣٣٦ م) وكتاب « خريدة العجائب وفريدة الغرائب » لابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) وإلى جانب ذلك يوجد كتاب « رحلة ابن بطوطه » (٢) (ت ٧٧٨ هـ / ١٣٢٧ م) ، وكتاب « مراصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع » ولم يستدل على أسم صاحبه . وغير خاف أن كتب الرحالة والجغرافيين العرب زودتنا بمادة طيبة عن الواقع والآثار التي وردت الاشارة اليها في ثنايا الرسالة ، فضلا عن المعلومات التاريخية

---

(١) هو أبو الدر ياقوت عبد الله الحموي الملقب بشهاب الدين . ولد في اليونان عام ١١٧٩ م / ٥٧٤ هـ واشتراه أحد التجار المسلمين وأخذه معه الى بغداد حيث نشأ هناك واشتغل بالتجارة الى أن اعتق عام ١١٩٩ م / ٥٩٥ هـ . فأشتغل بالنسخ بالأجرة ، وظل يتنقل الى سائر البلاد وانتهى به المطاف بالتوجه الى حلب وأقام بها الى أن مات . وكان قد أوقف كتبه على مسجد الزيدي بدرب دينار ببغداد وسلمها الى ابن الاثير . انظر العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٥ ص ١٢١ .

(٢) ولد في طنجه عام ١٣٠٤ م / ٧٠٢ هـ وأبحر الى مكة عام ١٣٢٥ م / ٧٢٦ هـ ، واستغرقت أسفاره ٢٥ عاما ، فجاب أمصار فارس وآسيا الصغرى وشبه جزيرة القرم والهند حيث شغل منصب قاضي لمدة عامين . ثم اتجـه الى شبه جزيرة العرب عن طريق سومطره ليبلغ فارس في أعقاب خريف عام ١٣٤٩ م / ٧٤٩ هـ . وبعـد ثلاث سنوات أخرى خرج الى بلاد الزنوج ليستقر بعد ذلك في مراكش حيث أملى وقائع أسفاره على أحد الكتاب تاركا له صياغتها اللغوية . انظر كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٥ ص ٢١٠ ، يسرى الجوهري الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ص ١٠٤-١٠٥ .

المرتبطة بموضوع البحث التي عثرنا عليها في ثنايا هذه المراجع الجغرافية وبين أسطرها .

هذا عن المصادر الأصلية المعاصرة للفترة موضوع البحث والمتأخرة عنها زمنيا ، من عربية وغير عربية ، خطية ومطبوعية . أما عن المراجع الثانوية فهي تنقسم بدورها إلى قسمين : أجنبية وعربية . ولاشك أن مراجع المحدثين من أهل الغرب والشرق على السواء أصبحت تسد فجوة كبيرة في تاريخ الحركة الصليبية بصفة عامة . وقد رأينا أنه لا داعي لتعدد أسمائها في هذا المجال نظراً لما جرى عليه العرف بعدم نقدها وتحليلها ، وخصصنا ثبتا بأسمائها بآخر الكتاب ضمن قائمة المصادر والمراجع . والجانب الاكبر منها في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب . وجدير بالذكر أن أعتمادنا كان في المرتبة الأولى على المصادر الاصلية من عربيه وأجنبية ، اللهم الا إذا جاءت المراجع الحديثة برأى أو فكرة ترتبط بموضوع البحث ، فكنا نحيل القارىء اليها .

هذا عرض نقدي تحليلي لمصادر البحث ومنابعه وبيان مدى ما أفدناه منها عساه يساعد على القاء الضوء على تاريخ العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين الصليبيين الموجودين في بارونية صيدا والمسلمين المجاورين لهم في الشرق الأدنى في عصر الحروب الصليبية . وقد خلصنا من ذلك أن هذه العلاقات لم تخرج بطبيعتها عن كونها علاقات أتسمت في أغلب الاحيان بالطابع الحربي المتمثل في المعارك والمصادمات والمناوشات التي وقعت بين الطرفين وكان النصر فيها يتأرجح بينها وفقا لظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، بينما أتخذت في بعض الاحيان الشكل السلمي الدبلوماسي المتمثل في السفارات المتبادلة بين الجانبين والمفاوضات التي قد ينجم عنها هدن ومعاهدات . فضلا عن أهمية

صيدا التي جعلت منها نقطة شد وجذب ومسرحا لصراع مريرا بين المسلمين والصليبيين قرابة قرنين من الزمان . ويكفي أنها كانت آخر المعاقل الصليبية التي سقطت في قبضة المسلمين في أخريات القرن الثالث عشر الميلادي (أخريات القرن السابع الهجرى) . وبسقوطها على يد الأشرف خليل يسدل الستار على حركة من أخطر الحركات التي شهدتها العصور الوسطى .

المؤلف

د. اسامه زكى زيد

الفصل الأول

استيلاء الصليبيين

على صيدا وتأسيس بارونية بها (١١١٠م / ٥٠٤هـ)

صيدا في ظل الحكم الفاطمي لها ـ وقوعها في أيدي السلاجقة ، ومحاولات بدر الجمالي استردادها عام ١٠٨م / ٤٨ هـ ـ اتجاه أنظار الصليبيين نحو المدينة عام ١٠٩٩ / ٢ ٤هـ وأسبابه ـ محاولات فاشلة للفرنج للاستيلاء على صيدا فيما بين عامي ١١٠٣ و ١١٠٨م / ٤٩٧ و ٥٠١ هـ ـ حصار الصليبيين للمدينة عام ١٠٨ م / ١ ٥ هـ ، وأثر ذلك على كل من دمشق والقاهرة ـ سقوط صيدا في أيدي الصليبيين عام ١١١٠م / ٥٠٤ هـ ، وتأسيس بارونية بها ـ أوضاع صيدا الداخلية في ظل الحكم الصليبي لها : علاقة بارونات المدينه بالسكان الأصليين ـ واجباتهم تجاه ملك مملكة بيت المقدس - واجباتهم تجاه أتباعهم من الفرنج ـ طباع الفرنجة وعاداتهم في صيدا ـ التنظيمات القضائية بالبارونية ـ الوضع الاقتصادي بها .

يعتبر الصراع الصليبي الإسلامي أحد المعالم الرئيسية البارزة في عالم العصور الوسطي لما له من أهمية بالغة في سير مجرى الأحداث ، وفي تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب . وكان للامارات والبارونيات التي أسسها الصليبيون في الاراضي المقدسة في أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر الميلادي (أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري) دور كبير ترك بصماته على العلاقات القائمة بين العالمين الشرقي والغربي ابان تلك الحقبة من الزمن . وقد أدت بارونية صيدا التي أقامها الفرنج على الحوض الشرقي للبحر المتوسط بعد نهاية الحملة الصليبية الاولى بأحدى عشر سنة ، دور لايمكن اغفاله ، خاصة عندما يتعلق الأمر بعلاقتهما مع جيرانها المسلمين في منطقة الشرق الادنى مسرح الصراع الدامي بين الصليب والهلال خلال قرنين من الزمان .

ولنفهم طبيعة هذه العلاقات والتعرف على أسبابها ونتائجها والآثار التي ترتبت عليها ، يحسن التمهيد لذلك بدراسة مركزة تتضمن أحوال صيدا أثناء تبعيتها للخلافة الفاطمية في مصر ، ثم موقف الصليبيين منها منذ استيلائهم على بيت المقدس عام ١٠٩٩م / ٤٩٢ هـ حتى سقوط صيدا في أيديهم عام ١١١٠م/ ٥٠٤ هـ، وأخيراً أوضاع صيدا الداخلية في ظل الحكم الصليبي لها ودلالة ذلك .

كان المسلمون في الشرق الادنى في أواخر القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) يعانون من التفكك والضعف فضلا عن الانقسام السياسي والمذهبي ، الامر الذى ساعد على تقلص نفوذ الخلافة الفاطمية في الشام بحيث لم يبق لها سوى السيادة على صيدا وعكا فحسب (١) . ويبدو أنه كان لمدينة صيدا في ذلك الوقت أهمية خاصة لدى الفاطميين ، إذ

(١) السيد عبد العزيز سالم: دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ص٨١ .

اتخذها أمير الجيوش بدر الجمالي (١) وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ – ١٠٩٤م) مستقرا له ولأولاده ، ومركزا يحاول منه استرداد بعض المدن الشامية التي فقد السيطرة عليها آنذاك . وآية ذلك عندما حاصر مدينة صور مما جعل واليها يستنجد بمقدم الاتراك . فأجابه إلى طلبه وسير عساكره نحو صيدا وحاصرها وضيق عليها بهدف ارغام بدر الجمالي على رفع الحصار عن صور . واضطر الاخير بالفعل أن يرحل عن صور خوفا على ضياع صيدا منه ، وتبع ذلك رحيل مقدم الاتراك مع جيشه عن صيدا (٢) .

وكان لظهور الاتراك السلاجقة في ظل هذه الظروف أثر السيء على ممتلكات الخلافة الفاطمية في الشام . وكانت الخلافة أنذاك في طور التدهور ، وأصبح الخلفاء العوبة في أيدي وزرائهم ليس لهم من الخلافة سوى الاسم إذ تغلغل نفوذ السلاجقة ، وتمكنوا من بسط سيطرتهم على صيدا وعكا عام ١٠٧٨م / ٤٧١ هـ ، فضلا عن استيلائهم على بيت المقدس وغيرها من البلاد الشامية الأخرى . هذا في الوقت الذي لم تكن فيه الحملة الصليبية الأولى قد قامت بعد لتشغيل هذه الظروف المواتية بالنسبة لها وتبطش بالفريقين المتصارعين وهما السلاجقة والفاطميين .

---

(١) هو أبو النجم بدر الجمالي ، ولي امارة دمشق من قبل الخليفة المستنصر عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٢م ، ثم فر منها بعد عام ، ووليها ثانية عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ، وخرج منها بعد مقتل ابنه عام ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م وتقلد ولاية عكا ومات سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م . انظر : المقريزي : الخطط جـ ٢ ص ١٠٢ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٩٨ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ٣٠ – ٣١ .

على أية حال ، تألم بدر الجمال لما حدث ، فأعد فى عام ١٠٨٩م / ٤٨٢هـ جيشا كبيرا بقيادة نصير الدولة الجيوشى ، وفرض الحصار على صيدا ، ونجح فى استردادها والاستيلاء على كل مابها من الذخائر والأموال. وأولاه أمير الجيوش حكم المدينة نيابة عنه (١). ويذكر ابن القلانسى أنه عند حصار المدينة لم تكن بها « قوة تدفع ولا هيبة تمنع » (٢) ، مما يؤكد بأن الجيش الفاطمى لم يقابل أية صعوبات فى الاستيلاء على المدينة لعدم وجود القوة الدفاعية بها التى تكفى لصد هجماته . وقد ظلت صيدا تابعة للخلافة الفاطمية تدين لها بالولاء منذ عام ١٠٨٩م / ٤٨٢ هـ سقوطها فى أيدى الصليبيين عام ١١١٠م / ٥٠٤ هـ . وعلى الرغم من قصر هذه المدة التى تقل عن ربع القرن بأربع سنوات ، فقد نعمت صيدا خلالها بقسط من الاستقرار والازدهار، كما عنى ولاتها بتحصينها(٣) ورغم ذلك يرى الكاتب الانجليزى ستيفنسن رانسيمان S. Runciman أن ولاء صيدا لمصر الفاطمية فى ذلك الوقت لم يكن بشكل دائم مستقر ، وانما كان يقوى ويشتد حينا ويضعف ويهتز أحيانا ، وذلك بقدر قرب أو بعد الاسطول المصرى عن سواحلها (٤).

مهما يكن من أمر ، فان هذا الاستقرار النسبى الذى تمتعت به صيدا فى ظل الخلافة الفاطمية لم يدم طويلا بسبب الوجود الصليبى فى الاراضى المقدسة.

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٧٢ ، ٩٢ ، الذهبى : دول الاسلام تحقيق فهيم شلتوت جـ ٢ ص ١١ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٣٥ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٢٨ .

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ص ٨٥ .

(٤) Runciman, op. cit., II, p. 11.

فلم تنج صيدا من غارات الفرنج عليها بعد نزولهم فى الاراضى المقدسة وتأسيس امارانهم بها . فبعد أن أن استولى الصليبيون على كل من الرها وأنطاكية عـام ١٠٩٨م / ٤٩٢ هـ وأسسوا امارتين بهما ، عقدوا العزم على المسير نحـو بيت قدس بهدف الاستيلاء عليه . وبذلك يتحقق الهدف الرئيسى للحملة الصليبية الأولى . ولـكن حدث انقسام فى الرأى بـين الصليبين حول أفضل الطرق التى يجب أن يسلكونها وهم فى الطريق إلى بيت المقدس . وكان الرأى الغالب يؤيد فكرة السير بحذاء الساحل حتى يتمكنوا من الحصول على كل مايحتاجون اليه من تموين وامدادات من قبرص والدولة البيزنطية ، فضلا عن الغرب الاوروبى وذلك بفضل مساعدة الأساطيل الغربية التى اتخـــذت من السويدية واللاذقية قواعد . لها (١). ومن الواضح أن اتخاذ الطريق الساحلى كان يستلزم حصار صيدا والاستيلاء عليها ، فضلا عن الاستيلاء على باقى الموانى الواقعة شمالها مثل جبلة وأنطرسوس وطرابلس وبيروت ، والموانى الواقعة جنوبهـا مثل صور وعكا . ولكن ممـــا لاشك فيه ، أن هذا الطريق يؤدى إلى بذل تضحيات كثيرة ووقت طويل ، بحيث يجعل مهمة الصليبيين فى الاستيلاء على بيت المقدس أمرا صعبا . أما إذا سلك الصليبيون الطريق الداخلى المباشر إلى بيت المقدس فانهم سيتجنبون الـكثير من المشاكل السابقة ، حتى إذا ما وقعت المدينة المقدسة فى قبضتهم سهل عليهم بعد ذلك انتزاع صيدا وغيرها من مدن الساحل (٢). ولذا قرروا عدم الابطاء أثناء مرورهم أمام المبانى الساحلية التى تقابلهم ، بل المرور السريع عليهـا ، والاستيلاء على كل ما يتمكنوا الحصول

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٢٢٨ .

(٢) سعيد عاشور : نفس المرجع والصفحة .

عليه منها لضمان توفير امداداتهم لأطول وقت ، خاصة وهم يعلمون أن هـذه الفترة انما تتفق مع موعد جنى المحصول والحصاد فى هذه المدن الساحلية (١).

وهكذا سار الصليبيون فى شهر مايوا سنة ١٠٩٩م / رجب ٤٩٢ هـ بحذاء الساحل واقتربوا من بيروت وعسكروا أمامها ، فدب الذعر فى قلوب أهلها خوفا من أن يتعرضوا للدمار والتخريب . ولذا خرج حاكم المدينة والتقى بالصليبيين حيث قدم لهم بعض الهدايا والأموال مبديا استعداده لتقديم كافة المساعدات التى يحتاجون اليها ، بل والسماح لهم باجتياز أراضيه بشرط عدم الحاق الضرر بمدينة أو بالحدائق والبساتين المحيطة بهـا (٢). وقبل الأمراء الصليبيون هذا الشرط ، وقام حاكم المدينة بارشاد الجيش الصليبى إلى الطريق الموصل إلى صيدا (٣). ولما بلغوها عسكروا أمامها ثلاثة أيام قاسوا خلالها الكثير من المتاعب بسبب صلابة رجال حاميتها ، ورفضهم التعاون معهم ، أو تقديم المساعدات التى هم فى حاجة اليها من ناحية ، وشدة الهجوم الذى تعرضوا له من قبل سكانها من ناحية أخرى (٤) . هذا ، فضلا عما لحق بهم من أضرار

---

(١) Anonymous, Gesta Francorum Expugnantium Iherusalem, Cf. R. H. C. H - Occ, t. III, p. 507

(٢) Anonimous, Li Estoire de Jerusalem et de Antioch, Cf. R. H. C.-H. Occ., t. V, p. 640, Albert d'Aix, Cf. R. H. C. - H. Occ., t. III p. 499, Cf. also; Lamonte, The World of the Middle Ages, p 343, Runciman, op. cit., I, p. 276.

(٣) Guillaum de Tyr, Cf. R. H. C - H. Occ., t I, p. 311.

هذا وسنناقش الهجوم الصليبى على صيدا فيما بعد .

(٤) حسن حبشى : الحروب الصليبية الأولى ص ٧١.

سم الثعابين الكثيرة المنتشرة فى المنطقة ، مما أدى إلى القضاء على عدد كبير منهم . ولم يسعفهم سوى بعض السكان الموجودين خارج صيدا ، إذ قدموا لهم الدواء اللازم لشفائهم . ولكل هذه الظروف فكر الصليبيون فى الرحيل عن المدينة ومتابعة سيرهم نحو بيت المقدس حتى لا تنهك قواهم . ولكنهم أصروا قبل رحيلهم على الانتقام من أهلها ، فقاموا بنهب وحرق الحدائق والمزارع المجاورة لمدينتهم والمحيطة بها (١).

ويحتاج الأمر هنا إلى وقفة قصيرة توضح الفارق الكبير فى معاملة كل من أهالى بيروت وصيدا للصليبيين . ففى الوقت الذى أزعنت فيه حامية المدينة الأولى لأغراض العدو وقدمت له كل المساعدات والمؤن التى تمكنه من مواصلة السير والاستمرار فى الاعتداء على كافة المدن الساحلية الأخرى التى فى طريقه إلى بيت المقدس ، بل وتسمح له باجتياز أراضيها ، وفى الوقت الذى أرشدته فيه عن أسهل الطرق الموصلة لصيدا ، فى هذا الوقت نجـــد اصرارا من قبل حامية صيدا وسكانها على ضرورة الدفاع عن المدينة حتى النهايـة . فيبادرون بشن الهجوم على العدو مؤكدين له مقدار ثباتهم وشجاعتهم فى التصدى لأى اعتداء يوجه ضدهم ، ويكون ذلك بمثابة تذكرة للعدو إذا ما فكر فى الاعتداء عليهم مرة أخرى .

وجدير بالذكر فى هـــذا المقام ، أنه على الرغم من أن المصادر اللاتينية المعاصرة للاحداث سالفة الذكر قد أجمعت على أن هجوم الصليبيين على مدينة صيدا كان فى مايو ١٠٩٩م / رجب ٤٩٢هـ ، وأن حامية المدينة رفضت تقديم

---

(١) A,bert d' Aix, op., cit., IV, p. 438 Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 311.

أي عون لهم ، إلا أن أحد مؤرخي اللاتين المجهولين انفرد في كتاب له باسم «تاريخ بيت المقدس» يدرج هذه الواقعة ضمن أحداث عام ١١٠٠م/٩٤ هـ كما أوضح أن سكان مدينة صيدا عاملوا الفرنج معاملة طيبة وأمدوهم بالمساعدات اللازمة أسوة بما أتبع معهم عند حصارهم لمدينة بيروت (١)، دون تقديم أي تبرير لذلك .

لا شك ان أنفراد المؤلف المجهول بتحديد تاريخ زمني يخالف التاريخ الذي اتفق عليه بقية المؤرخين المعاصرين ، يجعلنا أيضا نتقبل قوله بحذر فيما يتعلق بحسن معاملة حاميه المدينة وأهلها للفرنج . ويرجع هذا الخطأ إلى احتمالين لا ثالث لها أن المؤرخ المجهول ربما يكون قد نقل أخبار هذه الحادثة عن مؤرخ آخر وأخطأ في النقل دون عمد ، وثانيها أن كثرة أحداث هذه الفترة فضلا عن تشابك خيوطها وتناثرها جعل الأمر يختلط في ذهن المؤرخ المجهول فأخطأ في تحديد التاريخ دون أي قصد . أما بشأن ما ذكره المؤرخ عن المعاملة الطيبة التي عومل بها الصليبيون من أهل صيدا ، فلعه أراد طمس الحقيقة بهدف الاشادة بموقف الصليبين والتنوية بشأنهم ، والتهوين في ذات الوقت من شأن المسلمين ، حتى لا تكون هناك تفرقه بين سكان صيدا وغيرهم من أهالي مدن الساحل الشمالي من حيث معاملتهم الطيبة للصليبيين، خاصة أن معظم هذه المدن مدت لهم يد المساعدة مثل عكا وصور (٢) . وأيضا حتى لا يقال بأن هناك قوة اسلامية في المنطقه تمكنت من الوقوف أمام الجيش الصليبي خاصه في

Anonimous ,Historia Hierosolimitane, Cf R H C. - H.Occ .(١)
t. IV, p 554.

Runeiman, op. cit. I, p. 276, La Monte op. cit ; p, 343 (٢)

هذه المرحلة المبكرة من الحركة الصليبية حيث أمتلاء الـــلاتين القادمون من الغرب قوة وحماسا يهدف تحقيق أطماعهم . وبالتالى تظهر كل القوى الاسلامية التى تعرضت للعدوان الصليبي بمظهر الضعف والهوان أمام التقدم الصليبي .

مهما يكن ، بعد أن غادر الصليبيون مدينة صيدا واصلوا طريقهم نحو صور ومنها إلى عـكا ثم إلى حيفا وقيسرية . وبعد ذلك اتجهـا إلى الرملة ثم وصلوا إلى بيت المقدس ودخلوه فى يوليو ١٠٩٩ م / رمضان ٤٩٢ هـ (١) .

ولم يكن هـذا هو الاحتكاك الوحيد الذى تم بين القوى الصليبية ومدينة صيـــدا فى الفترة السابقة لسقوطها فى أيدى الفرنج عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ . فهناك مصادمات أخرى وقعت بين الطرفين ففى عام ١١٠٢ م / ٤٩٦ هـ هبطت عاصفة شديدة فى البحر أطاحت ببعض المراكب الصليبية التى تحمل الحجـاج المسيحيين العائدين إلى بـلادهم بعد أداء فريضة الحج وزيادة الأراضى المقدسة وتفرق شمل هذه المراكب ، فجرف التيار بعضها نحو شواطىء صيدا ، والبعض الأخر ناحية شواطىء عكا وعسقلان . وكان ذلك بمثابة فرصة عظيمة انتهزها أهالى هذه المدن الساحلية الثلاث للانتقـام من الصليبيين . فاستولوا على غالبيـة هذه المراكب ، وقتلوا معظم من بها وأسروا البعض الآخر . ورغم ذلك تمكن بعضهم من الهرب إلى بيت المقدس . وكان ذلك النبأ بمثابة كارثة لحقت بالصليبيين بوجه عام . لأنه إلى جانب خسائرهم فى الأرواح ، وفقدوا كثيرا من مراكبهم

---

(١) Baldrici, Historia Jeroslimitana, Cf. R. H.C. — H.Occ. t. IV, p. 98 , Cf also, Maimbourg, Histoire des Croisades, t. I, p. 217, Càlthrop; The Crusades, p. 27.

(٢) Albert d' Aix, op. cit., IV. p. 601,

التي قدرت بحوالي مائتي وسبعين مركباً من جملة المراكب البالغ عددها ثلاثمائه مركبا[1].

وكان لهذا الخبر رد فعل عنيف لدى بلدوين الأول ملك بيت المقدس اللاتيني (١١٠٠ — ١١١٨م / ٤٩٢ — ٥١٢ هـ) إذ جمع في عام ١١٠٣م/٤٩٧هـ حوالي خمسة آلاف مقاتل ، واتجه صوب عكا وحاصرها حوالي خمسة أسابيع محاولا الإستيلاء عليها . وكادت الحامية الاسلامية الموجودة داخلها أن تستسلم، حتى أن بعض رجالها قابلوا الملك بلدوين وطلبوا منه الأمان مقابل تعهدهم بموالاة الإتصال به وأخباره بالتحركات الهجومية لحامية المدينة الموجهة ضده[2] وقد تألم المسلمون عند سماعهم ماحدث ، واجتمعت جيوشهم من صيدا وصور وطرابلس ومصر حيث إتجه إلى نحو عكا وأشعل المسلمون النيران في معسكرات الصليبيين المقامة أمام أسوارها . ولم يرملك الفرنج بدا أمام ذلك الوضع من رفع الحصار عن المدينه ، وقفل عائدا إلى بيت المقدس[3].

ولكن إذا كان من بين أسباب هذه الغار الصليبيه الانتقام من المسلمين لما فعلوه بالمراكب المسيحية التي بعثرتها العاصفة ، فلابد وأن يتبادر إلى الذهن سؤال هام هو : لماذا إختار الصليبيون الهجوم على عكا بالذات ؟ ولماذا يتجهوا نحو صيدا خاصة وأنها قامت بدور كبير في القضاء على مراكب المسيحيين يتساوى تماما مع الدور الذي قامت به عكا تجاهم ؟ يضاف إلى ذلك موقفها السابق العدائي من الفرنج عندما هاجموها محاولين الاستيلاء عليها ، هناك

---

(١) Alb rt d'Aix, op. cit., IV, p. 601.

(٢) Ibid

(٣) Ibid

أكثر من عامل شجع الصليبيين على الهجوم على عكا بالذات . فلعلهم قد تذكروا ذلك الموقف الذى وقفه أهالى عكا تجاههم عام ١٠٩٩م/٤٩٢ه من حيث تقديم المساعدات والمؤن لهم أثناء مرورهم أمام أسوار المدينة (١). وبالمقارنة بين هذا الموقف وبين موقف أهالى مدينة صيدا الذى عانى منه الصليبيون الأمرين (٢)، يتضح أن إحتمال نجاحهم فى الاستيلاء على عكا كان يفوق إحتمال نجاحهم إذا ما فكروا فى حصار صيدا . هذا من ناحية ، ومن ناحيه أخرى، كانت صيدا فى ذلك الوقت تتمتع بتحصينات قوية . كما كانت على أتم إستعداد لصد أى عدوان خارجى يوجه ضدها . كل هذه الإعتبارات جعلت الصليبيين يترددون فى فرض الحصار عليها ويقررون الإتجاه نحو عكا بدلا منها .

إذا كانت صيدا قد نجت من إنتقام الصليبيين هذه المرة ، إلا أنها لم تفلت منهم فيما بعد وكان ذلك أثناء مرورهم قبالها وهم فى طريقهم إلى يافا حيث كان الملك بلدوين فى إنتظارهم استعدادا للاجتماع بهم لملاقات جيش المسلمين فى معركة الرملة الثالثة عام ١١٠٥م/٤٩٩ ه التى انتهت بانتصارهم وبانسحاب المسلمين (٣).

---

(١) انظر ما سبق ص ٨١

(٢) انظر ما سبق ص ٨٠

(٣) Gotfridi, Anonymi Rehenani Historia et Gestaducis, Cf. R. H. C. - H. Occ., t. V, p. 5J3.

وقد أراد الوزير الفاطمى الأفضل استرداد فلسطين من أيدى الصليبيين فجمع جيشه واشتبك مع العدو مرتين فى معركتى الرملة الأولى والثانية عامى (١١٠١م / ٤٩٥ ه) و (١١٠٢ م / ٤٩٦ ه) . ولما لم ينجح قام بمحاولة أخيرة لتحقيق أهدافه ولكنه فشل أيضا . وقد أطلق على المعركة الأخيرة موقعة الرملة الثالثة (١١٠٥ م / ٤٩٩ ه).

والى جانب ماتقدم ، كان اصيدا دور فعال في توجيه الضربات القوية الى الجيش الصليبي فى أكتوبر ١١٠٦ م - صفر ٥٠٠ هـ حيث اشتركت مع الجيش الإسلامي الكبير الذى كان يتألف من صور وعسقلان وبيروت بهدف شن هجوم عام مفاجيء على المعسكر الصليبي الموجود بين يافا وبيت المقدس . وقد انتهز هذا الجيش فرصه انشغال الملك بلدوين الأول ببعض أمور الجليل لتحقيق هدفه . فخرج في سبعة آلاف فارس من الحاميات للفاطميه الموجودة في المدن المذكورة ، وفاجأ العدو فى معسكراته وتمكن من قتل مايقرب من خمسمائة صليبي . وبعد ذلك واصل المسلمون طريقهم حتى الرملة حيث قتلوا قوة استطلاعية من بعض الفرسان الصليبيين . ثم امتد نشاطهم ضد الصليبين فيما بين يافا وبيت المقدس الى أن أحسوا بأن الملك بلدوين في الطريق اليهم فانسحبوا الى مدنهم الساحلية وتحصنوا بها(١).

يبدو أن روح الإنتقام وحب الإستيلاء على كافة المدن الساحلية الواقعة على طول الساحل الشامى مثل عسقلان في الجنوب وصيدا وصور فى الشمال ، كانت الشغل الشاغل لدى الملك الصليبي بلدوين الأول . اذا أدرك أن تبعية هذه المدن للخلافه الفاطمية فى مصر سوف تساعدها على شن عمليات عدائية براً وبحراً ضد الصليبيين في الأراضى المقدسة مما يؤدى الى سرعة انهاك قواهم وعدم قدرتهم على تثبيت أقدامهم فى المنطقه . فضلاعن أنها تسد عليهم طريق المواصلات

=ولمزيد من التفاصيل عن هذه المعارك انظر: ابن الأثير الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٢ .

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٠٦ راجع كذلك :

Runciman, op. cit., II., p. 90.

مع أوروبا وتقف عائقاً أمام التجارة الخارجية . وكانت المدن والدويلات البحريه الايطاليه تشكل عنصراً رئيسياً فى الجيش الصليبى ، وبصفـة خاصة جنوة وبيزا والبندقية ، اذ كان للجنوية والبيازنة والبنادقه مصالح تجـارية لا يمكن تجاهلها فى هذا الصدد . ولذلك فكر الملك اللاتينى فى الاستيلاء عـلى هذه المدن الواحدة تلو الأخرى (١) ، وشجعه على ذلك أن الخـلافه الفاطمية كانت فى فترة ضعفها وانهيارها . وأخذ ينتهز الفرصه المناسبه التى تمكنـه من تحقيق رغباته . وقد وأتته هذه الفرصة فى خريف سنة ١١٠٦م/٥٠٠ هـ عندما قدم الى يافا أسطول انجليزى ضخم يضم حوالى تسعة آلاف لاتينى من أجل زيارة الأراضى المقدسـة وأداء فروض الحـج . وبعـد أن انتهـوا من مناسـك الحج والزيارة ، فكر الملك بلدوين فى استخدامهم لحصـار مدينة صيدا والاستيلاء عليها (٢) . ولما عرض الملك عليهم خطته فى الحصـار رحبوا بها ، وظل الأسطول الانجليزى فى يافا الذى كان فى حـوزة اللاتين منتظراً أوامر الملك . بينما أخذ بلدوين يعد الحملة مدة أربعين يوماً . ولما تأكد أن الاستعدادات أصبحت كافية لبدء الحصار تحـركت الجيوش

---

(١) Setton, A History of the Crusades. t. I, p. 385.

راجع كذلك فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ٢ ص ٢٣٠ .

(٢) Albertd' Aix, op. cit., IV, p. 632, Cf. also, Grousset, Histoire de Croisades, t. I, p. 245, Stevenson The Crusaders in the East, p. 48

وجدير بالذكر أن كلا من رينيه جروسيه ووليم ستيفنس قد أدرج هذه الواقعة ضمن أحداث عام ١١٠٦م / ٥٠٠ هـ وهو ما يتنافى مع الحقيقة اذا ما قورنت بالنص الذى أورد المؤرخ المعاصر ألبرت دبكس .

والأساطيل الصليبية من يافا متجهة الى صيدا حيث فرضت حولها الحصار برا وبحرا . فدب الذعر في قلوب الأهالى واجتمعوا بحاكم المدينة وتشاوروا معه من أجل دفع مبلغ من المال الملك الصليبي مقابل فك الحصار عنهم والرحيل عنها[1] . وبالفعل اتجه وفد منهم الى الملك بلدوين ، وقدموا اليه الهدايا القيمة ، وعرضوا عليه مبلغا كبيرا من المال بشرط فك الحصار . ورغم حاجة الملك الشديدة الى المال في ذلك الوقت ، الا أنه تردد في الموافقة خوفا من استياء شركائه في الحصار من القادة الصليبيين ، الأمر الذي يجعله في موقف لا يحسد عليه أمام الصليبيين بوجه عام ، وأمام المسلمين بصفة خاصة ([1]) . ولكن شاءت الظروف أن تخدم الملك الصليبي وتنقذ في نفس الوقت المدينة المحاصرة من الدمار والاستسلام ، اذ جاءته الأخبار بوفاة هيو صاحب طبرية ([2]) في احدى المعارك ضد المسلمين . فتلقف الملك هذه الفرصة وعرض الأمر على الصليبيين الذين معه ، وطالبهم بالموافقة على فك الحصار مبررا لهم ضرورة تواجده في طبرية في مثل هذه الظروف للحفاظ على الأمن بها . فاضطروا الى قبول فك

(١) Albert d' Aix, op. cit., IV p. 633, Cf. also : Hitti A Short History of Lebanon, p. 127, Archer, The Crusades, p. 13.

(٢) اسمه هيودى سانت أمر Hugh de Saint Omr ، وهو أحد النبلاء الفرنسيين ، وكان صديقا للملك بلدوين الأول وقد شيد على الجبال ، على الطريق الذى يربط بين صور وبانياس ودمشق قلعة طورون المعروفة باسم تبنين ، وفى أثناء عودته من احدى غارات السلب والنهب التى كان يقوم بها انقض عليه جيش مسلمى دمشق فى عام ١١٠٧ م / ٥٠١ هـ ومات فى الحال انظر :

Albert d'Aix, op. cit., IV, pp. 635 - 636; Cf. also : Runciman, op. cit. II. p. 75.

الحصار وتأجيله الى وقت آخر مقابل حصولهم على مبلغ كبير من المال.
وبالفعل تم ترحيلهم من أمام أسوار صيدا، بينما أسرع بلدوين الى طبرية(١).

وقد استغل أهل عسقلان التى كانت تحت الحكم الفاطمي فرصة الحزن والاضطراب اللذين سادا أنحاء المملكة اللاتينية بسبب موت صاحب طبرية، وأرسلوا فى نفس السنة (١١٠٧م / ٥٠١ هـ) مندوبين من قبلهم الى المدن الساحلية الاسلامية مثل صيدا وصور وبيروت لدعوة سكانها للاشتراك فى جيش كبير يقوم بتوجيه ضرباته المفاجئة الى الجيش الصليبي فى الاراضى المقدسة. وبالفعل اجتمع المسلمون من هذه المدن الساحلية فى اكتوبر ١١٠٧م/ ربيع الاول ٥٠١ هـ حيث بلغ عددهم سبعة آلاف محارب، وقامت معركة كبرى بينهم وبين الفرنج بالقرب من دمشق انتصروا فيها. وقد ذهب ضحية هذه المعركة كثير من الصليبيين، بينما لم يفقد المسلمون سوى خمسمائة مقاتل تقريبا. وتركت هذه الهزيمة أسوأ الأثر فى نفوس الصليبيين (٢). وبعد أن انتظمت الامور داخل المملكة اللاتينية، بدأ الملك بلدوين يفكر من جديد فى ضرورة الاستيلاء على مدن الساحل. ففى شهر يونيو من عام ١١٠٨م / ذى القعدة ٥٠١ هـ اتجه بجيشه نحو صور وشدد الحصار عليها مما جعل واليها يطلب منه الرحيل مقابل سبعة آلاف دينار(٣). فوافق الملك لحاجته الى المال آنذاك،

---

(١) Albert d'Aix, op. cit., IV, pp. 633 - 634, Cf. also : Stevenson, op. cit., p. 48, Lammens, La Syrie, t. I, p. 215.

(٢) Albert d'Aix, op. cit., IV, p. 635.
انظر أيضا الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ٣٠ .

(٣) لفظ الدينار مشتقة من اللفظة اليونانية اللاتينية = Denarius

ورحل عن المدينة قاصدا صيدا (١). ولعل ماشجع بلدوين على اعادة فـرض الحصار حول صيدا بعد أن تركها تنعم بالهدوء والسلام منذ خريف ١١٠٧م/ ٥٠١ هـ هو وصول اسطول بحرى كبير الى السواحل الفلسطينية يضم جماعة من البيازنة والجنوية والبنادقة . ففكر الملك الصليبى فى الاستعانة بهم فى الإستيلاء على المدينة . وعرض عليهم فكرة الحصار فوافقوه عليها . وفى اغسطس سنة ١١٠٨م/ ذى الحجة ٥٠١ هـ تحرك الجيش الصليبى نحو المدينة وفرض الحصار عليهـا من ناحيه البحر (٢) . وقد تمكن الصليبيون من اقامة احـد الابراج الخشبية الكبيرة على سور المدينة بهدف الإستيلاء عليها . ولكن الاهالى تفانو فى الدفاع عنها وتمكنوا من تحطيمه آخر الامر (٣) .

وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية عند العرب . وقد عرف العرب هـذه العملة الرومانية وتعاملوا بها قبل الاسلام وبعده . وليس من السهل تقدير قيمته الحقيقية لاختلاف وزنه باختلاف الزمان والمكان . انظر عبد الرحمن فهمى . النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٨ .

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ١٩٢، حيدر الشهابى : الغرر الحسان فى تواريخ أحداث الزمان ص ٣١٥ أنظر كذلك :

Stevenson, op. cit., p. 50

(٢) Albert d'Aix, op. cit., IV; p. 652, Cf. also: Grousset, op. cit., I, p. 253; Stevenson, op. cit., Loc. cit.

(٣) Albert d'Aix, op. cit. Loc. cit. Cf., also: Grousset, op. cit. loc. cit.

انظر أيضا ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص١٩٢ ، محمد كرد على : خطط الشام جـ ٦ ص ٢٩٢ .

وبجانب تصميم أهل صيدا فى الدفاع عن مدينتهم ، لم ييأس المسلمين فى الأقطار الاسلامية المجاورة مد يد العون لها . إذ أتخذت كل من مصر ودمشق موقفاً أبان هذا الصراع . فعندما بـــدأ الحصار الصليبي على صيدا أستنجد حاكمها بطغتكين أتابك دمشق مقابل منحه ثلاثين ألف دينار ، فأجابه طغتكين على طلبه . وأبتدأ فى جمع قوات غنيرة أخذت طريقها نحو المدينة المحاصرة ، بينما أقلع من مصر فى نفس الوقت أسطول كبير يضم خمسين مركبا ، فضلا عن ثمانية قوارب أخرى . ولكن هبت عاصمة بحرية شديدة منعت هذا الاسطول من التحرك . ولمـا علم بلدوين الاول ملك بيت المقدس اللاتينى بأمر هذا الأعداد البحرى الكبير من قبل المصريين أصدر أوامره على الفور إلى الاسطول الايطالى بالاستعداد ومنع وصول أية مساعدات من قبل المسلمين إلى أهالى المدينة (١) . ولمـا هدأت العاصفة تحرك الاسطول المصرى نحو صيدا ولكنه أشتبك مع الأسطول الايطالى المحاصر للمدينة . وقامت موقعة بحريه كبرى خارج ميناء صيدا أسفرت عن أنتصار المسلمين ، الأمر الذى غير من موقف الصليبيين وقلل من حماسهم فى مواصلة الحصار والقتال (٢) . وازداد موقف الصليبيين سوءا عندما سمعوا بقرب وصول طغتكين على رأس جيش كبير بهدف إنقاذ المدينة . ووجد بلدوين أنه لا حيلة له فى مواصلة الحصار ، وقرر الرحيل عن المدينة بعد أن قام بحرق معداته الحربية حتى لا يتيح للمسلمين

---

(١) Albert d'Aix, op. cit., IV, p 654.
راجع أيضا ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٢ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ١٩٢ .

(٢) Albert d'Aix, op. cit. Loc. cit. Cf. also : Grousset, op. cit., I, p. 25 ,.

فرصة الأستيلاء عليها والافادة منها (١) . لعلنا نصل مما تقدم إلى حقيقة تاريخية هامة تتعلق بموازين القوى بين الصليبيين والمسلمين في هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الحركة الصليبية . لقد قامت الحركة الصليبية فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) فى وقت كان فيه ميزان القوى فى صالح اللاتين الغربيين ، بينما كان المسلمون في المشرق فى حالة ضعف وتفكك سياسي ومذهبي (٢) ، . مما هيأ الفرنج فرصة تحقيق أطماعهم فى الأراضى المقدسة . ولكن بعد تأسيس الامارات اللاتينية فى المنطقة ، أستشعر المسلمون بالخطر المحدق بهم وكان ذلك مع بدايات القرن الثانى عشر الميلادى (أوائل القرن السادس الهجرى) . وربما كان هذا من بين الأسباب التي دفعت مصر آنذاك إلى المبادرة بمساعدة صيدا ضد الفرنج الدخلاء على الرغم من ضعفها وتهالكها . على أية حال ، فى الوقت الذى فك فيه بلدوين الحصار عن المدينة وصلت النجدة من دمشق . ولما أطمأن حاكم صيدا إلى رحيل الفرنجة أمر بأغلاق أبواب المدينة وعدم السماح لقوات طغتكين بالدخول ، كما رفض أن يدفع له المبلغ المتفق عليه بينهما . وحيال هذا الموقف أصر الاتراك على عدم الرحيل من أمام أسوار المدينه ، بل هددوا حاكمها بأستدعاء الفرنجة إذا لم يحصلوا على كامل مستحقاتهم المالية . ولما تأكد حاكم المدينة من صدق تهديدهم

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٨ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ١٩٣ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٥ راجع أيضا :
Sevenson, op. cit., p. 50; Grousset, op. cit., I, p. 233; Arsher, The Crusades, p. 13.

(٢) تناولنا أحوال العالمين الاسلامى والمسيحى بالتفصيل فى مقدمة الكتاب .

لم يشأ أن يجعل من ذلك الخلاف فرصة لعودة الصليبيين فرضخ فى نهاية الأمر لمطالب طغتكين ودفع له فقط ثلث المبلغ المتفق عليه . ووافق الاتراك وغادروا المكان متجهين نحو دمشق (١) . ويرى الدكتور سعيد عاشور أن سبب رفض حاكم مدينة صيدا السماح بدخول الدماشقة المدينة هو خوفه من أن تكون هناك مؤامرة دبرها طغتكين للأستيلاء على المدينة (٢) .

ولكننا نستبعد أن يكون ذلك هو ما تصوره حاكم مدينة صيدا ، لأنه ليس من السهل على طغتكين فى ذلك الوقت أن يخطط للأستيلاء على صيدا وهو يعلم تماما مدى تبعيتها للخلافة الفاطمية فى مصر ، وأن الأسطول المصرى ما زال موجوداً أمام سواحلها بعد أنتصاره على الأسطول الايطالى . وأن أى محاولة من قبل الدماشقة للأستيلاء على صيدا ستقابلها المقاومة الشديدة من قبل أهالى المدينة من ناحية ، والاسطوال المصرى من ناحية أخرى . ولذا فأننا نرجح أن السبب فى عدم السماح للدماشقة بدخول المدينة هو عدم قدرة حاكم صيدا أستيفاء المبلغ المستحق دفعه إلى طغتكين مقابل قدومه لنجدة المدينة وحمايتها من الحصار الصليبى لها ، وأن مواجهة الأخير بهذه الحقيقة داخل المدينة سوف يسبب منازعات وخلافات بين الطرفين ينتج عنها رفض طغتكين وقواته مغادرة المدينة مما يؤدى إلى حدوث الشغب داخلها مما يهيىء الفرصة لقدوم الفرنج . ومما يؤيد رأينا أن طغتكين لم يتسلم إلا ثلث المبلغ المتفق عليه فقط .

(١) Albert d'Aix op. cit., IV, p. 656; Cf. also: Grousset, op. cit., I, p. 253.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٣٠٩ .

مهما يكن ، إذا كان الملك بلدوين قد فشل فى المرتين السابقتين فى الاستيلاء على مدينة صيدا ، فليس معنى ذلك انه تخلى تماما عن فكرة الاستيلاء عليها وعلى بقية المدن الساحلية التى مازالت بأيدي الفاطميين بل أن هـذا الموقف جعله أكثر عزما واصراراً على تحقيق هدفه . ثم خاصة وأن من بين أهداف اللاتين الرئيسية الاستيلاء على مدن الساحل الشامى التى تربطهم مباشرة بالحوض الشرقى للبحر المتوسط وبلادهـا فى الغرب . ففى عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ أخذ ملك بيت المقدس يستعد لحصار مدينة صيدا بأمكانيات كبيرة . كما أتخـذ الاحتياطات اللازمة التى تضمن له النجاح فى تنفيذ خطته فى الاستيلاء عليهـا . وكان شغل الملك الشاغل هو تجنيد أكبر عدد ممكن من الجند والمعدات الحربية للأشتراك فى عملية الحصار . وكانت المراكب الصليبية راسية فى ميناء يافا ، فأصدر الملك أوامره إليها بالأستعداد للأشتراك فى هذه الغزوة . ويبدو ان أخبـار الحملة كانت قد تواترت ووصلت إلى أسمـاع اهالي مدينة صيدا ، فدب الذعر فى قلوبهم وساءت حالتهم النفسية (١) : وقد ساعـدت الظروف فى ذلك الوقت الملك بلدوين فى ضمان نجاح الاستيلاء على المدينة . إذ يقول المؤرخ اللاتينى البرت ديكس Albert d'Aix الذى عاصر أحداث هذه الفترة من الزمن انه قد وصل وقتها سيجورد Sigur ملك النرويج إلى الاراضى المقدسة على رأس أسطول ضخم بقصد الحج والزيارة فى بيت المقدس (٢) . ولما علم

---

(١) Albert d'Aix, op. cit., IV, p. 678.

(٢) « Baldewinus rex et Bertrannns, accitis copiis, Obsidionem a terra statuerunt Rey de Nortwega, cum omni manu Suaanchoras Figens, Versus mare Sedem in Circuitbis firmavit » Cf. Albert d'Aix, op. cit., Loc. cit., Cf. also : Michaud, History—

بلدوين بأمر وصول ملك النرويج فرح فرحـــاً شديدا وأعتبر ذلك بمثابة الفرصة الذهبية التى ينتظرها لإستكمال فتح مدن الساحل وعلى رأسها صيدا التى أخفق مرارا من قبل فى الاستيلاء عليها . لذا رحب به كثيراً ، وطلب منه البقـاء بالأراضى المقدسة مع أسطوله لمساعدة الصليبيين فى تحقيق أهـدافهم والدفاع عن أى هجمات توجه ضد المملكه اللاتينية من قبل المسلمين (١) وقد رحب الملك النرويجى كثيراً بفكرة اشتراكه فى مساعدة مملكة بيت المقدس وتثبيت أقدامها فى ربوع الشام على حساب المسلمين . ولهـذا السبب وضع الأسطول النرويجى فى خدمة الصليبين (٢) . ولم يطلب من الملك بلدوين أى مقابل لهذه المساعدة سوى احتفاظه بقطعة من خشب الصليب المقدس (٣)

---

of the Crusades, t. I, p. 289; Parkes, A History of Palestin. p. 125; Hitti, History of Syria p. 296; Iorga, Histoire de Croisades, p. 78; Jacob de Haas, History of Palestine, p. ٥٩.

ومن المصادر العربية انظر ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٠٢ ، ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٥ ص ٢٠٩ .

(١) Foucher de Chartres, Cf. R. H. C. – H. Occ. t. III, p. 422; Guillaume de Tyr, op. cit., Ip. 476; Anonimous, Cf. R. H. C. – H. Occ., t. IV, p. 569; Cf. also: Grousset, op. cit., I, p. 256; Thomas Early Travels in Palestine p. 56.

(٢) Foucher de Chartres, op. cit., III, p. 422; Anonimous, op. cit., IV. p. 569; Cf. also : Besant, The History of Jerusalem, p. 254; Campbell, The Crusades, p. 166; Conder, The Latin Kingdom, p. 90.

(٣) Michaud, History of the Crusades, t. I, p. 289;
انظر كذلك يوسف الدبس : تاريخ سورية جـ ٦ ص ٥٥٠ .

وفي ضوء ما لمسه الملك الصليبي من الشعور الطيب الذي أبداه الملك سيجورد ، تم الاتفاق بين الاثنين على بدء الحصار لمدينة صيدا . وتحركت بالفعل الاساطيل الصليبية وعلى رأسها الملك النرويجي لمحاصرة المدينة من الناحية البحرية ، ومباشرة العمليات الحربية الأخرى التي قد توجه من قبل المسلمين لمساعدة صيدا (١) . وكان الأسطول المصري في ذلك الوقت موجوداً في ميناء صور ومستعداً لإنقاذ المدينة . ولكن ما أن علم بوصول الأسطول النرويجي حتى انتابه الفزع وأبدى عدم رغبته في الذهاب لنجدتها(٢) .

مما لا شك فيه أن تغير موقف الاسطول المصرى وعدم اشتراكه في انقاذ مدينة صيدا إنما يرجع إلى كثرة قطع الاسطول البحرى الصليبي وقوته الامر الذى جعل المصريين يفكرون بحذر قبل أقحام انفسهم في معركة مقدر لهم فيها الهزيمة ، لأن حربهم ضد الفرنج هم في هذه الحالة بمثابة مغامرة جريئة معروف نتائجها مقدماً . ومن المحتمل ان يكون المصريون قد فضلوا السكوت مؤقتاً حتى يتبلور الموقف ويتمكنوا اثناء ذلك من إعادة تنظيم صفوفهم وتقوية اسطولهم بالشكل الذى يضمن لهم الوقوف على قدم المساواة مع البحرية الصليبية .

---

(١) Guillaume de Tyr, op. cit , I, p. 476; Anonimous, op. cit., IV, p. 569; Cf. also : Michaud, op. cit. Loc. cit. Lamonte, op. cit., p. 348; Ludlow, The Age of the Crusades, p. 499; Anthony, The Crusades, p. 61.

(٢) Foucher de Chartres, op. cit., III, p. 422.
انظر أيضا ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١ ، النويري : نهاية الارب ج ٢٦ لوحة ١٠٩ ، العيني عقد الجمان ج ١٧ ورقة ٥٣٩ .

وجدير بالذكر ان احد المؤرخين الحديثين وهو وليم هيد يؤكد اشتراك وتعاون الاسطول البندقى بقيادة الدوج اورديلافو فالبرى Ordelafo Falier مع الاسطول النرويجى فى حصار صيدا ، رغم ان مؤرخى الحركة الصليبية المعاصرين لأحداث هذه الفترة من الزمن او المتأخرين عنها زمنيا لم يشيروا إلى هذا الأمر وقد برهن المؤرخ على وجهه نظره بأنه بعد استيلاء الملك بلدوين على صيدا قام بمنح كنيسة القديس مرقص الموجودة بالبندقية ، وكذا الدوج البندقى اورديلافو ممتكات وشواع فى بعض انحاء عكا ، ولسوء الحظ كان نصيب الوثائق الخاصة بهذه الهبات هو الضياع (١) . ولكن إذا كان اشتراك البندقية امراً مؤكداً كما اشار هايد ، فما هو الداعى الذى دفع الملك بلدوين إلى منحها ممتلكات فى عكا دون صيدا ؟ ، فمن باب اولى ان تكون هذه الممتلكات داخل حدود صيدا التى هم بصدد حصارها وليس بأى مدينة اخرى . وكيفما كان الامر ، فى الوقت الذى كان فيه الأسطول الصليبى يحاصر المدينة ، انقسم الجيش الصليبى إلى فريقين احدهما بقيادة الملك بلدوين الأول ، والثانى برئاسة برتراند صاحب طرابلس . وقد أشترك الفريقان معاً فى تطويق المدينة من كل ناحية حتى أضبحت بين فكي الكماشة (٢) . وابتدأ الصليبيون يلقون بمعداتهم الحربية على أسوار المدينة بهدف تسلقها والنزول داخل المدينة نفسها . ولما شاهد المدافعون من صيدا أرتفاع آلات الحصار إلى مستوى أعلى من أسوار مدينتهم أخذوا يفكرون فى حيلة لإفساد خطة المهاجمين . وعندما حل المساء

---

(١) Heyd, Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age, t. I, p. 142, La Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom, p. 231.

(٢) Gillaume de Tyr, op. cit., 1, p. 477.

هداهم تفكيرهم إلى محاولة تستهدف التخلص من هذه الآلات بعمل حفر أسفل أسوار المدينة بحيث تنفذ إلى الاماكن التى توجد بها المعدات الصليبية المطلوب تدميرها . ولما تهيأت لهم الظروف بعمل هذه الحفر وضعوا فيها مواداً قابلة للاشتعال . ثم أشعلوا النيران التى سرعان ما أصابت الصليبيين فى معداتهم الحربية وآلات حصارهم . وكادت هذه الفكرة أن تعصف بالجنود الصليبيين الموجودين فوق هذه الآلات من كثافة الدخان المتصاعد والنيران المشتعلة ، لولا أن علم بلدوين بما حدث فأمر بنقل الآلات إلى مكان آخر من السور بعيداً عن الحفر التى عملها أهالى المدينة . وبهذا خاب أمل الأهالى فى تدمير أدوات الحصار التى أتى بها الفرنج للاستيلاء على صيدا (١) . وانتهز الصليبيون فرصه الانهيار النفسى الذى يعانى منه أهل المدينة ، واستمروا فى تشديد حصارهم عليها وتسديد ضرباتهم ضدها . ولم يكتفوا بذلك ، بل أعدوا برجاخشبياً كبيراشيدوه بطريقة بحيث لا تؤثر فيه حجارة العدو ونيرانه . كما زودوه بالماء والخل لإطفاء النار إذا ما أشتعلت فيه أو فى آلات الحرب والقتال الأخرى ، ثم نقلوه على عجل ركب أسفله بجاه المدينة . وأخذوا يلقون منه كتلا ضخمه من الحجارة أصابت المدينة وسكانها بأضرار بالغة . فضلا عن ضربات الهجوم البحرى الموجهة ضدهم من قبل الأسطول الصليبى والنرويجى (٢) .

---

(1) Albert d'Aix, op. cit., I p. 477.

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١ ، النويرى : نهاية الارب جـ ٢٩ لوحة ١٠٩ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٧ ورقة ٥٣٩ راجع كذلك :

Albert d'Aix, op. cit., IV, P. 679; Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 477.

ونتيجة لذلك أنهار موقف المدافعين وساءت حالتهم النفسية، وأصبحوا في موقف لا يحسدون عليه فكر حاكم المدينة في محاولة أخرى ترفع من الروح المعنوية للسكان . وتتلخص هذه الخطة في احداث الهرج بين صفوف الجنود الصليبيين المحاصرين للمدينة حتى ينقلب ميزان القوى لصالح المسلمين . فدبر مؤامرة مع أحد المسلمين المرتدين ممن يعملون في خدمة الملك اللاتيني بلدوين تستهدف قتل الملك الصليبي نظير مبلغ من المال . وعندما علم المسيحيون الوطنيون في صيدا بأمر هذه المؤامرة ، بعثوا برسالة سرية إلى الملك يحذرونه فيها . وثبتوا الرسالة في سهم رموا به معسكر اللاتين . وبذلك فشلت المؤامرة ، وكان مصير هذا المرتد الاعدام (١) . وكان فشل هذه المؤامرة بمثابة الضربة القاصمة التي وجهت إلى أهل مدينة صيدا ، إذ كانوا يعلقون على نجاحها أملا كبيراً في انقاذ المدينة من براثن الصليبيين . ولم يجدوا بداً من التسليم بالتفاوض مع الملك اللاتيني . فخرج جماعة من شيوخ المدينة إلى الفرنج ، وطلبوا من ملكهم الامان فأمنهم على أرواحهم وأموالهم وعساكرهم . كما وافق على السماح لكل من أراد مغادرة المدينة من سكانها أن يرحل بما يحمله من أمتعة أما من رغب في البقاء فقد أعتبره مثل الرعايا الصليبيين له الحق في الاحتفاظ بأملاكه نظير أداء الضريبة السنوية المقررة عليه (٢) . واضطر حاكم المدينة وأهلها إلى الموافقة على هذه

---

(1) Guillaum de Tyr, op. cit., I, p. 477; Cf. also : Grousset, op. cit., I, p. 256; Besant, op. cit., p. 254.

(٢) Albert d'Aix, op. cit., IV, p. 679; Mattieu d'Edesse, Extraits du Chrouique, Cf. R. H. C. — Doc. Arm., t. Ip. 17; Foucher pe Chartres, op. cit., III, p. 423.

انظر أيضا ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١ ، ابن الاثير : الكامل في =

الشروط ، وفتحوا أبواب المدينة للقوات الصليبية التي دخلتها وأحتلتها ، وكان ذلك في الرابع من ديسمبر ١١١٠ م / ٢٠ جمادى الأولى ٥٠٤ هـ . وفي نفس الوقت خرجت من المدينه اعداد غفيرة من أعيانهـا قدرت بحوالي خمسة آلاف واتجه النازحون نحو دمشق حيث أقاموا بهـا . وهكذا بعد حصار دام حوالي سبعة وأربعين يوما تمكن الملك بلدوين من بسط سيطرته على أحـد الثغور البحرية الهامة الواقعة على الساحل الشامي (١) . ولقد كان هذا من بين الأهداف الرئيسية للغرب اللاتيني إذ كان يسعى بكل السبل بعد تأسيس الامارات الأربع في الأراضي المقدسه إلى الاستيلاء على المدن والثغور الواقعة على إمتداد الساحل الشامي . وكانت الظروف وقتها مهيأة لتحقيق هذا الهدف . ويلاحظ أيضا أن الصليبيين أستعانوا في محاولاتهم المتتابعة التي قاموا بها للاستيلاء على صيدا بالأساطيل الغربية التي كانت تفد إلى الساحل الشامي بين وقت وآخر ، وكذلك بالقوى البحرية الايطالية التي كانت لها مصالح واضحة في المنطقة ،

= التاريخ جـ ١٠ ص ٢٠٢ ، الحريري : الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين لوحة ٧ . النويري : نهاية الارب جـ ٢٦ لوحة ١٠٩ ، العيني عقد الجمان جـ ١٧ ورقة ٥٣٩ .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧١ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ١٠ ص ٢٠٢ ، أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر جـ ٢ ص ٢٢٤ ، العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ ٤ ص ٧ ومن المصادر والمراجع الاجنبية أنظر أيضا :

Monitum, *Cf.* R. H. C. - H. Occ., t. V, p. 181; **Hethoum**, Cf. R. H. C. - Doc. Arm. t. I, p. 473; **Annales de Terre Sainte**, Cf. A. O. L. t. II, p. 430; Cf. also : **Michel**, **Précis de le** Histoire du moyen Age, p. 180; L'Abbe de Vertot, Histoire de l'Ordre des Chevaliers, p. I, p. 7.

بالإضافة إلى أفواج الحجاج التي كانت تفد من الغرب لأداء فريضة الحج في البيت المقدس . وغير خاف أن هذه المحاولات المتتالية التي وقعت فيما بين عامي ١١٠٣ و ١١٠٧ م كانت تعني أمرا واحدا وهو إصرار الفرنج الدخلاء على الاستيلاء على صيدا بأي ثمن لما كانوا يعلقونه من أهمية من وراء ذلك .

وجدير بالذكر ، أن المؤرخين وليم الصوري وروجر صاحب وندوفر قد انفردا دون غيرهما من المؤرخين المعاصرين لهما أو المتأخرين عنهما زمنيا بتحديد تاريخ الاستيلاء على مدينة صيدا في التاسع عشر من ديسمبر عام ١١١١م / ١٢ جمادى الآخرة ٥٠٥ هـ دون أي تبرير لذلك (١) . ونرجح أنه وقوع خطأ غير متعمد وقع فيه وليم الصوري عندما نقل أحداث هذه الفترة من الزمن عن مؤرخين آخرين سابقين عنه . ولعل روجر صاحب وندوفر عندما أخذ عن وليم الصوري لم يتنبه إلى هذا الخطأ .

على أية حال ، بعد أن وقعت صيدا في أيدي الفرنج ساد الحزن العالم الإسلامي واستولى اليأس على المسلمين وهم يرون بلادهم ومعاقلهم تنهار تباعا في أيدي الصليبيين الدخلاء ، وقد انفرد ابن كثير دون غيره من المؤرخين في ذكر محاولة قام بها جماعة من الفقهاء البغاددة وغيرهم للخروج إلى الشام من أجل الجهاد لنصرة الاسلام وقتال الفرنج لاسترداد صيدا وغيرها من المدن التي استولى اللاتين عليها ، وإعادتها مرة أخرى إلى أصحابها المسلمين . ولكن رجع عدد كبير منهم عندما بلغهم كثرة الصليبيين ، فضلا عن شدة تجهيزاتهم العسكرية (٢) .

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 477; Roger of Wendover, Flowers of History, t, p. 465.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية جـ ١٢ ص ١٧٢ .

ولا شك أن مثل هذه المحاولة من قبل مسلمي الشرق الأدنى تعتبر بادرة مبكرة لحركة الإفاقة الاسلامية الشاملة التي قامت بعد ذلك بسنوات قليلة بهدف تكتيل القوى الإسلامية في المنطقة للوقوف صفا واحداً في وجه الفرنج الدخلاء وإجلائهم عن البلاد التي استولوا عليها .

وفي ضوء ما تقدم ، يمكن القول أنه بعد أن استولى الفرنج على مدينة صيدا أصبحوا يسيطرون على مدن الساحل الشامي فيما عدا عسقلان في الجنوب وصور في منتصف الساحل. وأصبحت مملكة بيت المقدس تمتلك من الاراضي رقعة شاسعة امتدت من بيروت حتى العريش الواقعة على تخوم مصر. وعلى ذلك كانت مملكة بيت المقدس تنقسم إلى أربعة بارونيات كبرى هي صيدا ويافا وعسقلان والجليل بالاضافة إلى إمارتي الكرك والشوبك (١). هذا بجانب اثني عشر قطاعا أقل مرتبة من هذه البارونيات سالفة الذكر ، وقد تسلمها أصحابها من الملك مقابل تقديم فروض الولاء والطاعة له ، وتتمثل في الداروم وحبرون وأرسوف وقيسرية ونابلس وبيسان وحيفا وطورون (تبنين) وبانياس وكيفا وليديا وبيروت(٢) . وبناء على ذلك أصبحت صيدا بارونية

(١) Livre de Jean d'Ibelin, Cf. Assises de Jerusalem, t. I. p. 214; Cf. also : Dodu, Histoire des Institions Monarchiques dans le royaume Latin de Jerusalem, p 83; Belloc, The Crusades, p. 218; Cam. Med. Hist. t. V, p. 302.

(٢) Diehle, les monuments de l' Orient Latin, Cf. R. O. L t V, p. 295; Livre de Jean d'Ibelin, op. cit., t. I p. 418; Cf. also : Archer, op. cit., p. 116; La Mense ; La Syrie, p. 20; Lane-Poole, Saladin, p. 27.

وراجع أيضا مؤلف توفيق : مملكة بيت المقدس ص ١٨٠ ...

صليبية تابعة لمملكة بيت المقدس وكانت حدودها تمتد من نهر الليطاني جنوبا حتى نهر الدامور شمالاً (١) . فيحدها من ناحيتي الشرق والجنوب النهر الأول ومن الشمال النهر الثاني ، أما من ناحية الغرب فيوجد البحر الأبيض المتوسط. وكانت البارونية تشتمل على معقـل حصن الشقيف Beaufort (٢) ، وعلى صرفند(٣) ، فضلا عن مدن أخرى محيطة بصيدا (٤) . وعين الملك بلدوين الأول يوستاس جارنييه Eustach Garnier صاحب قيسريه (٥) ، حاكما على

(١) هو نهر كبير بينه وبين نهر بيروت عشرة أميال ، وهو مجموع من عـدة أنهار أولها نهر القابون وثانيها نهر الصفا وثالثها نبع فين دارة . وتجتمع اليه عيون ومنابع ويصير نهرا كبيراً . ولهذا النهر جسران أحدهما على أسمه . والدامور لفظة سريانية معناها العجيب أو عربية معناها الخرب . انظر الشدياق : اخبار الأعيان فى جبـــل لبنان ـ ١ ص ١٦ . انظر أيضا :

A Hand Book of Syria, p. 406.

(٢) سنتعرض لهذا الحصن تفصيلياً فى الفصل الثـانى من الـكتاب عند التحدث عليه بصفته معقلا أساسيا تابعا للبارونية .

(٣) هى مدينة فينيقية قديمة . تقع بين صور وصيدا ، وموقعها على جانب رأس يعرف باسمها وهى على بعد ميل من الشاطىء . انظر رحلة بنيامين التطيلي ـ ترجمة عزرا حداد ص ٩٠ حاشية (١) انظر أيضا :

Monitum. Cf. R. H. C. H. Occ., t. V, p. 174.

(٤) Archer, op. cit., p. 118.

(٥) تكتب قيسرية وقيسارية ، وهى تقع على ساحل البحر الأبيض ، وتبعد عن يافا من ناحية الشمال بحوالى ثلاثين ميلا ، ومن بيت المقدس من ناحية الشمال الغربى بحوالى اثنين وستين ميلا ، ومن عكا بحوالى ستة وثلاثين ميلا . تسمى قيصرية الشام تمييزا لها عن قيصرية فيليب . وقيل أنها بنيت عام ٢٣ ق . م ، وثمة رأى آخر يقول أن الملك هيرودس =

البارونية وجعل السيادة فيها له ولأسرته من بعده (١) .

وهكذا استتب الأمر للاتين فى صيدا وأسسوا بارونية بها تابعة لمملكة بيت المقدس وعلى رأسها بوستاش جارنييه . واستتبع ذلك العمل على تدبير شئونها الداخلية . وهذا يستدعى التعرض للوضع الداخلى للبارونية فى ظل الحكم الصليبي حتى يسهل التعرف على طبيعة العلاقات بين البارونية والمسلمين فى الشرق الأدنى . ورغم أن الأصول الأجنبية والعربية لا تمدنا بصورة واضحة مباشرة عن هذه الأحوال ، إلا أنه يمكن التعرف عليها من ثنايا السطور .

— قد بناها على اسم الملك أغسطس قيصر فى السنة السابعة ق. م. ولما حضر اليها الملك أغسطس قيصر بنى بها هيكلا له. وكانت المدينة تتمتع بأسوار حصينة وأبراج عديدة فضلا عن مرسى ضيق لا يتسع الا لمركب واحدة . وبها أيضا بساتين وأشجار فضلا عن عيون المياه الجارية وقد استولى عليها الصليبيون سنة ١١٠١م/٤٩٥ هـ واستردها المسلمون منهم عام ١١٨٧م/٥٨٣ هـ . وبعد ذلك أخذت تترنح بين أيدي الفرنج حيناً وأيدى المسلمين حيناً اخر الى أن سقطت فى أيدى المسلمين نهائياً سنة ١٢٦٥ م / ٦٦٤هـ . ولمزيد من التفصيلات انظر رحلة بنيامين التطيلى ص ٩٤ ، ناصر خسرو : سفرنامة — ترجمة د. يحى الخشاب ص١٨ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٣٨ ، الادريسي : نزهة المشتاق ورقة ٦٠ ، خليل خورى خرابات سورية ص ٣٣ — ٣٤ انظر أيضا :

Muller, Castles of the Crusades, p. 7.; Banister, A Survey of holy Land, p. 217; Taylor, La Syrie, L'Egypte et La Palestine, p. 267.

(١) Le Lignage d'Outremere, Cf. Assises de Jerusalem, t. II, p. 455; Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 477 ; Cf. also Grousset, op. cit., II, d. 897.

كانت تسكن صيدا عناصر مختلفة من السكان ، بعضها إسلامية ، وبعضها مسيحية وطنية والبعض الثالث يهودية . أما المسلمون فكانوا أقلية لأن معظم من آثر البقاء في صيدا بعد الفتح الصليبي لها كانت لهم مصالح خاصة في البقاء بالمدينة سواء كانت هـــذه المصالح تتعلق بالأرض أو التجارة (١) . ويشير الرحالة ابن جبير في رحلته إلى بـلاد الشام أن بعض المسلمين الموجودين في صيدا شأنهم شأن الموجودين في باقي البـــلاد الساحلية الأخرى كانوا مع الصليبيين على حالة لهو وترف ، الأمر الذى جعـل الفتنة تثور في قلوب أكثر المسلمين بها لأنهم ضد اخوانهم فيما يفعلوه من ذلك الشأن (٢). أما المسيحيون الوطنيون من أهل البلد (٣) . فقد تعرضوا لاضطهاد الفرنجـــة لأن معظمهم يدينون بالمذهب الارثوذكسي الشرقي . وقد رفضوا الخضوع للكنيسة اللاتينية الكاثوليكية في الغرب التابع لها الصليبيون . أما اليهود فكانوا قليلي العـدد ، ويتحكمون في نفس الوقت إلى حد كبير في النشاط الاقتصادى لصيدا (٤) .

---

(١) سيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينـــة صيدا في العصر الأسلامي ص ١٠٤ .

(٢) رحلة ابن جبير ص ٢٨٤ .

(٣) كان الصليبيون اللاتين ينظرون الى المسيحيين الشرقيين على أنهم هراطقة ، كما كانوا دائماً يشكون في نواياهم ومقاصدهم . ولذلك لم يكن من السهل أن يتفاهم الطرفان . والواقع أن هذه النظرة يرجـع مداها الى بداية خروج القوات الصليبية في الحرب الصليبية الأولى واحتكاكهم بالامبراطور البيزنطي الكسيس كومنين أثناء عبورهم أراضي الامبراطورية وتمتد جذورها الى القرن الرابع الميلادى عندما أسـست مدينة القسطنطينية في الشرق وبدأت هذه الخلافات تتسع بين شقى العـــالم المسيحي في النواحي المذهبية واللغوية والحضارية والجغرافية . راجع جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص ١١٥ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجـــع السابق ص ١٠٤ — ١٠٥ .

وكانت توجد بجانب هؤلاء بطبيعة الحال ، الجماعات الصليبية التى وفدت مع الحملة الصليبية وعاصرت فتح المدينة عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ . وقد أشار ابن منقذ فى كتابه « الاعتبار » إلى وجود تشابه كبير فى عادات وتقاليد الفرنج فى شتى المدن الصليبية . وما يقال عن الفرنج فى مدينة صيدا ينسحب على غيرهم فى المدن الصليبية الاخرى فمثلا يرون صاحب الاعتبار أنهم كانوا يتسمون بشىء من النخوة والغيرة فمثلا كان الرجل الصليبى لا يهتم إذا خرج مع زوجته وقابلها فى الطريق رجـــل آخر ينفرد بزوجته فى الحديث بينما يظل الزوج واقفا منتظراً إنتهاء الحديث وعودتها إليه . وإذا طال الحديث وامتد كان الزوج لا يمانع فى أن يترك زوجته لحديثها ويمضى هو فى طريقه (١) . وثمة عادة كانت تعتبر من سمات عصر الحروب الصليبية ، وفى أن يقوم بارون صيدا وغيره من سائر حكام المدن الصليبية الأخرى صباح كل يوم بعمل تدريبات ومبارزات بكل أنواع العدد الحربية حتى يكونوا دائما على مستوى رفيع من اللياقة البدنيـــة ، والقدرة على مبارزة الاعداء وقيادة الجيش فى المعارك الحربية (٢) .

أما عن طبيعة العلاقات بين الجماعات الصليبية الموجودة فى بارونيـة صيدا وبين سكانها الأصليين ، يمكن القول أن بارونات المدينة اللاتين وجدوا صيدا مثل أى مستعمرة صليبية أخرى . ولكى يحافظوا على نفوذهم بها كان لزاما عليهم أن يتعاونوا مع أهلها الأصليين فى شتى الأعمال المحلية ، من بناء الحصون،

(١) ابن منقذ : الاعتبار - تحقيق فيليب حتى ص ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) Ludolph Description of the Holy Land, Cf. Palestine Pilgrims Text Society, p. 53.

وزراعة الأراضى فضلا عن القيام بسائر الصناعات المختلفة . ولعل ذلك يرجع إلى قلة أعداد الفرنج بداخلها ، فضلا عن أنهم لم يكونوا فى مثل مهارة الأهالى (١). وقد اتخذ مثل هذا التعاون صوراً عديدة منها أن الفرنجة أدركوا أنه كي يتمكنوا من الاتجار مع المسلمين وغيرهم من أهالي المدينة كان عليهم أن يتبعوا نفس الموازين والمكاييل المستعملة أصلا فى البلد . كذلك كانوا بحاجة إلى استعمال نوع من النقود يقبله سكان المدينة . فسكوا عملة خاصة سميت باسم « الدينار الصورى » وكانت هذه العملة ذهبية عليها إحدى آيات القرآن الكريم ، ثم تغيرت إلى عبارات مسيحية فيما بعد عند زيارة لويس التاسع ملك فرنسا بلاد الشام فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى (أواسط القرن السابع الهجرى) بعد هزيمته على ضفاف النيل(٢) . كذلك أدخل الفرنجة نظام الضرائب الذي عهدوه فى بلادهم فى غرب أوروبا . وذلك دون أية معارضة من جانب سكان المدينة لأنهم كانوا قد ألفوا لمدة طويلة نظاما مشابها لذلك (٣) ويرى الرحالة ابن جبير فى هذا المجال أن كل ما كان بأيدى الفرنج من بلاد الساحل بالشام ، بما فى ذلك صيدا بطبيعة الحال ، على سبيل واحد من حيث فرض الضرائب على سكانه من المسلمين ، فكانوا يؤدون نصف الغلة عند جمعها ويدفعون جزية على كل رأس تقدر بدينار وخمسة قراريط فضلا عن ضريبة أخرى بسيطة كانت تفرض على ثمار الشجر . أما بالنسبة لمساكن الأهالى وأموالهم فكانت بأيديهم لا يمسها الصليبيون (٤) . كذلك

---

(١) عمر كمال توفيق : مملكة بيت المقدس ص ١١٣ .

(٢) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٢٤ ، عبد الرحمن فهمى : النقود العربية ماضيها وحاضرها ص ٨١ .

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٨٤ .

(٤) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ١٠٦ .

عمل الفرنج على نقل النظام الاقطاعي الغربي (١) كاملا إلى كافة المستعمرات الصليبية مع إدخال بعض التعديلات في خصائصه الغربيـة نزولا على الوضع القائم في الشرق (٢) .

وكان بارون صيدا يسكن في حصن كبير ، وله موظفوه وإداريوه

---

(١) كانت الزراعة والفلاحة قوام المجتمع الاقطاعي الاوربي وهو عبارة عن علاقـة بين سيد ومسود أو تابع ومتبوع نواهما الارض وما تغله من خيرات وقد أدت إلى ظهور ظروف تتعلق بأحوال أوروبا عن انهيار الدولة الرومانية القديمة وبداية العصر الوسيط . ومن مظاهره عبارة عن فئة متعايشة بالفلاحة والزراعة في مساحة معينة من الارض على طريقة تطلبت تضامنا وتعاونا مشتركا بين الافراد عموما . وكانت الارض الزراعيـة تنقسم الى قسمين يختص اللورد المتملك بأحدهما ، ويوزع ثانيهما بين الفلاحين جميعا مقابل ما يؤدونه للسيد اللورد المتملك من أعمـال للحرث والزرع والحصاد في الارض الخاصة به . وعندما نما النظام الاقطاعي أصبحت الارض هي أساس هـذا المجتمع بحيث أصبح من يملك أرضا صارت له أحقية في السلطة والحكم بحسب ما بيده من الارض سواء كانت هذه الأرض قطعة كبيرة أم صغيرة .

وكان المجتمع الاقطاعي أشبه في بنائه شكلا هرميا رأسه الملك وتحت ذلك طبقة الاشراف ويليهم صغارهم ثم يلي هؤلاء من هم أصغرهم وهلم جرا . ويشير كوبلاند بأنه لم يجد مثالا نموذجيا للحكم الاقطاعي الا فيما حمله الصليبيون معهم من أوروبا الى الاراضي المقدسة فأقاموه هناك على غير أساس أوروبي . وأن الصليبيين لما تصدوا حكم البلاد على مقتضى نظام الاقطاع كان ذلك لانهم لم يفقهوا نظام غيره للحكم . ولمزيد من المعلومات انظر كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا — ترجمة محمد مصطفى زيادة ص ٥ — ٢٩ .

(٢) ابراهيم طرخان : النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى ص ٤٧ — ٤٨ ، راجع أيضا :

Smail, Crusading Warfare, p. 88; Muller, op. cit., p. II.

وحراسه متمثلا بالبلاط الملكى فى بيت المقدس ولكن على نطاق أصغر. وكان بموجب النظام الاقطاعى هو الحاكم فيما تحت يده من الأراضى، ومن عليها من السكان (١) . وكان مثله باقى بارونات المملكة ، ملزما بأن يقدم إلى ملوك المملكة عند الطلب - عدداً معينا من الفرسان والمحاربين المدربين تدريبا جيداً قدروا بمائة وخمسين جنديا . فضلا عن تقديمه لشتى المساعدات الأخرى كالمؤن والأسلحة ، من أجل حماية بيت المقدس والعمل على تثبيت أقدامها فى الاراضى المقدسة (٢) . ورغم المساعدات الكثيرة والمستمرة التى كان بارون صيدا وغيره من البارونات يقدمونها إلى مملكة بيت المقدس وفقا لنظام الاقطاعية بين السادة والاتباع ، إلا أنها كانت محدودة لا تحقق رغبات الملك اللاتينى بصفة دائمة . ذلك لأنه لا يمكن للملك إستدعاء أى فارس من أية بارونية للخدمة العسكرية إذا تجاوز سن الستين ، فضلا عن أنه لا يجوز للملك أن يستغل حقه فى طلب مساعدة البارون له فى شىء يخدم مصالحه الشخصية دون المصلحة العامة لأبناء المملكة الهم إلا إذا كان اشتراكه فى هذه المهمة على حساب الملك دون إلقاء العبء على البارونية . وفى هذه الحالة إذا رفض البارون تقديم يد العون إلى الملك يصبح مخالفا لقوانين المملكة ويحق للملك مصادرة إقطاعه (٣). كما يحق له أن يستدعيه ويؤنبه ويذكره بواجبه تجاه

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٤٧٩ ، كوبلاند : الاقطاع والعصور الوسطى بغرب أوروبا - ترجمة - محمد مصطفى زيادة ص ٢١ . انظر أيضا :
Lammense , op. cit., p. 237.

(٢) Dodu , Histoire des Institutions Monarchiques dans le Royaume Latin, p. 89; Archer, op. cit., p. 393 ; Parkes, History of Palestine ; p. 113.

(٣) La Monte, op. cit., dp. 154 — 155.

المملكة وتعهداته التي قطعها على نفسه عند بداية منحه المقاطعة أو البارونية (١)
وهذا يستوجب الحديث عن مدى اهتمام ملوك مملكة بيت المقدس بضمان طاعة
وولاء بارونيتهم وأمرائهم لهم . ففي ذكرى تتويج الملك من كل عام كان يقام
احتفال كبير يحضره جميع بارونات وأمراء المملكة حيث يقدمون فروض
الطاعة والولاء للملك . وكان هذا الاحتفال يقام أيضا بشكل مصغر في كل
إمارة وبارونية يؤكد فيه أتباع البارون أو الأمير ولاءهم تجاهه (٢) . ورغم
ذلك كانت سلطة ملوك مملكة بيت المقدس مقيدة أمام مغالاتهم وتماديهم في
في إستخدامها ضد بارونات المملكة . لأنه كان يحق للبارون في هذه الحالة
إيقاف الملك عند حده . كما كان يحق له عرض الامر على مجلس البلاط المختص
بالنظر في مثل هذه القضايا ، ويكون حكم المجلس منصفا لاحد الطرفين . وفي
حالة إذا ما أقر المجلس حق الملك فيما طلب وجب على البارون تنفيذ هذا
الحكم (٣) .

وهناك أيضا نوع آخر من الانظمة يحدد مدى العلاقة بين الملك وباروناته
ويتمثل فيما يحدث لو غاب بارون صيدا أو غيره من بارونات المملكة الثلاثة
الآخرين عن بارونيته لسبب من الاسباب . ففي هذه الحالة كان الملك يحل
محله في توجيه أمور البارونية باعتباره الحامي الاكبر للبارونيات بصفة عامة ،
وذلك تجنبا للتطاحن الذى قد ينشأ بين كبار الصليبيين في البارونية حول هذا
المنصب (٤) . أما إذا خلا منصب الملك نتيجة لوفاته أو وقوعه في الاسر ،

(١) Dodu, op. cit., p 86
(٢) Ibid, p. 88.
(٣) Lammense, op. cit., p. 239.
(٤) Dodu, op. cit., p. 89.

فكان للبارونات الحق في الموافقة أو الرفض على من يرشح لشغل هذا المنصب (١) . وذلك مثلما حدث أثناء وقوع بلدوين الثانى فى الاسر ، إذ وافق بارونات المملكة على ترشيح يوسطاش جارنييه بارون صيدا ليكون نائبا عنه أثناء غيابه (٢) .

وإذا كانت هناك واجبات كثيرة يلتزم بها بارونات المملكة الأربعة تجاه ملوك مملكة بيت المقدس ، فلهم أيضا واجبات أخرى كثيرة ملقاه على عاتقهم داخل بارونياتهم تجاه من يخدمون تحت امرتهم (٣) . فمثلا كان عليهم استيفاء حقوق أتباعهم فى البارونية وإذا رفض البارون القيام بالتزاماته قبلهم تكفل أمراء المدينة بهدف الضغط عليه. وإذا فشلوا فى محاولاتهم أعادوا الكرة مرة ثانية وثالثة . وإن لم يتمكنوا من إقناعه قاموا بتهديده بالخروج من خدمته وعرض الامر على الملك (٤) . وهذا ما حدث أثناء حكم البارون جيرارد Gerard لصيدا (٥) . إذ حرم أحد الأفراد من حقه فى ميراث قطعة من الارض ضاربا بقوانين وأحكام المحكمة العليا (٦) عرض الحائط ،

---

(١) Documents relatifs a la Successibilité au Toren, et la Regence, Cf. Assises de Jerusalem, t II, pp. 97 - 398.

(٢) Ibid

(٣) Liverede Jean d'Ibelin, op. cit., 1, p. 375.
سنتعرض لذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى من الكتاب .

(٤) Livre de Jaques d'Ibelin , Cf. Assises de Jerusalem, t. I, p. 518.

(٥) سنتعرض لذلك بالتفصيل فى الفصل الثانى :

(٦) أنشئت المحكمة فى القدس بهدف المحافظة على كافة حقوق الاطراف المتنازعة .

الأمر الذى أدى إلى إثارة الملك بلدوين الثالث ملك مملكة بيت المقدس (١١٤٤ – ١١٦٢م / ٥٣٩ – ٥٥٨ هـ) وكافة أمراء المدينة ضده. واجتمع الملك مع باقى بارونات المملكة فى حجرة جيرار نفسه، وبعد المداولة ألزمه الملك باعادة الاراضى إلى أصحابها مع دفع مبلغ كبير له تعويضا عن الخسائر التى تكبدها (١).

وكان على بارون صيدا أيضا ضمان تنفيذ أوامر الملك، ومراعاة عدم معارضتها لأحكام المحكمة (٢) وقد حدث أثناء حكم باليان جارنييه صاحب صيدا (١٢١٠ – ١٢٣٩ م / ٦٠٧ – ٦٣٧ هـ). إذ امتنع عن تنفيذ أحد الأحكام الصادرة لصالح إحدى أميرات صيدا لتنافيه مع ماسبق أن أشار إليه الامبراطور الألمانى فردريك الثانى. وطلب من المحكمة ضرورة تعديل الحكم

وكان أختصاصها أشبه ما يكون باختصاص السلطة القضائية فى الوقت الحالى. ولم يكن للملك سلطة عليها. وكان عليه فقط تحديد مكان وزمان انعقادها فضلا عن اختيار أعضائها من الطبقات النبيلة دون أن يكون له الحق فى التدخل فى الاحكام الصادرة عنها. وكان الملك يقوم بتنفيذ أحكامها عن طريق باروناته بصفته ممثلا للسلطة التنفيذية. وكانت هذه المحكمة تنظر فى المسائل والامور الكبرى. أما المسائل الصغرى فكانت داخلة فى اختصاص بارونات المملكة. ولكن فى ايام الامبراطور فردريك الثانى أصدر أمرا بعدم أحقية البارونات فى الفصل بين المتنازعين انظر:

Livre de Jean d'Ibelin, op. cit., I, p. 326, 418; Cf. also: Dodu, op. cit., p. 261.

(١) Livre de Jean d'Ibelin, op. cit., I, d. 214; Cf. also: La Monte, op. cit., p. 22.

(٢) Livre de Jaques d'Ibelin, op. cit., I, p. 527.

أو تصديقه من قبل الامبراطور (١) .

وهنا نجد صورتين مختلفتين عن مدى التزام بارونات صيدا لضمان سريان مبدأ العدالة . ففي الحالة الأولى يتضح تعسف بارونها ومحاولة التعدى على حقوق الغير ، ولكن خوفه من الملك اضطره الرضوخ لأوامره . وفي الحالة الثانية يحاول بارون صيدا الالتزام التام بتطبيق العدالة . وقد راعى ألا يكون هناك أدنى اختلاف بين أوامر الامبراطور والأحكام القضائية الصادرة في موضوع واحد . وكان مرجع ذلك في واقع الأمر إلى عدم خضوع بارونات المملكة الأربعة لسلطان المحكمة العليا ، إذ كانوا خاضعين لسلطان المحكمة العليا ، ويستمدون سلطانهم منه (٢) . ويحتمل أن يكون هذا الوضع هو الذى خلق هاتين الصورتين المتناقضتين . ومن الواضح أيضا أن هذا يرجع إلى قوة سيطرة الملكية اللاتينية في بيت المقدس على بارونية صيدا في عصورها المختلفة . فلولا خوف جيرار من الملك بلدوين الثالث لما عدل عن موقفه ، ولكان قد تمادى في تحدى الملك ومثال هذا يقال أيضا عن موقف باليان ، لأنه لولا خوفه من معاقبة الامبراطور الالمانى له لكان قد نفذ الحكم رغم معارضته لأوامر الامبراطور .

وإذا كنا قد تحدثنا عن حقوق وواجبات كل من الملك الصليبي وأصحاب البارونيات الاربع تجاه الآخر ومن بينهم بطبيعة الحال بارون صيدا ، وحقوق الاتباع داخل البارونيات ، فلابد من إلقاء الضوء على التنظيمات القضائية داخل بارونية صيدا في ذلك الوقت . فكانت هذه التنظيمات

(١) Livre de Jean d'Ibelin, op. cit., I, p. 326.

(٢) Ibid, I, p. 418, Cf. also: Lammens, op. cit., p. 239.

شأنها شأن أى تنظيمات أخرى فى أى مدينة صليبية ، خاضعة لمملكة بيت المقدس . فكانت توجد بها محكمتان: إحداهما تنظر فى الشئون الخاصة بطبقة النبلاء ، والاخرى خاصة بالطبقة البرجوازية (١). وبالاضافة إلى هاتين المحكمتين وجد نوع آخر من المحاكم اختص بالموانى والنواحي التجارية المتعلقة بشحن السفن فقط ، وهو ما يعرف باسم « محكمة السلاسل » أو المحكمة البحرية (٢) . وكانت مثل هذه المحاكم ملتزمة بالسير على نهج قوانين المحكمة العليا (٣) وقد اختصت المدن الساحلية فقط بهذا النوع من المحاكم (٤) .

هذا عن أهم التنظيمات الاداريه والقضائيه لبارونية صيدا . أما عن الوضع الاقتصادى بها ، فما يؤسف له أن المصادر الأصليه لاتمدنا بمعلومات مباشرة وواضحة فى هذا الصدد على الرغم من كون صيدا ميناء بحريا وقتذاك .

---

(١) تمثل طبقة التجار والصناع وهى فئة تتميز بالثروة والثراء وقد أتت من كافة البلاد الأوروبية بعد أن استتب الأمر للصليبيين فى الأراضى المقدسة ، وقد انتشرت هذه الفئة فى المدن الساحلية مثل صيدا وصور وبيروت وعكا وبفضلها فتحت المكاتب التجارية والأسواق فى كل المدن الداخلية والساحلية . ولمزيد من التفصيلات أنظر :

Dodu, op. cit., p. 26 .

(٢) اشتقت هذه التسمية من المدن الساحلية وكانت تغلق مقدم مينائها بسلسلة ممتدة بين برجين لتمنع دخول المراكب الأجنبية . واذا أرخيت هذه السلسلة تمكنت المراكب من الدخول الى الميناء أنظر فى ذلك :

Heyd, Histoire du Commerce du Levant, t. I, p. 336; Dodu, op. cit , p. 295.

(٣) Ibid, p. 290.

(٤) Runciman, op. cit., II, p. 10.

كذلك لاتسعفنا المنابع والأصول بالمادة التي تلقي الضوء على طبيعة العلاقات التجاريه بين بارونية صيدا والدول الاسلامية المجاورة لها خلال الفترة موضوع البحث . وليس معنى ذلك أنه لم يكن لها أي دور إقتصادي ، ولكنه كان أقل شأنا من الدور الذي لعبته الثغور الصليبيه الأخرى مثل صور وعكا ويافا(١) ولعل ذلك مرجعه صغر مينائها فضلا عن أن مينائي صور وعكا وكانا يحتلان مركز الصدارة في شتى النواحي التجارية الخاصه بالصليبيين في ذلك الوقت وفقاً لروايه وليم هايد (٢). كل ذلك أضعف من وضع صيدا ومكانتها من الناحيه الاقتصاديه . ولكن يبدو أن معاملات صيدا التجاريه كانت أكثر إزدهارا مع جاراتها المدن الساحليه الخاضعة للحكم الصليبي منها مع البلدان الاسلاميه المجاورة . وليس أدل على ذلك مما ذكره الكاتب الانجليزي كوندر Conder في مألفه « مملكة بيت المقدس اللاتينية » من أن أسقف القصور في صيدا كان معظمها مصنوعا من شجر الارز الموجود في لبنان (٣). وهذا يعني وجود تبادل تجاري بين بارونية صيدا ومدينة بيروت. هذا من ناحيه ، ومن ناحيه أخرى يذكر هايد أن موانى مملكة بيت المقدس كانت تستقبل كميات كبيرة من منتجات آسيا (٤). وإذا كان المؤرخ لم يحدد أسماء تلك الموانى ، إلا أنه من المرجح أن لصيدا نصيب من هذه المنتجات وهذه السلع والبضائع أما أن تصل اليها مباشرة من موانى آسيا عن طريق البحر ، وأما أن تفرغ

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ص ١٠٣ .

(٢) Heyd, op. cit, I, pp. 174 - 175.

(٣) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 18.

(٤) Heyd, op. cit., I, p. 174.

المراكب القادمة من آسيا في ميناء صور أو ميناء عكا ، ثم تنقل بعد ذلك إلى صيدا وغيرها من المدن الصليبيه . ونضيف إلى ما تقدم مثال آخر له أهمية ، إذ يذكر الكاتب الانجليزى ستيفنس رانسيمان أنه عندما وصل الصليبيون الى الأراضى المقدسة تبين لهم كثرة زراعة قصب السكر في المناطق الساحلية ، فواصلوا زراعته وتعلموا من السكان الوطنيين عملية إستخراج السكر منه ، وكثرت مصانع السكر فى معظم مدن الساحل(١) . وعلى الرغم من أن الكاتب لم يوضح صراحة أن كانت صيدا تدخل ضمن هذه المدن الساحلية المنتشر بها مثل هذه المصانع أم لا ، لأن نشاطها التجارى يبدو واضحا فى هذا المجال . فاذا كانت صيدا تملك مصانع إستخراج السكر من القصب فانها فى هذه الحالة تقوم بتصديره الى الامارات الصليبية التى تحتاج اليه . واذا لم تكن تملك مثل هذه المصانع فانها تقوم باستيراد حاجتها من السكر من الامارات والمدن الساحلية التى يوجد لديها فائض منه .

وعلى أية حال ، ينبغى أن نذكر أنه بعد ان استرد صلاح الدين الأيوبى بيت المقدس سنة ١١٨٧م/٥٨٣ هـ بدأت التجارة اللاتينية تبحث لها عن منفذ آخر من ناحية الشمال حيث يسود الهدوء بسبب سيادة المسلمين هناك ، على موانى الشام الواقعة تحت حكم اللاتين . وقد ظهرت ذلك بعد غزو المغول للأراضى الشامية (٢) . بمعنى أنه اذا كان الصليبيون يستخدمون ميناء صيدا فى أحد الأنشطة التجارية الخاصة بهم أثناء حكمهم لها ، فان الوضع قد تغير

(١) Runciman, op. cit., III, p. 333; Jacobe de Haas, History of Palestine, p. 11.

(٢) L'Alas et Beyrouth, Cf. A. O. L., t.I, p. 294.

بعد استيلاء صلاح الدين على غيرها من المدن الساحلية. ولذا بدأ الصليبيون يتجهون نحو الشمال .

أما عن علاقة الجاليات الايطالية وبخاصه البنادقه والجنويه ببارونية صيدا فيبد وانه لم يكن بالبارونية اية مؤسسه او منشأة ايطاليه مثلما كان متبعا فى باقى المدن الصليبيه . ويكشف عن ذلك قول رانسيمان من ان المعاهدات بين الصليبيين والجاليات التجارية الايطاليه قد كفلت للجنوية اقامة منشآت فى يافا وعكا وقيسرية وأرسوف وصور وبيروت وطرابلس وجبيل واللاذقية والسويديه وأنطاكيه بينما إقتصرت مؤسسة البنادقة فى المدن الكبرى منها فقط. ونزلت جاليات البيازنة فى صور وعكا واللاذقيه وطرابلس ، وحل أهالى أمالفي فى عكا واللاذقية (١) وعلى هذا لم ترد أية إشارة إلى وجود الجاليات التجارية الايطالية فى صيدا .

وامتداداً للحديث عن الوضع الاقتصادى فى بارونية صيدا ، نلاحظ أن بارونها كان يعتمد على مصادر عديدة يستمد منها موارده المالية التى تساعده فى شتى المعاملات التجارية وفى إدارة شئون البارونيه ، منها ما يتحصل عليه عن طريق النهب والسلب بالاغارة على القرى والضياع والقوافل الاسلاميـة المارة ببارونيته ، ومنها ما يتحصل عليه من الحقول والمزارع التابعة للصليبيين، فضلا عن الضرائب المفروضة على الصادرات والواردات والمبيعات والمشتريات. هذا من ناحيه (٢) . ومن ناحية أخرى كانت هناك رسوم مقررة على التجارة القادمة من داخل البلاد الاسلامية إلى الساحل حيث تقـرر السماح للتجار

---

(١) Runciman, op. cit., II, p. 294.

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ١ ص ٣٨٠ .

المسلمين بالقدوم بمتاجرهم إلى الموانى الواقعة على الساحل(١).

كان لزاما علينا أن نختتم هذا الفصل بعرض مركز لأحوال صيدا، بعد تأسيس بارونية لاتينية بها، من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وبخاصة ما يتعلق بعلاقات الصليبيين وحكامها اللاتين بأهل صيدا من المسلمين والمسيحيين الشرقيين، وهذا أمر يتصل إتصالا وثيقاً بموضوع البحث ويلقى الضوء على كثير من جوانبه وقضاياه.

هذه صورة عامة لأحوال صيدا أثناء تبعيتها للخلافة الفاطمية ثم بعد استيلاء الصليبيين عليها عام ١١١٠م/ ٥٠٤ هـ وجعلها بارونية صليبيـــه خاضعة لمملكة بيت المقدس اللاتينية. وقد تمكن حكامها الصليبيون بفضل قوة شخصياتهم وشجاعتهم أن ينهضوا بها من خلال النظم والأوضاع التى ساروا عليها، بل وجعلها دائما فى مقدمة المدن الساحلية الهامة التى تعتمد عليها مملكة بيت المقدس فى شتى المسائل والأمور. وسوف تكشف الفصول التالية عن أهمية الدور الذى قامت به بارونية صيدا فى شتى المعارك الحربية التى خاضتها ضد مسلمى الشرق الأدنى إلى أن انتهى الأمر باسترداد المسلمين لها بشكل نهـــائى فى سنة ١٢٩١ م (٦٩٠ هـ).

(١) Runciman, op. cit., II, p. 318.

الفصل الثاني

فترة الحكم الصليبي الأولى لصيدا

صيدا في ظل أسرة يوستاش جارنييه (١١١٠ - ١١٨٧ م / ٥٠٤ - ٥٨٣ هـ)

دور يوسطاش جارنييه أول بارون لصيدا في حصار صور عام ١١١١م / ٥٠٥ هـ، وانعكاساته على موقف دمشق - اشتراك صيدا في هجوم الصليبيين على نواحي دمشق عام ١١٢١م / ٥١٥ هـ، ونتائجه - اختيار يوسطاش جارنييه نائبا لمملكة بيت المقدس أثنــاء غياب ملكها في الأسر ، وأثره على المسلمين في المنطقة — جيرارد بن يوسطاش وتــدعيم نفوذه في البارونيه ١١٢٤ — ١١٥٤م / ٥١٨ — ٥٤٩ هـ) — تبادل الهجمات والاشتباكات بين أفرنج الشام والمسلمين في المنطقة - علاقــة صيدا بنور الدين محمود في ظل حــكم البارون أرنــاط اتفاق عموري ملك مملكة بيت المقدس مع اسماعيلية الشام عام ١١٧٣م / ٥٦٩ هـ وأثاره على جماعة الفرسان الداوية في صيدا — صلاح الدين الأيوبي وعلاقته بأرنــاط صاحب صيدا - استرداد المسلمين لصيدا عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ.

أوضحنا في الفصل السابق المحاولات العديدة التي قام بها الصليبيون بهدف الاستيلاء على صيدا فيما بين عامي ١١٠٣ و ١١٠٧م (٤٩٧ - ٥٠١ هـ) ، إلى أن انتهى الأمر باحتلالها عام ١١١٠م / ٥٠٤ هـ وجعلها بارونية صليبية تابعة لمملكة بيت المقدس ، تولت الحكم فيها أسرة يوستاش جارنييه Eustach Garnier . وتناولنا في ختام الفصل الاوضاع الداخلية للبارونية وأثر ذلك على علاقاتها بمسلمي المنطقة .

لقد أدت هذه البارونية ابان الصراع الصليبي الإسلامي فوق رقعة الشرق الادنى دورا لا يمكن التهوين منه منذ سقوطها في أيدى اللاتين عام ١١١٠م / ٥٠٤ هـ وحتى استرداد المسلمين لها عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي . وترك هذا الدور أعمق الأثر على علاقاتها بجيرانها المسلمين ابان الفترة موضوع البحث .

وأول مايستلفت النظر أن بارونية صيدا قامت بدور هام في تدعيم الوجود الصليبي في بقية مناطق مملكة بيت المقدس اللاتينية . ففي سبتمبر ١١١١م / ربيع الأول ٥٠٥ هـ ، أعد الملك بلدوين الأول كل القوى الصليبية الضاربة في المملكة ، وكانت تقدر بحوالى ستة عشر الف مقاتل ، حيث عسكروا عند الضفة الغربية لنهر الاورونت (١) وكان الملك بلدوين قد عهد إلى يوستاش

(١) هو ما يسمى الآن بنهر العاصى ، وهو يصب من وراء بعلبك ويتجه شمالا حتى يقارب غربي حمص فيصب هناك في بحيرة متوسطة الاتساع ، ثم يخرج منها ويمر غربي حمص الى حماة ، الى شيزر ومنها الي أفامية فيصب في بحيرة بها . ويشق بعد ذلك في جبال تعرف بجبال الغرب ديركوش ومنها الى بلد بلد يعرف بالاقليم ، ثم ينزل الي العقا الى انطاكية ثم الي السويدية فيصب في البحر الشامي حيث ينعطف هناك . انظر: العمرى : مسالك الابصار في ممالك الامصار - نشر أحمد زكي ج ١ . ص ٨١ .

جارنييه قيادة احدى الفرق المشتركة فى هذه الغزوة . ولما علم المسلمين بذلك تحركت جيوشهم بقيادة كل من طغتكين اتابك دمشق (١١٠٤ — ١١٢٨م ٤٩٨ — ٥٢٢ هـ) ومودود صاحب الموصل (١١٠٨ - ١١١٣م / ٥٠٢ — ٥٠٧ هـ) واتجهت نحو الضفة الشرقية لهذا النهر وعسكرت هناك . وظل كل من الطرفين يترقب تحركات الآخر دون أن يجرؤ أحدهما على شن الهجوم الشامل على الآخر ، بأستثناء بعض المناوشات الخفيفة . وفى النهاية قرر الملك بلدوين الانسحاب (١) وأخذ يعد العدة لحملة كبيرة هدفها احتلال مدينة صور . فبعد أن سقطت صيدا فى ايدى الصليبيين لم يبق من المدن الساحلية الخاضعة المسلمين سوى مدينتى صور وعسقلان ، وبالاستيلاء عليهما يكون الصليبيون قد فرضوا سيطرتهم التامة على كل الساحل الشامى . وكانت صور آنذاك خاضعة لحكم الفاطميين فى مصر بعد أن تمكن الوزير بدر الجمالى من انتزاعها عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧م من يد واليها منير الدولة الجيوش (٢) . وعلى هذا حشد الملك الصليبى بلدوين الأول جمعا كبيرا من الفرنج الخاضعين لمملكة بيت المقدس وتوجه هذا الجيش صوب صور وفرض عليها الحصار فى ٢٧ نوفمبر ١١١١م / ٢٥ جمادى الأولى ٥٠٥ هـ ، ومنع عنها الاتصال الخارجى حتى تضطر إلى التسليم (٣) . وعمل الفرنج ثلاثة ابراج خشبية ضخمة يبلغ أرتفاع

---

(١) Albert d'Aix, op. cit., IV, p. 65 ; Cf. also : Grousset, op. cit., I, p. 469; Encyc. of Places, p. 549.

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق، ص ١٣٤ .

(٣) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 481.

انظر ايضا ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٨ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ ص ٢٠٦ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤١٣ .

الواحد منها حوالى سبعين ذراعا ، وفى كل برج ألف رجل (١). وعهد الملك بلدوين قيادة هذه الابراج إلى يوستاش جارنييه صاحب صيدا (٢). مما يبين أنه الرجل الثانى فى مملكة بيت المقدس الصليبية بعد حاكمها بلدين الأول .
وكانت هذه الابراج مصدر فزع لأهل المدينة . لذا فكروا فى حيلة يدفعون بها شر الابراج عنهم . فجمع أحد شيوخ طرابلس ألف مقاتل يحمل كل منهم كمية من الحطب وتمكنوا من الوصول إلى البرج الملتصق بسور المدينة وألقوا عليه الحطب من كل الجهات وأشعلوا فيه النيران مما أدى إلى هلاك عدد كبير من الصليبيين الذين كانوا فيه (٣). وكان ذلك بمثابة الضربة القاصمة التى وجهت إلى يوستاش جارنييه صاحب صيدا الذى عهد اليه أمر قيادة الفرقة المخصصة لحراسة هذا البرج بالاضافة إلى البرجين الآخرين .
ولاشك أن ذلك الوضع قد أظهره أمام الملك الصليبى بمظهر القائد الغير كفء والذى لايمكن أن يعتمد عليه بعد أن كانت الأنظار تتجه اليه فى المواقف الحاسمة .

وغير خاف أن انتصار المسلمين على الصليبيين الموجودين داخل البرج وتدمير البرج نفسه كان له أثره الكبير فى رفع الروح المعنوية لدى أهالى المدينة ، وفى اصرارهم فى الدفاع عنها . وفى نفس الوقت كاتب والى المدينة

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٠٦ .
(٢) Albert d'Aix, op. cit., IV, p. 682; Cf. also : Grousset, op. cit., I, p. 691.
(٣) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٢٠٦ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٩ راجع أيضا :
Albert d'Aix, op. cit., IV, p. 692.

وأهلها ظهير الدين طغتكين أتابك دمشق يطالبونه على سوء حالتهم وشعورهم باليأس ضد «الفرنج الملاعين» وطلبوا منه سرعة اغاثتهم حتى لايجدوا أنفسهم مضطرين إلى تسليم المدينة للعدو (١). وسرعان مالبي طغتكين طلب الأهالى. ولعل السبب فى اسراعه لانقاذ المدينة يرجع إلى رغبته الصادقة فى التعاون مع أهلها ضد الفرنج الدخلاء ليتمكن من كسر شوكتهم ويحد من اتساع نفوذهم فى المنطقـة ، حتى لايكونوا مصدر خطر يهدد مملكته فى المستقبل أو ربما يكون طغتكين قد لمس عجز الدولة الفاطمية فى وقت كانت تعانى فيـه من التدهور والانحلال عن ارسال قوة لحمـا يتهم وحفظ المدينـة من السقوط فى أيـدى العدو الفرنجى. لذا أرسل جيشا يتألف من مائتى فارس تمكنوا من دخول المدينة ومساعدة أهلها. أما طغتكين نفسه كان يغير بجيشه على أعمال الفرنج من جميع الجهات ليشغلهم عن محاصرة صور. ويلاحظ أن هذا الاسلوب من أتبعه المسلمون بصفة عـامة فى صراعهم ضد الصليبيين. وتمكن طغتكين قد قطع الميرة التى كانت تصل إلى الفرنج عن طريق البر مما جعلهم يأتون بها من صيدا عن طريق البحر. ولمـــا فطن طغتكين إلى ذلك جمع جيشه واتجه نحو صيدا وهاجمها هجوما عنيفا وقتل عددا كبيرا من رجال حاميتها ، ودمر واحرق عشرين مركبا كانت راسية على ساحل المدينة. وهو إلى جانب ذلك كان يواصل مكاتباته إلى أهل صور يشجعهم على الصمود ويحثهم على مواصلة الدفاع عن مدينتهم ضد الفرنج. ولمـا استبد اليأس بالفرنج اضطروا إلى الرحيل عنها واتجهوا صوب عكا دون أن يحققوا هدفهم (٢).

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٨ .

(٢) ابن القلانسى : المصدر السابق ص١٧٩ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ —

يتضح مما تقدم أهمية الدور الذى لعبته بارونية صيدا فى هذا الحصار على الرغم من أنه لم يحقق الهدف الذى استهدفه الفرنج ـ فبجانب اشتراكها الفعلى فى حصار المدينة صور قامت بدور فعال فى احداث ذلك الزمان مستغلة قرب موقعها البحرى من صور وأرسلت الامدادات اللازمة للقوات الصليبية بعد أن قطعت عنها الميرة التى كانت تصل اليها عن طريق البر . وبذلك سدت فراغا كبيرا افاد منه الصليبيون . ولولاها لصعب على الصليبيين المحاصرين للمدينة الحصول على ما يحتاجون اليه من المؤن وخلافه ولربما كان قد قضى عليهم كلهم .

على أية حال ، لم يكن هذا هو العون الوحيد الذى قدمه يوستاش جارنييه صاحب صيدا إلى الصليبيين فى حربهم ضد المسلمين . ففى يونيو ١١١٣م / محرم ٥٠٧هـ جمع الفرنج كل فرسانهم ورجالهم وأمرائهم برئاسة الملك بلدوين نفسه وتصافوا عند بحيرة طبرية لمقاتلة المسلمين المجتمعين هناك . وعند ذاك كون كل من طغتكين أتابك دمشق ومودود بن التونتكين صاحب الموصل جيشا كبيرا اتجهوا به نحو الصليبيين والتحم الجيشان فى معركة لقى فيها الفرنج الهزيمة ، فتراجعوا إلى مضيق دون طبريه محاولين اعادة تنظيم صفوفهم خاصة بعد أن وصلتهم النجدة من أمارة انطاكية الخاضعة لنفوذ اللاتين .

وتعقبهم المسلمون وحاصروهم وحتى لايلحق بهم الهزيمة مرة أخرى اضطروا إلى الرحيل . وعند ذاك اذن مودود لعساكره بالعودة إلى ديارهم كى

= جـ ١ ص ٢٠٧ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٨ ، العينى : عقد الجمان جـ ١٧ ورقة ٤٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٨١ انظر كذلك :
Albert d'Aix, op cit., IV, p. 693.

ينالوا قسطا من الراحة ، على أن يتم تجميعهم مرة ثانية في فصل الربيع لمعاودة الهجوم على الصليبيين وفقا للعادة المتبعة . وبقي مودود مع خواصه بعض الوقت ثم دخل دمشق مع طغتكين في ربيع الأول سنة ٥٠٧ هـ / سبتمبر عام ١١١٣م. ولكنه لقي مصرعه على أيدى ثلاثة من الفداوية (١) الذين برز دورهم أن

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ـ تحقيق عبد القادر طليمات ص ١٨ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص٢١ وراجع أيضا :

Defrémery, Nouvelles Recherches sur les Ismaéliens ou Bathiniens de Syrie, p. 389.

المعروف أن الحسن ابن الصباح (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤م) مؤسس الدولة النزارية الاسماعيلية فى فارس ، والتي انتقل مقرها فيما بعد الى الشام ، قد قسم جماعة دولته الى خمس مراتب وقصر مهمة حمل السلاح على جماعة واحدة ممن اشتهرت بالقوة الجسمانية ، وأعضاء هذه الجماعة هم الفداوية الذين يضحون بحياتهم فى سبيل الطاعة لامامهم، ويعتبرون الاداة الفعالة للدولة . وكانت هؤلاء يقدمون الطاعة العمياء لزعيمهم ويذهبون الى أماكن بعيدة من أجل تنفيذ أى عملية اغتيال يطلب اليهم تنفيذها . وكانت هذه "طاعة مقابل تمتعهم بنعيم الجنة اذ كان يوهمهم بقدرته على أدخالهم أياها . وكانت وسيلته فى اقناعهم بذلك أن يدعو نفرا منهم لمائدة الطعام وبعد أن يتسامروا يعطيهم مشروبا مخدرا من نبات الحشيش ـ مما جعل اسم الحشيشية يقترن بهم ـ فاذا عاد الفداوي الى رشده وجد نفسه فى أجمل الجنات ويكون على يقين بأنه فى الجنة . وبعد بضعة أيام يعاد أولئك الفداوية مرة أخرى بنفس الطريقة الى ذات المكان الذى كانوا فيه فى حضرة زعيمهم ويخاطبهم حينئذاك بأنهم اذا كرسوا أنفسهم لخدمته وطاعته سوف يدخلهم هذه الجنة مرات عديدة. وقد أيد الرحالة البندقي ماركو بولو وجود هذه الحدائق ووصفها فى رحلاته . وكان لهذه الجماعة دور كبير فى اغتيال الشخصيات الاسلامية والصليبية على حد سواء فى عصر الحروب

ذاك في ظل الصراع الصليبي الاسلامي ، وهكذا أيضا فقد واحد من الرواد الأول لحركة الافادة الإسلامية ضد الخطر الصليبي في الأراضي المقدسة .

ورغم أن المصادر المعاصرة للفترة موضوع البحث من عربية وأجنبية لم تشر بشكل واضح وصريح إلى وجود قوات صيدا ضمن هذه الأعداد الصليبية الغفيرة، إلا أنه من المنطق أنها كانت مشتركة في هذه الغزوة بحكم كونها احدى القوى الضاربة الهامة والتابعة مباشرة لمملكة بيت المقدس اللاتينية ، فيكون مثلها في ذلك مثل باقي البارونيات الثلاث الأخرى . بمعنى أن أي جيش يقوم باعداده الملك الصليبي من أنحاء المملكة لابد وأن تمثل فيه قوات هذه البارونيات الأربع (١). ويجب ألا ننسى في هذا المقام أن المؤرخين المسلمين كانوا يشيرون في كتبهم وتآليفهم إلى أهل الغرب اللاتيني الذين استقروا في الشرق ابان الحركة الصليبية بلفظة « الفرنج » أو « الفرنجة » وهي تنسحب على كل القوى الصليبية الموجودة في الأراضي المقدسة بلا استثناء .

وإلى جانب ماتقدم كان لبارونية صيدا دور كبير في الغزوة التي شنها

الصليبية بحيث وصفه براون بأنهم « ملائكة النقمة وأداة الانتقام في أيدى رؤساء النزارية » لمزيد من التفصيلات أنظر :

Marco - Polo, Travels, pp. 75 - 76; Cf. also: Michaud, op. cit., III, pp. 429 - 430; Browne, Literary History of Persia, t. III, p. 206; Guyard, un Grand Maitre des Assassin, pp. 342-344.

أنظر أيضا سبط ابن الجوزي : تلبيس ابليس ص ١١١ ، محمد أبو النصر: قلعة الموت ص ١٢٣ ، أسامة زيد: الصليبيون واسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية ، ص٦٨ — ٧٢

(١) أنظر ما سبق ص ١٠٦ — ١٠٧ .

الصليبيون ضد جيش المسلمين بالقرب من دمشق عـام ١١٢١ م / ٥١٥ هـ.
وسبب ذلك أنه في عام ١١٢٠م ٥١٤هـ شن ايلغازى الارتقى صاحب ماردين(١) (١١ - ١١٢٢م / ٤٩٨ - ٥١٦ هـ) غارة شديدة على أمارة الرها الخاضعة للنفوذ اللاتيني (٢). ولم يكتف بذلك بل امتدت اغاراته حتى وصلت الجهات المجاورة لانطاكيه، الأمر الذى اثار ثائرة الصليبيين وجعل الملك بلدوين الثانى يتوجه بقواته لصد هذا العدوان. ولكن ما أن علم ايلغازى بقرب وصول القوات الصليبية تجاهه حتى انسحب عائدا إلى بـلاده (٣). وفى ذلك الوقت انتهز طغتكين اتابك دمشق فرصة انشغال الملك الصليبي فيما فعله ايلغازى، وسن غارة واسعة النطاق على منطقة الجليل، مما زاد مخاوف بلدوين. فجمع جيشا كبيرا اشتركت فيه صيدا وعكا ويافا. ثم سار على رأسه وعبر الاردن فى يوليو ١١٢١م / ربيع الثانى ٥١٥هـ، ونهب فى الطريق جولان واحتل

---

(١) هى جمع مارد وسميت بذلك الاسم لان مستحدثها لما رأى حصانة قلعتها وعظمتها وقال هذه ماردين. ولها قلعة على قمة جبل وأمامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات. والماء عند أهلها قليل وأكثر شربهم من الصهاريج، وأجمع المؤرخون بأنه ليس بالارض أحسن منها وقد ذكرها شاعر جرير يقول ياحرز تغلب أنت اللوم حالفكم مادام فى ماردين الزيت يعتصر.

راجع ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ٤ ص ٣٩٠، القزوينى: اثار البلاد ص١٧٢، القرمانى: اخبار الدول واثار الاول ص ٤٨٨، مجهول: مراصد الاطلاع جـ ٣ ص ٣٨.

(٢) كان صاحبها فى ذلك الوقت هو جوسلين كورتيناى الاول وهو ابن عم الملك بلدوين الثانى، وقد تولى حكم الامارة فى الفترة من ١١١٨ - ١١٣١م/٥١٢ - ٥٢٦ هـ.

(٣) Runciman, op. cit., II, p. 135.

أحد الحصون (١) التي كان قد شيدها طغتكين هباك . ثم واصل الصليبيون غاراتهم على المناطق المجاورة لدمشق وحاول طغتكين التصدى للقوات الصليبية ولكنه فوجىء بكثرة عددهم ، فأضطر إلى الانسحاب مع جيشه متوجها إلى قلعة دمشق للاحتماء بها (٢)

وإذا كانت المصادر العربية والاجنبية على السواء لم توضح أهمية الدور الذى لعبه يوستاش جارنيية بارون صيدا خلال هذه الغزوة الصليبية ، إلا أنها أفصحت بشكل جلي عن دوره الكبير أثناء حربه ضد المصريين عند حصارهم مدينة يافا عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ . ولتوضيح ذلك يجب الرجوع قليلا إلى الوراء . ففى عام ١١٢٢ م / ٥١٦ هـ تمكن المسلمون من هزيمة بعض القوات الصليبية بالقرب من سروج (٣) ، وأسر قائدها جوسلين صاحب الرها . وما أن علم الملك بلدوين الثانى بذلك حتى أعد جيشه وأستعد لتخليص جوسلين من أسرة . ولكن شاءت الظروف أن يقع الملك هو الآخر أسيرا فى أيدى

---

(١) كان هذا الحصن ملكا للعرب قديما ، وتمكن طغتكين من الاستيلاء عليه وأدخل عليه عدة تحسينات وكان يطلق عليه اسم « جرش » Geraza ويشتهر بأسواره العاليه المنيعة من الحجر الابيض كبير الحجم . ويقع بجانب جبل جاماد Gilea الواقع جنوب نهر الزرقا ، فيما وراء النهر أنظر :

Anenimous, Cf. R.H.C. – H Occ., t. IV, p. 578.

(٢) Foucher de Chartres, op. cit. III, p. 4 6; Anonimeus, op. cit., IV, p. 578.

(٣) هى بلدة صغيرة قريبة من ديار مصر وعلى مسافة من البيرة ، واسمها مشتق من السراج . أنظر مؤرخ مجهول : مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٢٨ .

المسلمين (٢) . فكان لهذا الخبر أثره السيىء فى نفوس الصليبيين بصفة عامة وساد الحزن أنحاء المملكة اللاتينية فى الاراضى المقدسة ، وأصبح الامر يشكل خطورة كبيرة ويحتاج إلى تنصيب نائب عن الملك أثناء غيابه فى الاسر (٢) ، خاصة وأن الأمور فى المملكة لم تكن قد أستتبت بعد . وثمة أشياء عديدة كانت تمثل الشغل الشاغل للصليبيين فى ذلك الوقت ، أهمها العمل على أستكمال سيطرتهم على الساحل الشامى بالاستيلاء على صور وعسقلان . ولا يتحقق هذا الأمر إلا بوجود رأس مدبرة حكيمة تعمل على لم شمل الصليبيين فى جميع أنحاء المملكة . وتشير النصوص الواردة فى قوانين مملكة بيت المقدس أنه عند غياب الملك أو مرضه تتولى والدته حكم المملكة وتصبح نائبة عنه ، وان تعذر ذلك يصبح هذا المنصب من نصيب أقرب شخص لوالديه . وإذا لم يكن هناك من يستحق شغل هـذا المنصب فكانت النيابه تؤول لاى شخص كفء يجمع رجال المملكة وباروناتها على أختياره (٣) . لذا أجتمع جورمون بيكينى بطريك

---

(١) Mattieu d'Edesse, Cf. R.H C., Doc. ARM., t. I. p. 133; AN-onimous, Li Estoire de Jerusalem et d'Antioche, Cf. R. H.C.- H. Occ., t. V, p. 647; Roger of Wendover op. cit., I. p. 474; Cf. also : Ludlow, op. cit., p. 150.

ولمزيد من التفصيلات أنظر ابن العديم : زبـدة الحلب فى تاريخ حلب جـ ٢ لوحة ١٤٧ ، حيدر الشهابى : الغرر الحسان فى تواريخ حوادث الازمان ص ٣٢٧ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية جـ ٦ ص ٥٦ .

(٢) Anonimous, Cf. R.H.C. - H. Occ., t. IV, p 580.

(٣) Documents Relatifs à la Sucessibilité aux Toren et la Régence, Cf. Assises de Jerusalem, t. II, pp. 397 — 398; Cf. also : Dedu, op. cit., pp. 124-125.

مملكة بيت المقدس (ابريل ١١١٨ / يناير ١١٢٨ م / محرم ٥١٢ — محرم ٥٢٢ هـ) وجميع بارونات المملكة وسادة الصليبيين فى بيت لحم (١) . من أجل أختيار من يمثل مملكة بيت المقدس ويكون نائباً عن الملك بلدوين لحين اطلاق سراحه ، وثار فى بداية الامر خلاف وانقسام فى الرأى فيما يتعلق فى اختيار من ينوب عن الملك ، وانتهى الرأى على اختيار يوستا ش جارنييه صاحب صيدا لما يتمتع به من سمعة طيبة إلى جانب ما تتمتع به اسرته من مركز مرموق لدى الملوك والامراء فى الغرب (٢) . وأقسم كبار ورجال المملكة أمام يوستاش جارنييه بطاعتهم له ، والسير على نهج سياسته دون أى معارضة (٣) . ومما لا شك فيه أن بارونية صيدا فى ذلك الوقت كانت تتمتع بمكانة ممتزة عن غيرها من البارونيات الثلاث الاخرى التى تشتمل عليها المملكة ، بحيث كانت محل ثقة الجميع .

---

(١) هو الموضع الذى ولد فيه السيد المسيح ، ويقع على مقربة من القدس بحوالى ستة أميال ، وفى منتصف الطريق يوجد قبر ولدى يعقوب . وبالمدينة كنيسة حسنة البناء بها قطعة من النخل زعموا أنها النخلة التى أكلت منها السيدة مريم عند ما أوحى اليها بذلك أنظر الادريسى : نزهة المشتاق فى ذكر الامصار ورقة ٦٤ ، القزوينى : اثار البلاد وعجائب العباد ص ١٠٧ أنظر أيضا :

Encyc. of Places, p 92.

(٢) Foucher de chartes, op cit., III, p. 450; Guillaume de Tyr, op cit., I, p. 538; Anonimous, Cf. R.C. - H. Occ., t. IV, p. 580; Roger of Wendover, op. cit., I, p. 474; Mattieu d'edsse, op cit., I, p. 133; Cf. also: Iorga, Histoire des Croisades, p. 83; LaMonte, op. cit, p.9 Besant, op. cit., p. 265.

(٣) Guillaume de Tyr op. cit., I, p. 538.

مهما يكن ، فأن غياب الملك بلدوين الثانى احدث فراغا كبيرا وأوجد حالة من الفوضى في انحاء مملكة بيت المقدس مما شجع المصريين على انتهاز الفرصة بتجميع قوى المسلمين من أجل الاغارة على القوات الصليبية وتحرير بعض المدن الواقعة تحت سيطرتهم . وأعدوا اسطولا ضخما مكونا من ثمانية مركبا وخرجوا من عسقلان متجهين نحو مدينة يافا التي فرضوا عليها الحصار من ناحية البحر . بينما اتجه حوالى اربعة عشر ألف مقاتل عن طريق البر نحو المدينة لضرب الحصار حولها ، ونصبوا معداتهم الحربية على أسوارها ، واخذوا يوجهون ضرباتهم العنيفة ضدها لمدة خمسة أيام متتالية (١) وكان المسلمون يعلمون مدى ضعف الحامية الصليبية داخل المدينة وقلة عددها بالنسبة لجيشهم لذا أسرعوا في تشديد هجماتهم محاولين بث روح اليأس لدى الاهالى من الصليبيين حتى يضطروا للتسليم قبل وصول الامدادات الصليبية لهم مما يجعل الاستيلاء على المدينة أمرا صعباً (٢) .

ويبدو ان البنادقة فى ذلك الوقت قد علموا بتحركات الاسطول قبل ضرب الحصار حول المدينة فأرسلوا مندوبين من قبلهم إلى يوستاش جارنييه صاحب صيدا بصفته الممثل الحقيقى للصليبيين فى ذلك الوقت - وأخبروه بحقيقة الموقف ، وعرضوا عليه مساعدتهم . فوافق يوستاش جارنييه على ذلك مقابل

---

(١) Anonimous, Cf. R.H.C.H. Occ., t. V, p. 947; Monitum, Historia Niceanae vel Antiochena Nechon Jerosolymitana, Cf. R.H.G. H. Occ., t.V, p. 18 ; Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 453.

(٢) Anonimous, Cf. R.H.C. Occ., t. IV. p. 580; Cf. also ; Stevenson, op. cit., p. 114.

عدة امتيازات تمنح لهم وهي امتيازات اقتصادية في المرتبة الأولى (١) . وفي نفس الوقت أعد جارنييه جيشاً كبيراً من جميع أنحاء المملكة يتألف من ثمانية آلاف مقاتل وسار على رأسه نحو المدينة المحاصرة . وما ان علم المسلمون بذلك حتى فر بعضهم تاركين المدينة . وصعدوا فوق اسطح مراكبهم عائدين إلى بلادهم ، لشعورهم بعدم قدرتهم على صد ضربات القوات الصليبية التي كانت في طريقها اليهم . ولما وصلت الامدادات الصليبية بقيادة يوستاش جارنييه واشتبكت مع من تبقى من المسلمين المحاصرين للمدينة وانتصرت عليهم (٢) . وفي هذا الوقت كان الاسطول البندقي المكون من مائة وعشرون مركبا قد وصل إلى الاراضي المقدسة وانقسم إلى قسمين اتجه أحدهما إلى يافا لمساعدة الصليبيين هناك ، بينما سار القسم الثاني بحذاء الساحل لملاقاة بعض المراكب المصرية التي أخذت طريقها للعودة . واشتبك الاسطولان البندقي والمصري في معركة بحرية كبيرة تمكن فيها المقاتلون البنادقة من الصعود على ظهر المراكب المصرية وقتل عدد كبير ممن كانوا عليها . وكان عدد القتلى من الطرفين كبيرا حتى ان مياه البحر اصطبغت بدماء القتلى لمسافة تمتد حوالى أربعة آلاف قدم وبعد انتصار البنادقة في هذه المعركة البحرية اتجهوا نحو عسقلان حيث وجدوا عشرة مراكب مصرية ممن تمكنت من الهرب فاستولوا على ما بها ثم قاموا

(١) Foucher de Charters, op. cit., III, p. 450; Anonimous, Cf. R.H.C. - H. Occ., t. IV, p. 580; Cf. also: Lamonte, op. cit. p. 231.

(٢) Anonimous, Cf. R.H.C.-H. Occ., t. IV, p. 581; Cf. also: Mambourg, Histoire Les Croisades, t.I, pp. 297-298.

بإشعال النيران فيها (١) . ويرجع أحد مؤرخي الحروب الصليبية القدامى ، وهو مجهول الاسم ، سبب هزيمة المصريين إلى عدم يقظتهم ، قائلا انهم لم يكونو يتوقعون انضمام الاسطول البندقي للقوات الصليبية . إذ كانوا يعتقدون ان الغرض من وصول هذا الاسطوال هو الزيارة والحج وليس الحرب (٢) . وفي نفس الوقت يرى مؤرخ آخر مجهول الاسم أنه لو استمر المصريين في هجومهم على مدينة يافا دون أن ينسحبوا عند سماعهم بقرب قدوم قوات يوستاش جارنييه صاحب صيدا تجاههم لتمكنوا من الاستيلاء عليها بسبب الضربات الشديدة التي وجهوها إلى أسوارها في ايام الحصار الأولى ، الأمر الذي ترتب عليه أصابة وتدمير اماكن كثيرة من الأسوار . ولكن انسحابهم افسد عليهم كل الجهود التي بذلوها (٣) .

ويبدو ان هذه المعركة كانت آخر ما قام به يوستاش جارنييه من اغارات ضد المسلمين . ففي ١٥ يونيو ١١٢٣ م / ربيع الثاني ٥١٧ ه وافته المنية ، ووفقا لما جرى به العرف في المملكة تم اختيار ولـــيم دى بوريس Gillaume de Buris سيد طبرية والجليل ليكون خلفاً ليوستاش في نيابة الحكم اثناء غياب الملك بلدوين الثاني في الأسر (٤) .

---

(١) Anonimous, op. cit., IV, p. 581; Monitum, op. cit V, p. 181; Anonimous, op. cit., V, p. 647; Cf. also, Setton, History of the Crusades t. I, p. 45 .

(٢) Anonimous, op. cit., IV, pp. 581-582.

(٣) Anonimous, op. cit., V p. 6,47

(٤) Grousset, op. cit., I, p. 599; Stevenson, op. cit., p. 114; Lamont, op. cit., p 9.

وجدير بالذكر ان كلا من المؤرخ السلاتيني وليم الصوري في مؤلفه « الاعمال التي انجزت في بلاد ما وراء البحر » ، واحد المؤرخين اللاتين في كتاب له باسم « تاريخ بيت المقدس وانطاكيه » يدرج حادثة حصار المصريين لمدينة يافا ووفاة يوستاش جارنييه ضمن احداث عام ١١٢٢ م / ٥١٦ هـ دون أي تبرير لذلك (١) . والحقيقة خلاف ذلك ، لأنه من الثابت وفوق ما أجمع عليه المؤرخون الصليبيون المعاصرون لأحداث هذه الفترة من الزمن أن الحصار تم عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ ، وأن يوستاش جارنييه أشرف على قيادة الجيش الصليبي حتى أحرز النصر على جيش المسلمين وأنقذ يافا من الحصار . وحيث ان معركة يافا حدثت خلال شهر مايو ١١٢٣ م / ربيع الأول ٥١٧ هـ فيكون شهر يونيو ١١٢٣ م / ربيع الآخر ٥١٧ هـ هو الأقرب إلى الصحة عند تحديد تاريخ وفاة جارنييه (٢) .

ومهما يكن ، بعد انتصار الصليبيين على المسلمين في موقعة يافا اجتمع وليم دي بوريس وبطريرك مملكة بيت المقدس وبارونانها عقب الاحتفال بعيد الميلاد عام ١١٢٣ / ٥١٧ هـ مع ميشيل دوق البندقية وطلبوا منه بمناسبة وجود الاسطول البندقي في الأراضي المقدسة مساعدتهم في حصار مدينة صور . فوافقهم على ذلك مقابل الحصول على العديد من الامتيازات في كل من صور وعكا . وفرض الحصار على المدينة براً وبحراً في فبراير ١١٢٤ م / محرم ٥١٨ هـ (٣)

---

(١) Guillaume de Tyr, op. cit, I, p. 543, Anonimous, op. cit., V, pp. 647 648.

(٢) Foucher de Chartres, op cit., III, p. 4.0, Monitum, op. cit., V, p. 184.

(٣) Guillaume de Tyr, op. cit, I, p. 549, Cf. also: Michaud, op. cit., I, p. 295, Grousset, op. cit., t.I, pp.607 - 608.

واستمر الحصار حتى يوليو ١١٢٤ م / جمادى الأولى ٥١٨ هـ . وقد اشتركت فيه كل القوى الضاربة فى المملكة اللاتينية ومن ضمنها صيدا وباقى مدن الساحل (١) . ونظراً لشدة هجمات الصليبيين على صور اضطر أهلها إلى التسليم آخر الأمر (٢) .

وهكذا استحوذ الفرنج على معظم مدن الساحل الشامى وأحكموا قبضتهم عليه ولم يكن قد مضى ربع قرن على بداية الحركة الصليبية فى وقت كانت فيه أحوال الشرق الأدنى الاسلامى لا تسمح له بالوقوف فى وجه الدخلاء الاجانب .

بعد وفاة يوستاش جارنييه خلفه ابنه جيرارد Gérard فى حكم بارونييه صيدا (١١٢٤ — ١١٥٤ م / ٥١٨ هـ — ٥٤٩ هـ) باستثناء قيسرية . فلم تعد تابعة للبارونية ، بل انفصلت عنها لأن الحكم فيها لم يكن وراثياً فى أسرة يوستاش جارنيية وإنما كان قصراً عليه طول حياته فقط (٣) . ولم يكن جيرارد يتولى شئون البارونية حتى أخذ يعمل على تثبيت أقدامه فيها مقتفياً بخطى أبيه فيما يتعلق بتوطيد نفوذه لدى الملك الصليبى وفى جميع أنحاء مملكة بيت المقدس وبخاصة أمام باروناتها وكبار رجالها وكثيراً ما كان يشترك بقواته فى المعارك

(١) Conder, op. cit., p 94.

(٢) لمزيد من التفصيلات عن هذا الحصار أنظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٢٢٠ ص ٢٢٠ — ٢٢٢ .

(٣) Li Lignage d'outre mer, Cf. Assises de Jerusalem, t. II, p. 455; Monnaie Inédité de Cérard Comte de Sidon, Cf. A. O.L, t.I, p. 673.

وبآخر الكتاب ملحق من شجرة الأنساب الخاصة بأسرة جارنييه .

الحربية التى خاضها الصليبيون بقيادة الملك الصليبي ضد المسلمين في المنطقة . ذلك أن اشتراكه فى أي غزوة صليبية يساعد على زيادة تدعيم أقدامه في البارونية من ناحية ، وعلى حيازة رضاء الملك اللاتيني عليه من ناحية أخرى .

فـفى عام ١١٢٦ م / ٥٢٠ هـ أعـد المصريون أيام الخليفة الفـاطمى الآمر بأحكام الله (١١٠١ — ١١٣٠ م / ٥٠١ — ٥٢٥ هـ) اسطولا كبيرا اخرجوا به من عسقلان بهدف التجسس على بعض المدن الساحلية الخاضعة للصليبيين ، ومروا في طريقهم على صيدا وصور ويافا . وكانوا يرسلون جواسيسهم إلى هذه المدن لدراسة أوضاعها واستكشاف الاماكن الملائمة للهجوم عليها ، فضلا عن دراسة أحوال الموانى الخاضعة للاتين وتحديد أفضلها بالنسبة لأسطولهم[١] وأثار هذا الأمر ثائرة الصليبيين بصفة عـامة وسكان هذه المدن على وجه الخصوص . فتجمع حوالى خمسة آلاف مقاتل من صيدا وصور ويافا ، وانضم اليهم أسطول بحرى كبير يحمل أعـدادا غفيرة من الحجاج كان قد وصل إلى الأراضى المقدسة فى ذلك الحين . ودارت معركة كبيرة بينهم وبين الأسطول المصرى إنتهت بانتصار القوات الصليبية وهرب المصريون[٢].

وفى نفس هذا العام اجتمع الملك بلدوين الثانى ، بعد أن أطلق المسلمون

---

(١) Foucher de Chartres, III, p. 481.

(٢) I bid. III, p. 482.

وان كانت المصادر العربية قد سكتت عن ذكر هذه الحادثة فلعل ذلك مرجعه التباس الأمر عليها بين هـــذه الواقعة والأخرى التى حدثت فى ذات العـام أيضا وانتصر فيها الصليبيون على المسلمين ، ويكون هذا الخلط وقع فيه أحد المؤرخين ثم ساء من بعده من نقل عنه هذا الخطأ .

شرأحه (١١٢٥م/٥١٩ هـ) ، مع جيرارد صاحب صيدا وبارونات المملكة الثلاثة الآخرين ، وكبار رجال المملكة للتشاور فيما يجب إتخـــاذه فى هذا السبيل . واتفقوا جميعا على إعـداد جيش منظم لمحـاربة المسلمـين (١) . وتم تأليف هذا الجيش الذى شق طريقه إلى أن وصل على مقـربة من دمشق وعسكر أمامها . وكان يقف قباله الفرنج جيش المسلمين فى دمشق ولما رأوا تحركات العدو وأخذوا يعدون أنفسهم للقتال . ولكن الصليبيـين كانـوا أسرع منهم هجوما شديدا مما جعل المؤرخ اللاتينى وليم الصورى يقول بأن القتـال الذى دار بين الطرفين لم يكن متكافئـا . ففى الوقت الذى كان فيه الصليبيون يوجهون ضرباتهم ضد المسلمين ، لاذ الأخيرون بالفـرار لعـدم قدرتهم على صدها هذا العدوان . وقدرت خسائرهم بحوالى ألفين من القتلى مقابل مائة وأربعة قتيل فقط من الفرسان الصليبيين(٢).

ولعل فى قول وليم الصورى كثير من التحيز والمبالغة عنـد تصـوره لحالة الضعف التى كان عليها المسلمون فى هذه المعركة وتقـــديره لخسائـرهم الفادحة فى الأرواح إذا ما قورنت بخسائر الصليبيين البسيطة , ولو كان الامر يتفق مع ماذكره هذا المؤرخ لتمكنت القـوات الصليبية بعد هـذا الانتصار من أن تواصل طريقها نحو دمشق وأن تستولى عليهـا خاصة وأنهـا ليست بعيدة عن مكان المعركة ، فضلاعن أن الملك بلدوين نفسه كان متعطشا لتحقيق هذا الأمل ولما كانت هناك ضرورة لاعداد جيش كبير بعد هـذه الواقعـة

---

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 582.

(٢) Ibid, I, pp. 582 - 588 ; Cf. also : La Monte, op cit., p. 159.

بهدف الاستيلاء على دمشق أيضا . ففي يناير ١١٢٧م/ أواخر ذى الحجة ٥٢٠ ه أعد الملك اللاتيني جيشه من سائر انحاء مملكة بيت المقدس وعلى رأسه جيش بارونية صيدا وغيرها من المدن الساحلية الصليبية الأخرى . وإتجه به نحو مدينة دمشق حيث نزل في مرج الصفر (١). ولما علم طغطكين أتابك المدينه بذلك أعد جيشا كبيرا للتصديق للفرنج ، ولكن شاءت الأقدار أن تلحق الهزيمة بالمسلمين مرة أخرى (٢) . ويبدو ان هذه الهزيمة كانت بمثابة ناقوس الخطر الذى جعل السكان المسلمين المجاورين لهم يفيقون من سباتهم ، اذ جاءت نجدات من شمال الشام . وتمكن المسلمون من بث روح الفزع في مخيمات الفرنج ، وقاموا بنهب اموالهم وحاجياتهم وقتلوا الكثير منهم واحرزوا عدة انتصارات عليهم ، مما جعل الملك الصليبي يفكر في الانسحاب والعودة الى أرضه(٣).

لم يكتف الفرنج بهذه الغارة على مدينة دمشق التى خرجوا منها مدحورين ، وانما أعادوا الكرّة مرة اخرى على المدينة عام ١١٢٩م/٥٢٢ ه . ولعل ما شجعهم على ذلك أنهم بعد ان استولوا على مدينة بانياس في سبتمبر ١١٢٩م/

(١) تقع في نواحى دمشق ، وهى من أعمالها أنظر مراصد الاطلاع جـ٣ ص ٣٥.

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص٢١٣ - ٢١٤ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص٢٢٨ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٢٢٨ راجع أيضا :

Lammense, op. cit., I, p. 217.

(٣) أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٢٢٨ أنظر أيضا :

Lammense, op. cit., I, p. 218.

رمضان ٥٢٣ هـ [1] قويت شوكتهم وجمعوا جيشاً كبيراً من امارات الرها وانطاكية وطرابلس فضلا عن جميع مدن الساحل الخاضعة لهم . وكانت بارونية صيدا بطبيعة الحال احدى القوى الصليبية المشتركة في هذه الحملة . ورغم انه لم يذكرو صراحة اشتراكها فيها مثلما حدث في بعض المعارك الجانبية الأخرى التى سبق الاشارة اليها ، الا ان مساهمتها امر منطقى لأن التعبير باشتراك جميع مدن الساحل التى فى حوزة اللاتين لابد من يتضمن بارونية صيدا التى تشكل مركزا له ثقله فى مملكة بيت المقدس . وليس ضروريا أن يحدد المورخ فى كل مرة اسم البلاد الساحلية التى اشتركت فى اى معركة صليبية ضد المسلمين . ولكن المؤرخين القدامي من مسلمين ولاتين كانوا يكتفون في هذا الشأن بجمع كل هذه المدن والبلدان الصليبية تحت اسم «البلاد الساحلية» تماما مثلما أشاروا الى أهل الغرب اللاتينى بأسم « الفرنج » أو « الفرنجة » .

على أية حال ، بلغ عدد الصليبيين ستين ألف مقاتل إتجهوا نحو دمشق ، ولما علم صاحبها تاج الملوك بورى (٥٢٢ – ٥٢٦/١١٢٨ – ١١٣١م) بأمر الحملة تأهب لملاقاتها ، واستدعى كل ما أمكن تجنيده من المقاتلين الذين تم

---

(١) كانت هذه المدينة مقر جماعة الاسماعيلية بالشام . ولما علم رئيسهم اسماعيل العجمى بأمر المذبحة التى راح ضحيتها ستة آلاف من رجاله — الموجودين بدمشق — بناء على أمر صاحبها تاج الملوك بورى ، خاف على باقى جماعته وكتب الى بلدوين الثانى يعرض عليه تسليمه بانياس مقابل منحهم جزيرة يتجمعون فيها فرحب بلدوين بهذا العرض وتسلم الصليبيون المدينة ، ولم يستمر الثغر معهم طويلا حيث تمكن شمس الدين تاج الملوك بورى صاحب دمشق من استعادته عام ١١٢٣م / ٥٢٧ هـ أنظر :
Grousset, op. cit., I, p. 66; Treece, The Crusades, p. 149;

توزيعهم في عدة أماكن في انتظار قدوم الجيش الصليبي . وتمكن جيش المسلمين من الهجوم على المعسكر الصليبي وقتل عددا كبيراً من رجاله واستحوذ على كميات هائلة من المغانم والأسلاب ، وقد استولى الرعب على الفرنج وهرب منهم عدد كبير (١) .

واستطرادا للحديث عن مجهودات جيرارد بارون صيدا لتوطيد نفوذه في مملكة بيت المقدس ، شارك بجيشه مع الجيوش الصليبية التي جمعها فولك أنجو ملك بيت المقدس (١١٣١-٤٤ ١م/٦٢٦-٥٢٦ ﻫ) من شتى أنحاء المملكة بهدف انقاذ احد الحصون الهامة التابعه للفرنج من ايدى المسلمين وهو حصن بعرين(٢) إذ تمكن المسلمون في يوليو ١١٣٧م / شوال ٥٣١ ﻫ برئاسة عماد الدين زنكي صاحب الموصل (١١٢٧-١١٤٦م/٥٢١-٥٤١ ﻫ) من فرض الحصار حول هذا الحصن وتصويب أشد الضربات إلى أسواره مما جعل الصليبيين الموجودين بداخله يستنجدون بأخوانهم ولكن محاولات الملك فولك لانقاذ المدينه باءت بالفشل . إذا نشبت معركة كبيرة بين القوى الصليبيه من ناحية ، وجيش عماد الدين زنكى من ناحية أخرى في يوليو عام ١١٣٧م / شوال ٥٣١ ﻫ رجحت فيها كفة المسلمون . ولم يجد الصليبيون بداً من طلب الأمان ، فوافق عماد الدين بعد أن فرض عليهم شروط لتسليم الحصن له وتقديم فدية

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، ابن قاضى شهبه : الدر الثمين ورقة ٢٧ .

(٢) بعرين بلدة صغيرة تقع غربى حماه بميلة يسيرة الى الجنوب ولذا تعتبر من أعمالها . وكان لها حصن كبير . ويطلق عليها البعض أسم « بارين » أنظر الانصارى الدمشقى : نخبة الدهر ص ٢٠٧ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٠٨ ، مؤلف مجهول : مراصد الاطلاع ج١ ص ١٦٢ .

قدرها خمسين ألف دينار . فأجابوه إلى ذلك ، وتسلم الحصن والفدية ، وعاد الصليبيون إلى أماكنهم (١) .

وتمكن عماد الدين بعد ذلك من فتح بعض المعاقل والحصون الصليبية ، وتوج أعماله عام ١١٤٤م/٥٣٩ هـ عندما استرد مدينة الرها من الصليبيين (٢)، مما رفع الروح المعنوية لدي المسلمين فى الشرق الأدنى الاسلامى وجدد الأمل عندهم ، خاصة بعد أن تحطمت أمارة صليبية دخيلية فى جوف بلادهم . هكذا كانت الرها أول أمارة صليبية يؤسسها الصليبيون فى أعالى الفرات فى أخريات القرن الحادى عشر الميلادى (أواخر القرن الخامس الهجرى) ، وأول أمارة يستعيدها المسلمون سنة ١١٤٤م/٥٣٩ هـ بعد يقظتهم وإفاقتهم . واقتصر الفرنج على البلاد التى على الحوض الشرقى لساحل البحر المتوسط وقد أضعف ذلك من الروح المعنوية عند الصليبيين ، وأثار مخاوفهم وقلقهم . وأدركوا أن مصيرهم إلى زوال بعد أن تكتلت القوى الاسلامية بالمنطقة وأصبحوا بين فكى الكماشة . لقد كان ذلك بالنسبة لهم نذيراً بفقدان باقى حصونهم ومعاقلهم فى الأراضى المقدسة . لذا قامت فى أوربا حركة كبيرة تدعو إلى قيام حملة صليبية جديدة لإعادة أمارة الرها إلى سيطرتهم . وفى عام ١١٤٨م/٥٤٣ هـ تألف جيش كبير بقيادة كونراد الثالث أمبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا وقصد بلاد الشام . ولما وصل كونراد أجتمع به

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ١١ ص ٢٣ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ٣ ص ١٢ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن هذه الواقعة انظر :

Guillaume de Tyr, op. cit., I, pp. 708 – 712.

بلدوين الثالث ملك مملكة بيت المقدس (١١٤٤ – ١١٦٢ م /٥٢٩ – ٥٥٨ هـ) وجيرارد صاحب صيدا وباقى بارونات وامراء المملكة ، ووضعوا أنفسهم جميعاً فى خدمتة (١) . واختلفت الأراء فيها بينهم عن الوجهة التى يقصدونها ، إلى أن استقر الرأى فى النهاية على منازلة مدينة دمشق (٢) . وساروا فى حوالى مائة ألف مقاتل نحو أسوار المدينة وفرضوا الحصار حولها . وكان مجير الدين آبق بن محمد بن بورى صاحب دمشق آنذاك (٥٣٤ – ٥٤٩ هـ/ ١١٣٩ – ١١٥٤ م) مستعدا لرد هذا العدوان فعندما علم بأمرهم أعد جيشا كبيرا برئاسة معين الدين انر المدبر الحقيقى للامور والسياسة داخل المدينة(٣). ودارت معركة كبيرة بين الطرفين كادت ترجح فيها كفة الصليبيين لولا الحيلة التى دبرها معين الدين أنر ، إذ ارسل الى كل من سيف الدين غازى صاحب الموصل (١١٤٦ – ١١٤٩م /٥٤١ – ٥٤٥ هـ) ونور الدين محمود صاحب حلب (١١٤٦ – ١١٧٤ م/ ٥٤ – ٥٧٠هـ) يستغيث بها ضدالفرنج .

---

(١) Livre de Jean d'Ibelin, op. cit , I, p. 2 4.

(٢) ابن منقذ : الاعتبار – تحقيق فيليب حتى - ص ٩٤ – ٩٥ ، ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج١١ ص ٥٨ – ٥٩ ، أبو شامة : الروضتين ج١ ص ٥٢ أنظر أيضا :

Monnaie Inéditée de Gérard Comte de Sidon, Cf. A. O. L, t. I, p. 674, Matthew of Westminister, The Flowers of History t. II, pp. 49 – 50, Cf. also : Ludlow, op cit., p. 171, La Monte, The World of Middle Ages, p. 351.

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١١ ص ٥٩ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ج٨ ص ١٩٧ العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج٤ ص١٣٤ ؛

ولما علم بقرب وصولها أرسل الى قوات . كل من الإمبراطور الألمانى كونراد الثالث والملك الفرنسى لويس السابع يعلمهما بوصول ايلغازي ويحذرهم بأنهم أن لم يرحلوا عن المدينة فسوف يقوم بتسليم المدينة اليه . وفى نفس الوقت بعث برسالة إلى أفرنج الشام المشتركين فى المعركة أثار فيها الوقيعة بينهم وبين قوات كونراد ولويس ، وأوهمهم بأنه اذا تم لكونراد الاستيلاء على دمشق فسوف يدعم نفوذه فيها على حسابهم بمحاولة الاستيلاء على ما بأيديهم من المدن الساحلية . وأغراهم بالتخلي عنه مقابل منحهم مدينة بانياس(١) . ويبدو أن الملك اللاتيني بلدوين الثالث وبارونات المملكة قد استجابوا لهذه الدعوة ، لأنهم وعدوا معين الدين أنر بالتخلي عن فكرة المشاركة فى المعركة وإقناع الامبراطور الالمانى بالرحيل إلى بلادهم . ولما تم ذلك سلموا بانياس لهم وظلت بأيدهم إلى أن أستردها نور الدين محمود صاحب حلب عام ١١٦٤م/ ٥٦٠ هـ (٢) . وبالتالى تم إنقاذ مدينة دمشق من براثن العدو الصليبي .

هنا يتضح الفارق الكبير بين اللاتين المستقرين فى الشرق الذين استطابوا الحياة فيها وبين هؤلاء الوافدين من الغرب الاوروبي المتلئين غيرة وحماسة . فنى الوقت الذى جاءت فيه قوات الحملة الصليبية الثانية من الغرب بقصد نصرة

---

(١) ابن الاثير : التاريخ الباهر الدولة الاتابكية ص٨٩ ، الذهبى : العبر فى خبر من غبر جـ ٤ ص ١٦٦ ، ابن قاضي شهبة : الدر الثمين ورقة ٥٥ ، نعمان القسطالى : الروض الغناء ص ٤٧ - ٤٨ راجع أيضاً :

Watson, The History of Jerusalem, pp. 213 - 2 4, Lavisse, Histoire Cénérale a nos Jour, t. II, pp. 321 - 3 '4.

(٢) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ١١ ص ٥٥ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان جـ ٨ ص ١٩٨ .

المسيح وتوسيع رقعة المملكة اللاتينية ، اتخذ زملاؤهم الموجودون فى الشرق من الحركة الصليبية ستارا يخفون وراءه أطماعهم بحيث أصبح هم حكامهم هو توسيع حدود ممتكاتهم وتدعيمهـا تحت تاج مملـكة بيت المقدس(١). كما أن القائمين بتدبير شئون مملكة بيت المقدس لم يكونوا يفكرون فى المحافظـة على الهيبه التى اكتسبتها المملكة الصليبيه بالشام بـل إتجهـوا إلى النفـــع المادى العاجل (٢) ، بحيث وصل بهم الأ ر فى النهاية إلى التخلى عن القوات الوافده من الغرب الأوروبى لمساعدتهم كما حدث فى هذه غـزوة وذلك تحت إغـراء مكاسب إضافية أخر ـ لهم . وهذا يعنى أن العلاقات بين اللاتين الوافدين من الغرب الأوروبى وأولئك الموجودين فى الشام لم تكن بحالة طيبة أو مرضية .

وجدير بالذكر ، كان لقوات بارونية صيـدا المشتركة فى هذا الجيش الصليبي دور كبير فى المعركة التى نشبت بين الصليبيين والمسلمين عنـد مدينة دمشق ، وذلك بحكم وجودها مع غيرها من افرنج الشام . لقد كانت فى طليعه صفوف الجيش الصليبي ، وكانت هذه الصفوف بمثابة الشعلة التى انطلقت منها الشرارة الأولى عند الالتحام مع جيش المسلمون ، وبالتالى وقع عليها العبء الأكبر فى هذه المعركة (٣).

(١) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين ص ٦١ .

(٢) حسن حبشى : نور الدين محمود والصليبيون ص ٥٦ .

(٣) كان هذا الجيش منظما بطريقة حسنة ، اذ وقف الملك بلدوين الثالث وفرسانه البارونات الخاضعون لسلطانه ، ومن ضمنهم جيش صيدا ، فى الصفوف الاولى ، ومن بعدهم جيش الملك لويس السابع . أما قوات كونراد فكانت فى المؤخرة لحـــماية المحاربين من هجمات المسلمين من الخلف أنظر :

Ludlow, op. cit., p. 174.

ويبدو أن روح الانتقام كانت متسلطه على الصليبيين بصفة عامة والملك اللاتيني بلدوين الثالث بصفه خاصة . اذ أعد في العام التالي لهزيمته أمام أسوار دمشق جيشا كبيرا تألف من كل محاربي الفرنج من بلاد الساحل ، وقصد مدينة حلب . وما أن علم نور الدين محمود بأمر هذه الحملة حتى جمع جيشه وبعث الى أخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ومعين الدين أنر في دمشق يستنجد بهما ضد الفرنج الدخلاء . ولما التأم شمل الجيش الاسلامي اشتبك مع الجيش الصليبي في معركة كبيرة انتهت بانتصار المسلمين انتصارا كبيراً (١).

واستكمالا لسلسلة الانتصارات التي أحرزها المسلمون على الجيش الصليبي خرج الاسطول المصري عام ١١٥١ م/٥٤٦ هـ في عهد الخليفة الفاطمي الظافر لدين الله (١١٤٩ – ١١٥٤ م / ٥٤٤ – ٥٤٩ هـ) وهو في كامل عدته . وكان يتألف من سبعين سفينة حربية مشحونة بالرجال والسلاح والعتاد . وتمكن من شن هجوم عنيف على بعض المدن الساحلية الخاضعه للصليبيين. ولم تسلم صيدا من هذه الغارة بل أصيبت بخسائر فادحة في الارواح فضلا عن فقدها عددا كبيرا من المراكب التي كانت راسية على الساحل . إذ تمكن المصريون من احراق بعضها والاستيلاء على البعض الآخر (٢). وأثناء عودتهم التقوا في

---

(١) سبط ابن الجوزي : مراة الزمان جـ ٨ ص ٢٠١ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٨٠ العيني : عقد الجمان جـ ١٨ ورقة ٤٧٧ . وجدير بالذكر أن ابن الاثير لم يتعرض في مؤلفه لهذه الحادثة ، ولا نجد تبريرا معقولا لذلك ، خاصة وأنها وردت في تأليف غيره من القدامى .

طريقهم بعد كبير من الحجاج المسيحيين في طريقهم الى بيت المقدس فانقضوا عليهم وقتلوهم (١).

واذا كان دور جيرارد صاحب صيدا غير واضح في هذه الغزوات الحربية الاخيرة، فلا يمكن انكار دوره الكبير أثناء حصار الصليبيين لمدينة عسقلان عام ١١٥٣م/٥٤٨ هـ، وكانت عسقلان وقتها تابعة للفاطميين. لقد أدرك الملك بلدوين الثالث أهمية استيلاء الصليبيين على عسقلان، لانها المدينة الوحيدة الواقعة على الساحل التى كانت لاتزال خارجة عن سلطان الصليبيين. فانتهز فرصة الفوضى والاضراب اللذين حدثا في مصر عقب مقتل وزيرها العادل بن السلار وقام باعداد جيش كبير من كل القوى الصليبية الخاضعة للمملكة من فرسان ومشاة ولم يترك الملك أى رجل صليبي قادر على القتال إلا واستدعاه للاشتراك في هذه الغزوة. هذا بالاضافة الى ما امكن جمعه من أدوات الحرب والحصار. وكانت صيدا بطبيعة الحال احدى القوى الاساسية المشتركة في حصار المدينة، اذ أشار المؤرخ اللاتيني وليم الصورى صراحة الى دورها الفعال في عملية الحصار. وتحرك الجيش الصليبي نحو المدينة وفرض الحصار حولها عن طريق البر في يناير ١١٥٣ م/ شوال ٥٤٧ هـ (٢). وفي نفس الوقت اسند الملك بلدوين الثالث الى جيرارد مهمة

---

(٢) العينى: عقد الجمان جـ١٨ ورقة ٤٧٧.

(1) Guilleume de Tyr, op. cit., p. 795, Cf. also : Campbell, The Crusades, p. 231.

انظر أيضا اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الازمان جـ ٣ ص ٢٨٦.

قيادة خمس عشرة سفينـــة صليبية ، وهى كل ما أستطاع الصليبيون حشده ، وكانت مهمة هذه السفن حصار المدينه عن طريق البحر ومد الصليبيون بكل المساعدات والنجدات التى يحتاجون اليها من هذه الناحية ، ومنـــع وصول أى نجدات بحرية تأتى من مصر بقصد إنقاذ المدينه ومدها بالمؤن (١). ونظراً لشدة تحصينات المدينة وصلابة رجال حاميتها واستجابتهم فى الدفاع عنها ، فقد طال الحصار عدة شهور حاول المصريون خلالها أن ينقذوا المدينه بأى ثمن . فى يونيو ١١٥٣ م / ربيع الأول ٥٤٨ هـ أسطولا كبيراً مكوناً مـن سبعين قطعة حربيه إتخذت طريقها نحو المدينة (٢). ولما علم جيرارد بأمر هذه النجدة حاول الإقتراب منها بمراكبه والتى عهد اليه أمر قيادتهـا بهدف القضاء عليها . ولما لمس كثرة عددها ، لم يجروء على مهاجمتها ، وأستدار وفر هاربا بأسطوله بعد أن رفع الحصار عن المدينه (٣) . وأعقب ذلك دخول البحرية المصرية ميناء عسقلان . وأرتفعت الروح المعنوية عند المدافعين والأهالى . ولكن هذه السفن أقلعت من الميناء بعد أن فرغت حمـــولتها . وفى نفس الوقت كان الفرنج لايزالون يحاصرون المدينة من ناحيه البر (٤) وأخـذوا يشددون الحصار

---

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 789, Monnaie Inéditée de Gérard comte de Sidon, Cf. A. O. L., t. I, p. 674, Cf. also : Setton, A History of the Crusades, t. I, p. 351.

(٢) Grousset, op. cit., II, p. 354.

(٣) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 801, Cf. also : Setton, op. cit, I, p. 537.

(٤) Grousset, op. cit., II, p. 354.

انظر أيضا : حسين مؤنس : نور الدين محمود ص ٢٥٦ ، يوسف الدبس : تاريخ سورية جـ ٦ ص ٧٦ .

حولها حتى أن حاميتها يئست من الإستمرار في الدفاع عنها واضطرت في نهاية الأمر إلى التسليم ، وكان ذلك في أغسطس ١١٥٣ م / جمادى الأولى ٥٤٨ هـ. وبسقوطها يكون الصليبيون قد سيطروا على كل الساحل الشامي ولم يصبح للمسلمين في ذلك الوقت أي ميناء قريب سوى مصر(١) .

وأما بالنسبه لموقف جيرارد أمام الملك الصليبي بعد هروبه مع الأسطول الصليبي تاركا الحصار البحري لمدينة عسقلان مما أتاح الفرصة للاسطول المصري لدخول الميناء ومد الجماعات المحاصرة بالمؤن اللازمة، فلم تمدنا المصادر اللاتينية والعربية المعاصرة أو المتأخرة زمنيا عن هذه الفترة بما يشفي الغليل في هذه الناحية . بل سكتت تماما وكأن شيئا لم يكن . وذلك بإستثناء ماذكره المؤرخ الأرميني ميخائيل السرياني عن ماهية العلاقات وقتها بين الملك الصليبي وجيرارد صاحب صيدا ، وكيف أنها وصلت إلى درجة كبيرة من السوء . وخلاصة روايته بأنه نمي إلى علم الملك الصليبي انجيرارد قد خرج في طاعته وأحضر عدداً من المراكب إستعان في قيادتها على بعض القراصنة . وقام بعمليات السلب والنهب في سائر الجماعات المسيحية الآتية من الغرب إلى الأراضي المقدسه بقصد الحج والزيارة ، مما أثار استياءهم ودفعهم إلى تقديم شكوى ضد جيرارد إلى الملك اللاتيني . ولذا قام الملك بطرده من بارونيته وفقا لقانون التبعية الإقطاعية فاتجه إلى أنطاكية متبعا أسلوب القراصنة فطرده أيضا صاحبها ، فأضطر للذهاب إلى نور الدين محمود الذي رحب به خاصة بعد أن وعده جيرارد بالتعاون معه ضد الصليبيين ، حتى يتمكن المسلمون من

---

(٢) Sutton, op. cit., I, p. 537, Parkes, A History of Palestine, p. 125.

استرداد بعض المدن الساحلية التي فقدها . وبالفعل اشترك جيرارد فى معارك كثيرة خاضها المسلمون ضد القوات الصليبية مما أثار غضب الملك الصليبي الذى صمم على القبض عليه والتخلص منه حتى لا يكون وصمة عار فى جبين الصليبيين . وبالفعل تمكن بلدوين الثالث من القبض عليه وكبله بالأغلال وأحضره معه إلى بيت المقدس وهناك تمت محاكمته وأدانته وحكم عليه بالموت أخذاً بالثأر . وهكذا كانت نهايته (١)

وجدير بالذكر أن المؤرخ ميخاليل السريانى أدرج هـذه الواقعـة ضمن حوادث سنة ١١٣٥ م / ٥٣٠ هـ . وذلك يخالف الواقع لأنه من الثابت تاريخيا فى شتى المصادر اللاتينية والعربية أن جيرارد أشترك فى حصار مدينة عسقلان ١١٥٣ م/٥٤٨ هـ حسبما أوضحنا (٢) وذلك يبين خطأ هذا المؤرخ فى تحديد الوقت الذى توفى فيه جيرارد . والثابت أن موته كان عام ١١٥٤ م /٥٤٩ هـ أى فى السنة التالية لموقعه (٣) ولانجد تبريراً لذلك سوى أن المؤرخ قـد أخطأ سهوا عند تأريخه لهذه الحادثه فأدرجها تحت أحداث عام ١١٣٥م/٥٣٠ هـ بدلا من ١١٥٣م / ٥٤٩ هـ .

وعلى أية حال إذا كانت العلاقة بين الملك الصليبي وجيرارد صاحب صيدا قد بلغت ذروتها وفقا لرواية ميخاليل السريانى ، فإن ذلك يرجـع أساسا إلى

---

(١) Michel le Syrien, Cf. R. H. C - Doc. Arm., t. I. p. 351.

(٢) انظر ماسبق ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٣) Grousset, op. cit., II, p. 697.

انسحاب جيرارد من حصاره البحرى لمدينة عسقلان . وقد تدهورت العلاقات بين الرجلين فعلا حتى اضطر جيرارد للخروج عن طاعة الملك الصليبي والقيام بتلك التصرفات الطائشه لضعف موقفه أمام الملك من ناحية ، وتدهور مكانته وسمعته أمام أمرائه وأعوانه داخل بارونية صيدا من ناحيه أخرى .

وخلف رينالد جارنييه Rignald Garnier أباه في حكم بارونية صيدا . وقد استمر حكمه أكثر من خمسة وثلاثين عاما (١١٥٤ م - ؟/٥٤٩ هـ - ؟) تمكن خلالها من توطيد نفوذه فيها والعمل على النهوض بها والاحتفاظ بها وبشخصيتها أمام باقي بارونيات المملكة وأماراتها : وكان لرينالد علاقات بكل من نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبى ، بعضها مباشر ، والبعض الآخر عن طريق تعاونه مع باقى القوات الصليبية ضد القوى الإسلامية فى الشرق الأدنى . آية ذلك عندما تمكن نور الدين محمود سنة ١١٥٠ م / ٥٤٩ هـ من بسط نفوذه على دمشق (١) . وكان ذلك بمثابة الكارثة الكبرى بالنسبه للافرنج . إذا كان من أبغض الأمور الى نفوسهم أن يستولى نور الدين محمود على هذه المدينة لموقعها الإستراتيجى وشدة تحصيناتها . فقد كانت حصونهم ومعاقلهم تقع تباعا فى قبضته دون أن تكون له دمشق ، فكيف الحال إذن بعد أخذها والتقوى بها . ولقد بدأت بوادر الافاقة هذه أيام عماد الدين زنكى الذى نجح فى توجيه ضربة قاصية الى الفرنج بالشرق باستيلائه على الرها والتى أخفق أهل الغرب اللاتينى فى استعادتها وكانت هذه البوادر فى بواكير القرن السادس الهجرى (بدايات القرن الثانى عشر

---

(١) لمزيد من التفصيلات عن امتلاك هذه المدينة أنظر ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٢٨ .

الميلادى) . ولما خلف نور الدين محمود أباه عماد الدين زنكى واصل سياسته فى تكتيل القوى الاسلامية فى المنطقة حتى يضع الفرنجة الدخلاء بين فكى الكماشه ، و بذلك يسهل عليه القضاء عليهم(١). ولذا خشى منه الصليبيون وعلموا ان مقامهم فى الأراضى المقدسة إلى زوال ان آجلا او عاجلا ، وانه لن يسكت عن قتالهم . ففكروا فى التقرب اليه والسعى وراء السلم المؤقت بينهم وبينه (٢) . ولكن يبدو ان هذه كانت احدى خدع الفرنج لكسب الوقت ، اذ ما ان علموا بشدة مرض نور الدين حتى جمعوا قواهم واستأنفوا غاراتهم على اقليم حوران في نواحى دمشق (٣) . وفى تلك الأثناء كان نور الدين قد شفى من مرضه ، واستبشر المسلمون خيراً . وفى الحال امر قائده اسد الدين شيركوه بالانتقام من الصليبيين . وشن غارة ضيقة على مدينة صيدا فى مايو ١١٥٨ م / ربيع الآخر ٥٥٣ هـ ، منتهزا فرصة انشغال اهلها وصاحبها رينالد باعادة تحصيناتها المخربة من اثر الزلازل العنيفة التى كانت قد تعرضت لها (٤). وبالفعل اعد شيركوه جيشا كبيرا واتجه به

---

(١) حسن حبشى : نور الدين محمود والصليبيين ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٢١ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ٩٥ ـ ٩٧ .

(٣) هى بلدة صغيرة عتيقة البنيان ، وبظاهرها مكان يقال له من أطلال والد ابراهيم عليه السلام ولذا فالمسلمون يؤمون للصلاة فى هذا المقام ، وانها من نواحى دمشق انظر رحلة بنيامين ـ ترجمة عزرا حداد ص ١٢٤ ، القزوينى : آثار البلاد ص ١٢٤ .

Muller, Gastles of the Crusades, p. 70.

(٤) تعرضت بلاد الشام عام ١١٥٧م/٥٥٢ هـ لزلازل شديدة أدت الى خراب كثير من الاماكن والبقاع ومنها صيدا وبيروت وطرابلس وجميع قلاع الفرنج أنظر سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٢٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٢٥ راجع ايضا :

Muller : op. cit. Loc. cit.

نحو المدينه وأعمالها وحاصرها ووجه ضـربانه الشديدة اليها . وحاول الصليبيون الموجودون بداخلها ان يجدوا لهم منفذا للهرب ، ولكن المسلمين كمنوا لهم وقضوا على كثير من الغنائم (١). ولم تكن هذه الاغارة هى الأخيرة على مدينة صيدا بقيادة أسد الدين شيركوه ، بل قام فى العام التالى (٥٩ ١م/ ٥٥٤ هـ) بتجهيز بعض عسكره وأعادة حصاره للمدينة . وقد بوغت الفرنج حتى أنهم لم يشعروا إلا المسلمون يجربون المدينه ويسددون ضرباتهم اليها ، مما أدى إلى قتل وأسر عدد كبير قليل من أهلها ، وغنم المسلمـون كثيرا من وراء ذلك (٢) :

يبدو من الوهلة الأولى عند التدقيق فى تفاصيل هذه الغارة الثانية مـدى الضعف الذى كانت تعانى منه صيدا فى هذه الفـترة من الزمن إذ تم هزيمتها مرتين متتاليتين فى عامين متلاحقين ، وأنه لولا ضعفها لماتمكن شيركوه من الانقضاض عليها والحاق الهزيمة بها وهو فى قلة من الجند . حسب رواية المؤرخ أبى شامة .

وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن ميزان القوى بين الفريقين المتصارعين قد بدأ فى الإعتدال فى صالح المسلمين . فبعد ان كانوا فى بداية

---

(١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٥٢ ، أبو شامـة : الروضتين جـ ٢ ص ١٢٠ ، الذهبى : تاريخ الاسلام جـ ؟ ورقة ٤١١ ، إبن قاضى شهبة : الدر الثمين ورقة ٧١ أنظر أيضا :

Setton, op. cit., I, p. 522, Stevenson, op. cit., p. 179, Grousset, op cit, II, p. 390.

(٢) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ١ ص ١٢٣

الحركة الصليبية في حالة يرثى لهم ، اعتدل الميزان لصالحهم واصبح مركز الثقل يميل إلى جانبهم ولم يكن قد مضى على بدء الحركة سوى نصف قرن . وهذا يرجع بطبيعة الحال لعوامل عديدة تتعلق باحوال كل من المسلمين والصليبيين وقتها من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ليس هنا مجال الافاضة فيها .

على اية حال ، يبدو ان تكرار انتصار المسلمين على الصليبيين في صيدا قد شجع اسد الدين شيركوه على إعادة حصاره لها للمرة الثالثة ، وكان ذلك في عام ١١٦٤ م / ٥٦٥ هـ . ويقول المؤرخ اللاتيني وليم الصوري المعاصر لأحداث تلك الفترة من الزمن ، انه في العام المذكورة حاول شيركوه الاغارة على صيدا ومحاصرتها ، ولكن المدافعين عنها حاولوا بينه وبين ذلك ، وكانوا يدركون عدم قدرته على الحاق أي ضرر بها في هذه المرة لشدة تحصينات أسوارها وقوة رجال حاميتها. إذ كانوا قد إستفادوا من المرتين السابقتين وقاموا بتعزيز مدينتهم وحماية أسوارها . ولكن يبدو أن الأمور لم تسر وفق ما كان الفرنج يأملون . إذ تمكن شيركوه تفضل دهائه من رشوة بعض رجال الحامية من الصليبيين المكلفين بحراستها حتى يسمحوا له ولعساكره بوضع المعدات الحربية على أسوار المدينة. ويبدو أن المؤامرة قد انفضح أمرها ولم يتمكن المسلمون من الإستيلاء عليها باستثناء بعض الأضرار التي تمكنوا الحاقها بأسوارها (١).

ورغم أن هذه الحادثة قد أنفرد بذكرها وليم الصوري دون غيره من

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 909.

المؤرخين الأجانب أو العرب ، إلا أننا نميل إلى الأخذ بها لأسباب عديدة . من بين هذه الأسباب أن الذى سجلها مؤرخ لاتينى معاصر لأحداث هذه الفترة من الزمن وليس من مصلحته الافتراء على الصليبيين أو المبالغة فى تشويه حقائق تنال من بنى جنسه خاصة وأنه كان شديد التعصب للفرنج عند وصف المعارك التى قامت بينهم وبين المسلمين . فكان يحاول تعظيم شأن الصليبيين بقدر الاستطاعة على حساب المسلمين ولربما كان الأمر قد اختلف إذا كان راوى هذه الحادثة أحد مؤرخى العرب .

لم يكن هذا هو آخر لقاء بين قوات نور الدين محمود وقوات بارونية صيدا باعتبارها احدى الفرق الهامة فى جيش مملكة بيت المقدس[1] إذا كان هناك لقاء آخر بينهما عندما حاصر نور الدين محمود قلعة حارم (٢) عام ١١٦١م/ ٥٥٧ هـ وحاول بكل السبل الاستيلاء عليها . ولكنه لم يتمكن من ذلك لشدة تحصيناتها وكثرة رجال حاميتها ، فضلا عن النجدات الصليبية التى جاءت من

---

(٢) حارم بلد صغير ذات حصن حصين ، بها أشجار وأدين ونهر صغير ، وهى من أعمال حلب تجاه أنطاكية . وقد استولى الصليبيون عليها عام ١٠٩٧م/٤٩١ هـ أثناء الحملة الصليبية الأولى . وكان الحصن مثلث الشكل ، ولكن الملك الظاهر بيبرس غير من صفاته وجعله مدورا وبنى عليه أبراجا مربعة . ويقع الحصن على رابية صخرية مرتفعة ، وهو محمى من جميع الجهات بواسطة خندق عميق منحوت فى الصخر من الجهة الشمالية الشرقية فضلا عن وجود مساحات شاسعة على جنبات منحدرات تحيط به . أنظر ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٢ ص ١٨٤ ، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٥٨ ، ابن الشحنة : الدر المنتخب ص ١٦٥ ، مقالة محمد : مراصد الاطلاع جـ١ ص٣٨١ ولمزيد من التفصيلات انظر :

(1) Muller, op. cit., p. 65.

أجل إنقاذها . لأنه لما علم الصليبيون بحصارها عبأوا كل مقاتل صالح للحرب من سائر البلاد الصليبية وساروا بجيش كبير نحوها . ولما قاربوها طلب منهم نور الدين محمود المصاف فلم يجيبوه وحاولوا التلاطف معه . ولما رأى عدم إمكان الاستيلاء على الحصن ، فضلا عن عدم موافقة الصليبين على مناصفته عاد إلى بلاده دون أن يحقق الغرض (١) . وانشغل نور الدين محمود بعد ذلك فترة من الزمن عن التفكير في الاستيلاء على حارم بسبب إرسال جيشه بقيادة أسد الدين شيركوه الى مصر لمساعدة وزيرها شاور ضد ضرغام الذى تمكن من إغتصاب الوزارة منه . وكان هدف نور الدين هو المبادرة بالاستيلاء على مصر في وقت كانت فيه الخلافة الفاطمية فى طور الاحتضار والصليبيون فى الأراضى المقدسة يسعون هم أيضا لضمها الى ممتلكاتهم . فباستيلائه عليها تصبح مملكته كتلة متصلة . من الشمال الى الجنوب ويصبح الفرنج بين فكى الكماشه فيسهل عليه تطويقهم وتضييق الخناق عليهم الى أن ينتهى الأمر بأجلائهم عن المنطقة أو القضاء عليهم (٢) . ففى ابريل ١١٦٤ م / جمادى الآخر ٥٥٩ هـ وصل جيش نور الدين الى مصر وأنتصر على ضرغام واستعاد شاور الوزارة . ولكن سرعان ما تنكر لشيركوه وطلب منه مغادرة البلاد ، بل وأرسل الى الفرنج يستنجد بهم لاخراجه من مصر . فأبدى الملك عمورى (١١٦٢ - ١١٧٣ م / ٥٥٨ - ٥٦٩ هـ) موافقته على الحضور خشية من استيلاء نور الدين

---

(١) ابن واصل : مفرج الكروب - تحقيق جمال الدين الشيال جـ ١ ص ٢٣١ ، مؤلف مجهول : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب لوحة ٥ ، ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ لوحة ١٢٧ .

(٢) حسن حبشى : نور الدين محمود والصليبيين ص ١٢٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٦٨٧ - ٦٨٨ .

على مصر . وجمع جيشا كبيرا شمل كل افرنج الساحل الخاضعين له ، وساهمت بارونية صيدا بجيشها فى هذه الحملة . ولما وصل الجيش الصليبي الى مصـــر دار القتال بينه و بين قوات شيركوه (١). ولكن ما أن علم نور الدين بأمـر الحملة حتى أغتنم فرصة خلو الشام من الفرنج واتجه بجيشه نحو حارم وأعاد حصارها لـكي يجبر الملك عموري على ترك مصر والعودة الي الشام. وبالفعل رجع الجيش الصليبي الى الشام وكذا جيش أسد الدين شيركوه أمام النسبة لموقف حارم فقد تجمع من بقى بالساحل من قادة الفرنج وحاولوا نجدتها ، ولكنهم انهزموا أمام قوات نور الدين الذى تمكن من الاستيلاء على قلعتها فى يوليو ١١٦٤ م رمضان ٥٥٩ هـ (٢) . واذا كان شيركوه قد أضطر للعودة الى الشام بسبب تدخل الجيش الصليبي ، الا أنه تحرك مرة أخرى نحو مصر بعد أن أستتبت الأمور بالشام . وكان ذلك فى أوئل عام ١١٦٧ م / ٥٦٣هـ وفى صحبته ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب. ولما علم الملك عموري

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ٥١ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٣ ص ٣٩ ، الذهبي : تاريخ الاسلام جـ ٤ ورقة ٤٢٢ ، ابن قاضي شهبه: الدر الثمين ورقة ٧٦ . ولمزيد من التفصيلات عن حملات الصليبيين على مصر أنظر أبو شامـــة : الروضتين جـ ٢ ص ١٣١ ، ابن خلدون : العبر جـ ٥ ص ٤٠٠ – ٤٠٢ ، راجع كذلك :

Schlumberger, Campagne du Roi Amaury I, de Jérusalem en Egypte aux XII Siécle, pp. 35 – 40.

(٢) ابن الاثير : التاريخ الباهر ص ١٢٢ – ١٢٥ ، ابن العديم . زبدة الحلب جـ ١ لوحـة ١٧٨ ، أبو شامة : الروضتين جـ ١ ص ١٣٢ ، ابن خـلدون : العبر جـ ٥ ص ٥٤٨ .

بذلك أصابه الفزع وانتهز فرصة استنجاد شاور به فعقد اجتماعا كبيرا دعا اليه جميع بارونات المملكة وأوضح لهم مدى خطورة استيلاء نور الدين على مصر ، وطلب منهم ضرورة اعداد جيش صليبى كبير تشترك فيه كل القوى الضاربة بالمملكة . ووافقت المحكمة العليا لمملكة بيت المقدس على تنفيذ هذا القرار ، وبالفعل اتجهت الجيوش الصليبية نحو مصر (١) . هكذا كانت مصر هى مسرح الصراع الجديد بين قوات كل من نور الدين محمود والملك الصليبى عمورى ، وكل منها يدرك تماما أن انتصاره على خصمه مرهون بفوزه بمصر والتقى الفريقان واشتبكا فى كثير من موقعه . وأدرك كل فريق أنه ليس من اليسير عليه أن ينفرد بأمر مصر ، وبدأت المفاوضات بينهما واتفقـــا على ضرورة الرحيل عنها والعودة الى الشام (٢). وخرج الفريقان هذه المرة وكل منهما يرى أن فى امتلاكه مصر حماية للمكة فى الشام . ولذا أعد الملك عمورى جيشه للمرة الثالثة فى نوفمبر ١١٦٨ م / صفر ٥٦٤ هـ واتجه نحو الديار المصرية ولكن شيركوه لحق بالفرنج بناء على طلب العاضد آخر خلفاء الفاطميين فى مصر . وما أن علم الصليبيون بأمر اقتراب جيش أسد الدين حتى استعدوا للعودة الى ملكهم بالشام بعد ان يئسوا من الاستيلاء على مصر تماما . ولما وصلت القوات النورية الى مصر عام ١١٦٩ م /٥٦٤ هـ لم تصطدم بالصليبيين هذه المرة بسبب مغادرتهم البلاد (١) . واجتمع شيركوه بالخليفة العاضد الذى

---

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 903.

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ ٢ ص ١٧ .

(٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ص ١٠١ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان جـ ٨ ص ٢٧٥ ، ابن أيبك : كنز الدرر جـ ٧ لوحة ٢٥٠ ، ابن دقماق : الجوهر الثمين ورقة ٧٥ ، ابن بهادر : فتوح النصر فى تاريخ ملوك لوحة ٩ .

يخلع عليه لقب الوزارة بعد مقتل شاور . وتولى شيركوه مركز الوزارة ولكنه مات بعد ثلاثة شهور من تولية هذا المنصب ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين ليكون آخر وزراء الخلافة الفاطمية فى مصر وأول سلاطين الدولة الجديدة التى اعقبتها الا وهى الدولة الايوبية نسبة إلى مؤسسها (١).

ولما علم الصليبيون بأمر استيلاء صلاح الدين على مصر اسفوا على ذلك وتوقعوا الهلاك . لذا فكر الملك الصليبى فى الاستيلاء على دمياط لتكون مركزا للفرنج يشنون منه هجومهم على صلاح الدين فأرسل إلى صاحب صيدا وغيره من سائر بارونات المملكة بالبلاد الساحلية الخاضعة لسلطانه يطلب منهم تجنيد جيش كبير لمحاصرة دمياط . وبالفعل لم يتأخر هؤلاء

---

(٢) أبو الفدا : المختصر فى اخبار البشر جـ ١ ص ١٤٨ ، ابن بهادر : فتوح النصر لوحة ٩ ــ ١٠ ، مؤرخ مجهول : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب لوحة ١٧ . وكان إعادة المذهب السنى مرة أخرى الى مصر صدمة كبيرة لاهل الشيعة فتآمر عدد منهم وعلى رأسهم الشاعر عمارة اليمنى على استدعاء الفرنج ومعاونتهم فى القضاء على صلاح الدين . ففى ١١٧٣م/ ٥٦٩ هـ كاتبوا فرنج لهذا الهدف فوافقوا . وخطتهم تتلخص أنه فى الوقت الذى تصل فيه القوات الصليبية وخروج صلاح الدين للقائها يقوم المتآمرون بأشعال نيران الثورة فى الداخل فيقع السلطان بين نار الثورة فى الداخل ووجود الفرنج خارج البلاد . كما كاتبوا سنان زعيم الحشيشية فى الشام طالبين منه العون ولكن لم يكتب النجاح لهذه الخطة وأنفضح أمرها . وقضى صلاح الدين على المتآمرين . وعندما علم الفرنج بالشام بهذا الامر رفضوا الحضور ونجح صلاح الدين بعد ذلك فى تدعيم اركان دولته . أنظر الاصفهانى : البستان الجامع لوحة ١١٩ ، أبو شامة : الروضتين جـ١ ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ ، النويرى : نهاية الارب جـ ٢٦ لوحة ١٢٤ ، أومبرتور يتزيناتو : صفحة من تاريخ العلاقات بين وليم الثانى النورماندى وصلاح الدين ــ أنظر مجلة كلية الاداب بجامعة الإسكندرية ــ المجلد الخامس سنة ١٩٤٩ ص ٥٣ .

البارونات عن تكوين الجيش المطلوب . وفى ٢٥ سبتمبر ١١٦٩ م / أول محرم ٥٦٥ هـ تحرك الجيش الصليبي نحو دمياط وعجرد ان علم صلاح الدين بأمر هذه الحملة ارسل فى طلب النجدة من نور الدين محمود الذى بعث اليه العسكر والسلاح . ثم سار بنفسه على رأس قواته إلى بلاد الصليبيين الساحلية لاخيه بتهديد هجومه عليها . كما اكمل التخريب فى اكثرها وهدفه تخفيف الضغط على مصر . ولما بلغ الصليبيين الموجودون امام دمياط بما حدث لمدنهم فى الشام رجعوا على الفور بعد خمسين يوما من الحصار ونجت مدينة دمياط من بطش الفرنج (١) .

وإذا كانت بارونية صيدا ، فى ضوء علاقتها مع المسلمين طوال الفترة السابقة قد اقتصرت بصفة عامة على تقديم يد المساعدة والمشاركة مع بقية القوات الصليبية التابعة لمملكة بيت المقدس ضد المسلمين فى المنطقة ، الا انها ساهمت هذه المرة فى تحسين العلاقات بين الصليبيين من ناحية وبين جماعة من جيرانها المسلمين ، ونعنى بهم اسماعيلية الشام ، من ناحية اخرى . وتوضح ذلك انه فى عام ١١٧٤م / ٥٧٠ هـ تآمر اودو دى سانت آماندو Odo de Sainte Amande مقدم جماعة الفرسان الداوية أو فرسان المعبد Templars (١) على قتل مندوب راشد الدين سنان (٢) زعيم الأسماعيلية بالشام

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٦ ص٥٢ ، ابن خلدون : العبر جـ٥ ص٦٢٤ ـ ٦٢٥ ، المقريزى : المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والاثار جـ١ ص ٣٠٧ .

(٢) هذه الجماعة من أصل فرنسي قامت بأن نشأتها عصبة من تسعة من السادة الفرنسيين برياسة هيوج دى بايترا Hugh de Paienza . وأوضحوا أن مهمتهم حماية معبد سليمان ، فضلا عن محاربة أعداء المسيح وحماية الحجاج المسيحيين . وأعطاهم الملك بلدوين الثانى ـ

لدى الملك عمورى بشأن تحسين العلاقات بين الطرفين . ولما علم الملك الصليبي بما حدث أصابه الذعر وخاف من انتقام الاسماعيلية وعدائهم . فأرسل إلى مقدم الداوية الذي كان متخذا من صيدا مستقراً له في ذلك الوقت وطالبه بتسليم القاتل لينال عقابه . ولكن مقدم الداوية رفض مبينا أن الحكم على الجاني لابد وأن يصدر من البابا نفسه باعتباره رئيسهم المباشر ، ولكن هذا الرد أثار الملك فتوجه بنفسه على رأس قوة إلى صيدا ، وتمكن من القبض على المتهم ثم ألقاه في سجن صور وأرسل إلى سنان يعتذر له عما حدث وأطلعه على الحقيقة ونجح في أقناعة ببرائته (١) .

= نزلا يقيمون فيه بجوار معبد سليمان وذلك عام ١١١٨م/١٢ ٥هـ . ولهذا أطلق عليهم اسم فرسان المعبد وتطورت هذه الجماعة فيما بعد بحيث أصبحت قوة يخشى بأسها . أنظر :

Addison, The History of the Knights Templare, pp. 1 - 15, Lacroix, La Chevalerie et les Croisades, p. 220, Woodhouse, The Military Religious Ordres pp. 23 - 30, Hardwick, History of the Christian Church, pp. 254 - 255, Watson, The Story of Jerusalem, p. 189, Stephenson, Mediaevel, History p. 417.

(٤) هو صاحب الدعوة الاسماعيلية بالشام ، أصله من البصرة ، ولد عام ١١٢٤م/ ٥٠٨هـ ، وجرت له مع صلاح الدين وقائع وتمنع ولم يعط طاعته لاحد . مات عام ١١٩٢م/ ٥٨٨ هـ . لمزيد من التفصيلات أنظر العماد الحنبلي : شذرات جـ٤ ص ٢٩٤ — ٢٩٥ ، مصطفى غالب : أعلام الاسماعيلية ص ٢٩٦ أنظر أيضا :

Guyard, un Grand Maitre des Assasins, pp. 353 - 355; Defrémery, Nouvelles Recherchess sur les Ismaéliens, pp. 5 - 7; Encyc of Islam, Art, Rashid Sinan.

Guillaume de Tyr, op. cit, I, p. 926, Roger of Wendover, op. cit, II. p. 504, Cf. also : L'abbé de Vertot, Histoire de L' Ordre des Chevaliers, t I, pp. 19 - 192, Treecé, The Crusades, pp. 145 - 146.

والواقع ان المصادر والمراجع لا تمدنا بمعلومات دقيقة عن كيفية ذهاب الملك عموري إلى صيدا ، ومدى الصعوبات التي صادفته لمواجهة الموقف . ويحتمل قيام ريناله صاحب صيدا بدور بارز في تحسين العلاقات بين الصليبيين وإسماعيليه الشام ، وذلك عن طريق تسهيل مهمة الملك الصليبي وقواته في الدخول إلى صيدا ، والقبض على المتهم . أو ليس من السهل على الملك الصليبي وقواته التسلل داخل المدينة سرا وهي محمية من قبل جماعة الفرسان الداوية دون أن يكون الطريق ممهداً له . ولن يتأتى ذلك إلا بموافقة صاحب صيدا نفسه .

أما عن الاتصالات الصليبية الاسماعيلية التي دارت وقتها ودور بارونيه صيدا فيها ، والنتائج التي تمخضت عنها ، فان المصادر لا تمدنا عنها بكلمة واحدة باستثناء هذا الخبر الصغير الخاص بسفارة سنان إلى الملك عموري . ولا نجد تبريراً لهذا الصمت المطبق من كلا الجانبين ، اللهم إلا إذا كانت هذه الاتصالات لم تصل إلى نتيجة واضحة محددة في مجال التعاون المشترك بين الطرفين .

وإذا كان هذا هو وضع صيدا زمن الملك العادل نور الدين محمود ، فان الأمر يختلف تماما ايام حكم السلطان صلاح الدين إذ تمكن المسلمون في الشرق الأدنى بفضل جهوده من توحيد كلمتهم وجمع صفوفهم والانتصار على القوات الصليبية وردها عن معظم الأراضي المقدسة وإعادة بعضها إلى المسلمين ، وعلى وجه الخصوص مدينة صيدا نفسها . وقبل الخوض في التفاصيل المتعلقة بوضع صيدا آنذاك وهزيمتها أمام القوات الاسلامية عقب موقعة حطين عام ١١٧٨ / ٥٨٣ هـ ، يلاحظ أنه كان للبارونيه قدر كبير في معارك أخري جانبية ضد قوات صلاح الدين . ففي سنة ١١٧٥ م / ٥٧٠ هـ أجتمع الملك الصليبي بلدوين الرابع (١١٦٣ — ١١٨٥ م / ٥٦٩ — ٥٨١ هـ) مع ريناله بارون صيدا وغيره من بارونات المملكة ، واتفقوا جميعا على إعداد جيش كبير يشمل كل رجل

صليبي قادر على القتال في سائر أنحاء المملكة من أجل مهاجمة صلاح الدين . وكان صلاح الدين موجودا مع قواته في إحدى المناطق المجاورة لحلب ، وأصبح قربه منهم يشكل خطرا كبيرا عليهم . ولما تم إعداد الجيش الصليبي تجمع في صيدا وخرج منها حيث عسكر في إحدى المناطق المجاورة لموقع قوات صلاح الدين ، ثم بدأ القتال بين الطرفين وتمكن الصليبيون من المسلمين وأسروا عدداً منهم بينما انسحب الباقون(١) . وثمة واقعة أخرى حدثت بين القوات الصليبية بما فيها جيش صيدا وبين المسلمين ، كان النصر فيها أيضا حليف اللاتين ففي نوفمبر ١١٧٧ م / جمادى الأولى ٥٧٣ هـ نزل السلطان صلاح الدين الأيوبي بجيشه على عسقلان وسلب وسبى وأسر كثيراً من الفرنج ، ثم ترك المدينة لقصد بعض المناطق الصليبية الأخرى الواقعة على الساحل فاعترضه نهر عليه تل يسمى تل الصافية (٢) ، ولما أن علم الملك بلدوين الرابع بنية قوات صلاح الدين في عبور هذا النهر حتى عبأ جيش المملكة الصليبية بأجمعه وقسمه إلى قسمين : الأول لمحاصرة التل ، والثاني للهجوم على قوات المسلمين أثناء عبورها النهر . وكانت هزيمة المسلمين شديدة مما أدى إلى هرب كثير منهم (٣) . ولا شك أن جيش صيدا كان يمثل إحدى الفرق الموجودة في هذا الجيش

---

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, pp. 1021 — 1028 Cf. also : Stevenson, op. cit., p. 210.

(٢) الصافية هي بلدة صغيرة كانت قرب ديار بني في أخير المزوان مقابل النمانية وقبل موضع دجلة . أنظر مؤرخ مجهول : مراصد الاطلاع ج٢ ص ١٤٣ .

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٧٢ ، أبو شامة : الروضتين ج١ ص ٢٧٣ راجع أيضا : Grousset, op. cit., II, pp. 654 — 656.

الصليبي ، حسبما أكد المؤرخ وليم الصوري ، إذ قال أن الملك بلدوين الرابع عهد إلى رينالد صاحب صيدا مهمة قيادة احدى فرق الجيش . ولكن المؤرخ لم يفدنا بدور هذه الفرقة أثناء القتال (١) .

وإذا كان الصليبيون قد انهزموا في المرتين السابقتين ، فإن انتصاراتهم على القوات الصليبية بعد ذلك أخذت تتوالى تباعا إلى ان تكللت بالنصر العظيم في موقعة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ (٢) ، فمثلا حاول صلاح الدين حصار قلعة مخاضة يعقوب أوائل عام ١١٧٩م / ٥٧٥ هـ غير أن استحكاماتها الدفاعية بلغت من المتانة درجة جعلته على الارتداد عنها ، وعسكر أمام بانياس بحيث أصبح معسكره يمتد حتى حدود البلاد الصليبية (٣) . وكان السلطان يخرج كل يوم على فرسه متخفيا تحت ستار الصيد ، ويتجه نحو جانبي نهر الأردن ويعمل على تحريض وأثارة القبائل العربية القاطنة بالمنطقة عند صيدا وبيروت الخاضعتين للاتين من أجل سلب ونهب محاصيل هاتين المدينتين . وكان لا يعود قبل رؤيتهم عائدين وهم محملين بما سلبوه (٤) .

وفي نفس الوقت كان يأمر قواته بالأغارة على هاتين المدينتين ونهب محاصيل المنطقة الواقعة بينهما . وكان تقدمه عنيفا بحيث لم يتمكن الصليبيين من ايقافه (٥) .

(١) Guillaume de Tyr, op. cit., I, pp. 104 — 1042

(٢) سنشير الى ذلك تفصيلا فيما بعد .

(٣) Grousset, op. cit., II, p. 671.

(٤) Ibid.

(٥) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 1054, Cf. also : Belloc, The Crusades, p. 279, Smail, Crusading Warfare, p. 36.

ولما وصل الخبر الى الملك بلدوين الرابع أمر بحشد كل قوات المملكة وأجتاز طبريه وصفد وتبنين (١) . حيث علم بوجود عدد من جند المسلمين قادمين من الساحل في طريق عودتهم محملين بغنيمة كبيرة ، فتحرك صوب الشمال لاعتراضهم بين نهر الليطانى (٢) . والمجرى الأعلى لنهر الأردن . وأنزل جيش الفرنج الهزيمة بهذه القوات الاسلامية . أما بالنسبة لصلاح الدين فانه عندما علم بما حدث لقواته في هذه المعركة تقدم وأشتبك مع القوات الصليبية وهزمهم هزيمة كبيرة لاذوا أثرها بالفرار . فدخل بعضهم الى قلعة الشقيف والبعض الآخر اتجه نحو صيدا أشاعوا خبر هزيمتهم . وقابلوا رينالد صاحب صيدا في عسكره متجها لنصرة الجيش الصليبي . ولكن ما أن علم بما تم لم

---

(١) صفد حصن متين فى أرض الجرمق ، وهى مدينة قديمة كانت بها طائفة تسمى الجرامقة وهم من العبرانيين . وقد استولى الفرنج على هذا الحصن وتمكن الظاهر بيبرس من فتحه والاستيلاء عليه ، وهو من أكبر مراكز الشام فى قرن ٨هـ/١٤م. أنظر : الانصارى الدمشقى : نخبة الدهر ص ٢١٠ ، ٢١٤ . أما تبنين فهى بلدة وارد اسمها فى التوراة وكان يقطنها عدد من اليهود ، وتقع فى جبال بنى عامر المطلة على بانياس بين دمشق وصور ، وكان لها حصن حصين . ويشير الرحالة ابن جبير بأن هذا المكان كان موضعا لتمكين القوافل . وكان يفرض على كل رأس دينار وقيراط (الدينار = ٢٤ قيراط) أنظر رحلة بنيامين التطيلي ـ ترجمة عزرا حداد ص١١٢ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ص ٨٢٤ ، رحلة ابن جبير ص ٢٨٣ ، مؤرخ مجهول : مراصد الاطلاع ص ١٩٨.

(٢) يطلق على هذا النهر اسم «Qasimiyeh» القاسمية » ويعتبر ثالث أنهار سورية من حيث الاتساع ، وقد استخدمت مياهه فى ري الأراضي الواقعة بين صور وصيدا ، ويجد صيدا من ناحية للجنوب أنظر :

Encyc. of Places, p. 22, A Hand Book of Syria pp. 402 - 404.

نفسه الا العودة على الرغم من انه لو أستمر فى سيره لكان بوسعه أنقاذ عدد كبير من الفرسان الآخرين . وكانت عودته بمثابة خسارة كبيرة للصليبين وفق رواية وليم الصورى (١) .

كان موقف رينالد غامضا من حيث عدم أشتراكه فى بداية هذه المعركة مع الجيش الصليبى ، ثم عدم أشتراكه لنجدة باقى الصليبين المهزومين . ولا يسعفنا المؤرخون والمصادر المعاصرة لهذه الفترة من الزمن بما يفسر تقاعسه ، ولا نجد تبريرا لذلك سوى أحتمال أن يكون قد عهد اليه وقتها القيام بمهمة سرية من قبل الملك اللاتينى أو كلف بالقيام باحدى العمليات الحربية الجانبية ضد قوات المسلمين وبالتالى يحتمل أن يكون أرهاقه الشديد بعد المهمة التى قام بها هو الذى دعاه الى عدم المجازفة بقواته فى معركة أخرى ضد المسلمين قد يخسرها وبذلك تزداد خسائر الفرنج .

على أية حال ، فكر السلطان صلاح الدين بعد ذلك فى مشروع يفصل به امارتى أنطاكية وطرابلس عن مملكة بيت المقدس وذلك عن طريق الاستيلاء على بيروت . ولذا أعد جيشه وفرض على بيروت الحصار من البر والبحر عام

---

(1) « Quibus cum dominus Rainaldus sidoniensis cum suis adexercitam Festinabat occurreret intillecto quod acciderat infortunio eis etiam nonetifus, sidonem reversus est quod factum, illa die, multepie damrum creditur intulisse. Verisimile est enim, quod si in cactum suum continuato itinere se recepisset, Cooperantibus Oppidonis ... » Cf. R. H. C. H. Occ., t. I, pp. 1056 - 1057, Cf. also : Setton, op. cit., I, pp. 572 - 575.

وكذلك اليافعى : مرآة الجنان ج ٣ ص ٤٠٥ .

١١٨٧ م / ٥٧٨ هـ . ولما علم الملك بلدوين الرابع بذلك ، أمر باعداد الاسطول الصليبى الموجود فى عكا وصيدا والاقلاع صوب المدينة المحاصرة لنجدتها ولما علم صلاح الدين بأمر هذه النجدة أدرك أن الحصار سوف يطول ولذا آثر الأنصراف عنها عائدا بقواته الى دمشق ، أما الأسطول المصرى فقد عاد الى مصر (١) . وقد كرس صلاح الدين بعد ذلك وقته وجهده فى الإعداد للمعركة الحاسمة والفاصلة بينه وبين الصليبيين . فأعد الترتيبات اللازمة بحيث أصبحت القوات الاسلامية على أتم الاستعداد للقتال فى ربيع ٥٨٣ هـ / يوليو ١١٨٧ م ، الأمر الذى أزعج الصليبيين وأثار ذعرهم لأنهم كانوا فى هذا الوقت فى موقف لا يحسدون عليه . اذ كان التفكك والانقسام والضعف من أهم سماتهم . ولكن رغم ذلك أعد الملك الصليبى جيشا كبيرا حشد فيه كل القوى الأساسيا والأحتياطية الموجودة فى سائر أنحاء المملكة (٢) . وفى حطين اشتبك الفريقان فى معركة حربية شديدة كان التفوق فيها للمسلمين واضحا مما جعل اليأس يستبد بالملك الصليبى جاى دى لوزجيان (١١٨٦ — ١١٩٢ م / ٥٨٢ — ٥٨٨ هـ) ويحاول فى خطة سريعة أن يكسر من حدة المسلمين ، اذ عهد الى كل من رينالد صاحب صيدا وصاحبى أنطاكية وطرابلس بمهمة تشديد الهجوم على الجانب الشمالى الغربى من قوات المسلمين لاضعافه وايجاد

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٧٧٤ — ٧٧٥ .

(٢) Guillaume de Tyr, op. cit., I, p. 1123, Cf. also Jacob de Haas, History of Palestine, p. 240.

راجع كذلك ابن واصل : مفرج الكروب ج٢ ص ١٨٨ — ١٨٩ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج ٢ ص ٩٦ ، تاج الدين شاهنشاه : منتخبات من كتاب التاريخ ص ٢٨٩ .

ثغرة فيه . ولكن سرعان ما انتبه السلطان لهذه الثغرة وعمل على تقويتها مما أدى الى فشل هجمة الصليبيين وفقدهم آخر أمل كانوا يسعون الى تحقيقه (١) .

وتمكن المسلمون بعد ذلك من فرض دائرة الحصار على القوات الصليبية .

ولما اشتد القتال حاول كل من رينالد صاحب صيدا وريموند صاحب طرابلس اقتحام صفوف المسلمين من احدى الجهات محاولين الهرب مع عدد من جنودهما فأفسح لهم تقي الدين ابن أخي السلطان الصفوف حتى يتيح لهم فرصة الهرب على أن يتبعهم وينقض عليهم بعد ذلك . ولكن ما أن هربوا لم يتمكن من اللحاق بهم ، وفر كل منهما إلى مدينته (٢) . وانهزم الصليبيون شر هزيمة ووقع ملكهم وكثير من كبار قوادهم في الأسر فضلا عن قتل آلاف كثيرة منهم .

وجدير بالذكر أن المؤرخ وليم الصوري يقول في هذا المجال لو أن الصليبيين قد حاربوا بقلوب مخلصة وبدون نزاعات فيما بينهم لكان النصر حليفهم (٣) .

---

(١) Eracles, op. cit., II, pp. 64 — 6 ; Cf. also ; King, The Knights Hospitallers, p. 127.

لمزيد من التفصيلات عن معركة حطين أنظر ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١١ ص ٢٣٠ — ٢٤٣ ، ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٧٥ — ٧٨ .

(٢) أبو شامه : الروضتين جـ٢ ص ٧٧ راجع أيضا :

Guillaume de Tyr, op. cit., I, pp. 1124, Eracles, Cf. R. H. C., H. Occ., t. II, p. 44. Roger of Wendover, op. cit., II, p. 61, Cf also : Maimbourg, Histoire des Croisades, t. II. p. 54; Setton, op. cit., I, p. 613, Lane - Poole, Saladin, p. 178, Grousset, op. cit., II, p. 725.

(٣) Guillaume de Tyr, op. cit., I p. 1123.

ويبـدو التحيز واضحا من جانب المؤلف لبنى جنسه لانه لو كان ألقى نظرة فاحصة وعميقة إلى الجيش الاسلامى فى هذا الوقت لمـا تورط فى قوله هذا . لقد كانت القوات الاسلامية فى ذلك الوقت فى أحسن صورة لهـا ولا ينقصها سوى معاونه الله لهـا وقد تم هـذا لأن صلاح الدين كان يحارب من أجل العقيدة وقوة الايمـان بأستعادة الارض المغتصبة . لقد كان ميزان القوى بين الطرفين قد أعتدل بشكل واضح محـدد لصالح المسلمين فى المنطقـة . لذا كان مقضيا على أي محاولة يقوم بها الفرنج بالفشل ، وبات متوقعا أن يكون النصر حليف المسلمين منذ ذلك الحين .

وبعد أن أنتصر صلاح الدين على القوات الصليبية فى موقعة حطين واصل الزحف وأستولى على طبرية ثم نزل على عـــكا وأخذها أيضا ، وبعد ذلك خندق عساكره فى البلاد الساحلية من أجل الاستيلاء عليها الواحده تلو الاخرى . ساروا نحو تبنين وأستولوا عليهـا ولكن (١) . ثم واصلوا طريقهم نحو صور وحاولوا الاستيلاء عليها ولكن السلطان تركهـا بسبب شدة حصانتها . وأتجه نحو صيدا حيث بلغها يوم الثلاثاء ٢١ جمـادى الاول عام ٥٨٣ هـ / ٢٦ يوليو ١١٨٧ م وأجتاز المسلمون فى طريقهم صرفند وأستولوا عليها (٢) . ولما سمع

---

(١) الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ١٤ ، ابن إيبـــك : دور التيجان وغرر تواريخ الأزمان ورقة ٦٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٢ ص ٣٢٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٥ ، تاج الدين شاهنشاه منتخبات من كتاب التاريخ ص ٢٨٩ .

(٢) Eracles, op. cit., II, p. 71, Hitti, Lebanon in History, p. 300

صاحب صيدا بمسيرة السلطان نحوها سار عنها وأخلاها من المدافعين وفر هاربا الى حصن شقيف أرنون من توابع البارونية . لذا كان أمر استيلاء المسلمين على صيدا سهلا لم يكلفهم أي عناء . وجاءت رسل رينالد بمفاتيح المدينة وسلمتها الى المسلمين . وبعد ذلك رفعت على أسوارها رايات الاسلام وفتحت أبوابها وأقيمت بها صلاة الجمعة (١) . ويصف العماد الأصفهاني حالة أهالي مدينة صيدا بعد استعادة المسلمين لها قائلا « كان معظم أهل صيدا مسلمين مساكنين لمساكنة الفرنج مستسلمين وذاقوا العزة بعد الذلة وفاقوا الكثرة بعد القلة وخربت الكنائس وعمرت المدارس ، وصدقت البشائر ومدحت المنابر » (٢) وقد ولى السلطان صلاح الدين على صيدا أحد رجاله ويدعى على بن أحمد بن المشطوب . وبعد ذلك سار السلطان نحو بيروت واستولى عليها بعد حصار دام ثمانية أيام فقط (٣) .

في الواقع هناك قضيتان ينبغي معالجتها لهما صلة مباشرة بموضوع البحث .

— راجع أيضا ابن خلكان : وفيات الأعيان ج٦ ص ١٧٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢٠٦ ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٩٠ .

(١) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٨٣ ، النويرى : نهاية الارب ج٢٦ لوح ٨٩ ، العيني : عقد الجمان ج ١٩ ص ٤٤٥ ، أبو اليمن الحنبلي : الأنس الجليل ج ١٨٨ .

(٢) العماد الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي — تحقيق محمد محمود صبح — ص ١٠٨ .

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٨٠ ، سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٩٦ .

أولاهما يتعلق بالصمت التام الذي التزمته مصادر البحث ومراجعه من عربية وأجنبية ، خطيه ومطبوعة فيما يتعلق بتفاصيل محاولة السلطان صلاح الدين الاغارة على صيدا بهدف الاستيلاء عليها . ففي الوقت الذي تعرضت فيه بأسهاب لمحاولات صلاح الدين الاستيلاء على كثير من المعاقل والحصون الصليبية مثل بيروت لم تشر بكلمة واحدة إلى خطته بالنسبة لصيدا وأستعداداته للاستيلاء عليها . وهنا تساؤلات عديدة تجول في أذهان الدارسين حول الدافع إلى ذلك . وثمه أحتمال أن يكون هذا الاغفال ناجما عن قوة تحصيناتها وقتذاك وتخوف صلاح الدين من فشل أي محاولة قد يقوم بها للاستيلاء عليها . ولذا آثر التريث والتمهل وكانت هذه من سمات سياسته في علاقاته مع الصليبين ، حتى قضى على الاماكن المجاورة لصيدا ثم يتفرغ لها بعد ذلك . وربما يكون قد آثر الانتظار لحين ضرب القوات الصليبية في معركة شاملة ينجم عنها تحطيم الروح المعنوية لاهالي باقي المدن الخاضعة لهم مما يسهل مهمته في استرداد صيدا مع المدن الصليبية الباقية . والدليل على ذلك ما تم فعلا عقب أنتصار المسلمين في موقعة حطين إذ أسرع في الاستيلاء على المدن الساحلية كلها باستثناء صور وطرابلس .

هذا ما يتعلق بالقضية الاولى ، أما بالنسبة للقضية الثانية وهي تتعلق بما أشار اليه المؤرخ اللاتيني روبرت كلاوى في كتابه « فتح القسطنطينية على يد الصليبيين » بأن البلاد الصليبية قد ضاعت كلها على الصليبين عقب موقعة حطين باستثناء صيدا وعسقلان ، وأن السلطان صلاح الدين قد تفاوض مع المجلك الصليبي الذى كان أسيرا لديه عقب موقعة حطين بعرض فك سراحه مقابل موافقته على تسليمه عسقلان (١) . ولكن ما ذكره كلارى غير

---

(١) روبرت كلاري : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين — تحقيق د حسن حبشي ص٧٢ ،

صحيح لتنافيه مع التسلسل التاريخي المعروف ، لأن هناك ممتلكات مثل صور وطرابلس وأنطاكية ظلت بأيدي الصليبيين بعد موقعة حطين ولم تقع في أيدي المسلمين الا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي (أواخر القرن السابع الهجري) . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عندما يستثني المؤرخ كلا من صيدا وعسقلان من السقوط في أيدي المسلمين طوال الفترة الممتدة من انتهاء موقعة حطين حتى بداية عرض صلاح الدين على الملك جاي أطلاق سراحه مقابل تسليمه عسقلان ، وتنفيذ ذلك فعلا في سبتمبر ١١٨٧ م / شعبان ٥٨٣ هـ وهو تاريخ سقوط المدينة — نقول أن سكوت المؤرخ بعد اشارته إلى سقوط عسقلان عن ذكر أي شيء يتعلق بصيدا ، يجعلنا نستنتج بأنها المدينة الوحيدة التي ظلت بأيدي الصليبيين حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي (أواخر القرن السابع الهجري) .

هذا بطبيعة الحال يتعارض والحقيقة التاريخية . لانه من الثابت تاريخيا أن صيدا كانت ضمن المدن الاولى التي سقطت في أيدي المسلمين بعد موقعة حطين . وتاريخ سقوطها ثابت ليس فيه أدنى شك وهو ٢٦ يوليو ١١٨٧ م / ١٢ جمادي الأول ٥٨٣ هـ . يضاف إلى ما تقدم أن كلاري كان متأخرا بعض الشيء عن تاريخ وقوع هذه الأحداث . ولعل ذلك كان من بين الاسباب التي جعلته يخلط بين المدن التي أستولي عليها صلاح الدين وتلك التي وصلت بأيدي الفرنج .

ويبدو مما تقدم أن المؤرخ لم يكن دقيقا في سرده لأحداث هذه الفترة وإن معلوماته التاريخية عنها يشوبها التشويش والاضطراب وغير مكتملة الامر الذي يجعلنا نأخذ روايته بمزيد من الحرص والحذر ، خاصة إذا علمنا أن مذكراته هذه قام بأملائها على أحد الكتبة ولم يقم بكتابتها بنفسه . وعليه فالعذر —

الذى يمكن التماسه له هو أن يكون هـذا الخلط التاريخى قد حدث عفوا من الكاتب ولم يكن ناتجا لخطأ وقع فيه المؤرخ نفسه .

وكيفما كان الامر فأن أنتصار صلاح الدين على الجيش الصليبي فى موقعة حطين واستعادة المسلمين معظم الاراضى المقدسة وعلى رأسها صيدا ، موضوع هذا البحث ، كان بمثابة الضربة القاصمة التى وجهت إلى الصليبين فى الشام بصفة خاصة وإلى مسيحيى أوربا بصفة عامة ، الامر الذى جعل أهل الغرب يتوعدون بحملة صليبية كبيرة بهدف الاستيلاء على هذه المدن التى أخذها صلاح الدين أو على الأقل المطالبة بمناصفتها مثلما حدث بالنسبه لمدينة صيدا . وهذا ما سوف تكشف عنه الفصول التالية .

لعلنا نستشف من الأحداث التى كانت منطقة الشرق الأدنى مسرحا لها منذ أستيلاء الصليبيين على صيدا وتأسيس بارونية بها خاضعة لنفوذهم سنة ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ إلى ان أستردها صلاح الدين الايوبى فى سنة ١١٨٧م / ٥٨٣ هـ ، أى بعد أكثر من ثلاثة أرباع القرن ، ان هذه البارونية لعبت دورا واضحا فى الصراع الصليبي الاسلامى أبان تلك الفترة من الزمن . لقد أسهمت بشكل مباشر أحيانا وغير مباشر فى بعض الاحايين فى المعارك والمناوشات والاغارات والمصادمات التى وقعت بين الطرفين المتصارعين . وكانت الانظار دائما تتجه اليها عندما كانت مملكة بيت المقدس اللاتينية تعد لمعركة ضدالمسلمين أو عندما كان يداهمها الخطر . وكان صاحبها — عادة — هو الذى ينوب عن حاكم بيت المقدس إذا تغيب لسبب أو لاخر . لذا كان سقوطها فى قبضة المسلمين بمثابة ضربة قوية وجهت إلى قلب القوى الصليبية فى الأراضى المقدسة وجعلها تتوقع المزيد من الضربات المؤثرة التى سوف توجه اليها فى وقت كان فيه مركز الثقل يميل بقوة إلى جانب المسلمين ، بينما كانت عوامل الضعف تدب تدريجيا بالكيان الصليبي بالشام .

الفصل الثالث

صيدا بين الصليبيين والمسلمين

(١١٨٧ — ١٢٢٧ م / ٥٨٣ — ٦٢٤ هـ)

لجوء رينالد صاحب صيدا السابق إلى صور — رينالد يعرض تسليم صور على صلاح الدين نظير إعادة صيدا إليه — حصار صلاح الدين لحصن الشقيف التابع لبارونية صيدا عام ١١٨٩ م / ٥٨٥ هـ، ونتائجه — محاولة الصليبيين أستعادة صيدا عام ١١٨٩ م / ٥٨٥ هـ وفشلها — سعى كل من رينالد وكونراد صاحب صور للاتفاق مع صلاح الدين مقابل تنازله عن صيدا مناصفة صيدا بين الصليبيين والمسلمين عام ١١٩٨ م / ٥٩٤ هـ محاولات الصليبيين أستعادة صيدا — هزيمة الصليبيين عندجبل صيدا عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ — الحملة الصليبية الخامسة على مصر (١٢١٨ — ١٢٢١ م / ٦١٥ — ٦١٨ هـ)، وموقف باليان صاحب صيدا السابق منها — عودة صيدا إلى دائرة النفوذ اللاتيني سنة ١٢٢٧ م / ٦٢٤ هـ — صيدا فيما بين عامي ١٢٢١ و ١٢٢٧ (٦١٨ — ٦٢٤ هـ).

أوضحنا فى الفصل السابق كيف تمكنت بارونية صيدا من تدعيم نفوذها فى أنحاء المملكة اللاتينية بوقوفها إلى جانب الجيش الصليبي فى سائر معاركه ضد القوى الاسلامية فى الشرق الادنى . وبينا مدى علاقاتها بكل من نور الدين محمود وصلاح الدين الايوبى ، وما آلت إليه بعد أن أستردها المسلمون عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ . وسنتناول فى هذا الفصل طبيعة العلاقات بين رينالد صاحب صيدا السابق والسلطان صلاح الدين ، وأستمرارها رغم أسترداد المسلمين لصيدا ، ثم نلقى الضوء على محاولة صلاح الدين الاستيلاء على حصن شقيف أرنون التابع لبارونية صيدا والاثار المترتبة على ذلك ونختم الفصل بأستعراض أحوال المدينة بعد وفاة صلاح الدين عام ١١٩٣ م / ٥٨٩ هـ .

بعد ان علم رينالد صاحب صيدا السابق بقرب وصول قوات صلاح الدين تجاه المدينة للاستيلاء عليها قام بإخلائها وفر هاربا إلى صور حيث تولى أمرها لعدم وجود حاكم بها آنذاك . ثم بعث إلى صلاح الدين برسول عارضا الاسراع فى المجىء إلى مدينة صور لأستلامها ، وأقترح عليه أرسال الاعلام الخاصة به لتعليقها على أبوابها (١) . وكان الصليبيون فى ذلك الوقت فى موقف لا يحسدون عليه . إذ كانت أحوالهم تتسم بمظاهر الفوضى والاضطراب والتوتر النفسي بسبب الهزيمة التى منيت بها قواتهم أمام الجيش الاسلامى فى موقعة حطين الشهيرة . والواقع أن هذه الوقعة لا تعنى هزيمة للفرنج فحسب إنما كانت أبعادها أخطر من ذلك وأعمق . كانت تعنى ، بكلمة مختصرة ، بداية النهاية للوجود الصليبي فى الأراضى المقدسة . ولعل هذا هو الذى حدا برينالد إلى دعوة صلاح الدين بالحضور لاستلام مدينة صور أيضا .

(١) Eracles, op. cit., II, pp. 73 – 76.

ولم علم السلطان بعرض ريتالد فرح وأرسل بالفعل بعض فرسانه حاملين الرايات الأسلامية إلى المدينة . ولكن يبدو أن رينالد خشى من ثورة سكان المدينة من الصليبيين . ولذا رفض بعد وصول فرسان السلطان تعليق راياتهم على أبواب المدينة ، وبعث مع قالدم رسالة إلى صلاح الدين يطلب منه فيها الحضور بنفسه لتعليقها وأستلام المدينة . وما أن علم السلطان بحقيقة الأمر حتى أحد قواته واتجه نحو صور . وحدث في ذلك الوقت شيء لم يكن في الحسبان غير من مجرى تاريخ الساحل الصورى ، وأضاع الفرصة على صلاح الدين في الاستيلاء على مدينة صور ، وهو وصول المركيز كونراد دى مونتفرات Conrad de M rtfrat إلى صور (١) . وعندما علم بما حدث قام بتمزيق رايات المسلمين الموجودة أمام أسوارها في أنتظار قدوم السلطان صلاح الدين ثم عمل على تعزيز تحصيناتها حتى يفوت على المسلمين فرصة التفكير في حصارها ولما علم رينالد بوصول المركيز كونراد دى مونتفرات خشى مغبة الامور وفر هاربا إلى طرابلس . أما بالنسبة لصلاح الدين فانه لما أقترب من أسوار صور وعلم بوصول المركيز كونراد قفل عائدا إلى دياره بعد أن فقد الامل في الاستيلاء على المدينة في ذلك الحين (٢) .

---

(١) كان مقيما بالقسطنطينية غير أن تورط في جريمة قتل وتمت بها فأبحر سراً منها مع جماعة الفرسان الصليبيين للحج الى الأراضي المقدسة ، ولم يكن يعلم شيئاً عن النكبات التي حلت بالصليبيين بعد موقعة حطين ، فاتخذ طريقه الى عكا وهناك علم بحقيقة الأمر فأقلع الى صور ، ولقى الترحيب من أهلها على أنه منقذ للمدينة أنظر :

Runciman, op. cit., II, p. 47 .

(٢) Eracles, op. cit. II. pp. 73 - 76; Cf. also : Lane - Poole , op. cit., pp. 220 - 222.

مما يؤسف له أن المؤرخ اللاتيني هرقل الذى أشار إلى تلك الواقعـة لم يوضح الدافـع الذى حدا بريناالد إلى مراسلة صلاح الدين لتسليم صور له. ويحتمل أن يكون الدافع هو طمع رينـالد فى أسترداد صيدا مرة أخرى عن طريق كسب صداقة السلطان وثقته فاذا ما سهل له مهمة الاستيلاء على صور أمن له ممـا يشجعه على التعامل معه مستقبلا . وهكذا إذا عرض رينالد على السلطان أى مشروع لمساعدته ضد الصليبيين مقابـل منحه حكم صيدا فلن يتردد السلطان فى قبول العرض . وبهذا يضمن رينالد عودة صيدا اليه . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ربما يكون رينالد قد أراد من وراء ذلك انتهاز الفرصة بوضع السلطان فى موضع الاغـراء والتقيد فى حرية الاختيار . فاذا ما أتى بقواته أمام اسوار المدينة ساومه رينالد فى شأن تسليمها له مقابل موافقته على اعادة سيادة الصليبيين مرة أخرى على مدينـة صيدا تحت قيادته . ونظرا لان السلطان كان مهتما بالاستيلاء على صور لشدة تحصيناتها وأهميتها الاستراتيجية بالنسبة للمسلمين فأنه لن يتردد فى قبول العرض الذى تقدم به رينالد . والدليل على ذلك أن صلاح الدين حاول الاستيلاء عليها قبل تفكيره فى حصار صيدا عقب انتصاره فى موقعـة حطين . ولكن لم يكتب له التوفيق فى اعادتهـا إلى المسلمين وقتها . ومما يدعم الرأى القائل بأن رينالد كان يأمل فى استرداد صيدا بأى ثمن ، أنه اتفق فيما بعد مع المركيز كونراد دى مونتفرات صاحب صور فى عقد التحالف مع صلاح الدين ضد الصليبيين تعهدوا فيه بتسهيل مهمته فى الاستيلاء على عكا مقابل أن يمنحهما صيدا أو بيروت(١).

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٩٠ ، الأصفهانى : الفتح القسى ص ٥٦٠ . وسنشير الى هذه الواقعة بشىء من التفصيل فيما بعد فى الصفحات التالية [illegible]

والواضح أن محاولات المساومة والاغراء من جانب بعض القوى الصليبية لم تكن على أرض أمام تقدم الزمن. فلم يكن الزمن فى صالح اللاتين الدخلاء. ولا بد أن قادتهم كانـــوا يعلمون ذلك بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة فى العالمين المسيحى والاسلامى وقتذاك فى وقت بـدأت فيه حركة اليقظة والافاقـة الاسلامية فى منطقة الشرق الادنى، وفى وقت أخذ فيه المسلمون يشددون قبضتهم حول الوجود الصليبى فى المنطقة. لقد أحست أوروبا انها تدخل فى معركة خاسرة ضد المسلمين فى الشرق الادنى. ولـكن هذا لم يكن يمنع أن بعض الزعماء اللاتين من أصحاب الاطماع، من أمثال كونراد ورينالد، كانوا على استعداد لعمل أي شيء ودفـع أى ثمن فى سبيل تحقيق أطماعهم التى لم تكن تقف عند حد.

كيفما كان الحال، تابع صلاح الدين غزواته وتقدم بعد ذلك للاستيلاء على حصن حصين يعتـبر من أكبر الحصون الخاضعـة للصليبيين وهو حصن شقيف أرنون الذى كان تابعا لبارونية صيدا (١) فى ربيع الاول من عـام

(١) يقع جنوب لبنان، بين صور وصيدا فوق الخدود على عمق ٢٥٠ ٢ قدم مقابل نهر الليطانى. وتعتبر الناحية الشرقية للحصن من أحسن المناظر المطلة عليه حيث توجد على امتداد الحصن من هذه الناحية هوة يبلغ عمقها أكثر من ثلاثمائة متر فى أسفلها يجرى نهر الليطانى ومن ناحية الغرب توجد هضبة كبيرة كان عليها فى العصور الوسطى احدى القرى الصغيرة. ويتخذ الحصن شكل قريب من المثلث، وينقسم الى جزئين : الأول سفلى ناحية الشرق على شواطىء منحدرات نهر الليطانى، والجزء الثانى علوى مبنى على ذروة قمة صخرة. والحصن مشيد بالحجارة الملونة المهذبة الشكل. وتوجد كثير من المنحدرات فى الجزء العلوى. للحصن فيبدو بمثابة مقـاء للحدود المعمارية له. ويوجد فى الصخرة المحاطة بالحصن من الناحية الجنوبية والناحية الغربية خندق عميق جدا بمثابة خط

٥٨٥هـ/ ابريل ١١٨٩م أعد صلاح الدين قواته ونزل بمرج عيون وخيم به، وهو مكان يشرف على الحصن من أعمال صفد (١). وأقام السلطان به مدة

= دفاعي أول للحصن ، ويطلق المؤرخين الاجانب عليه اسم « بلفورت » Belfort بالانجليزية و « بوفورت » Beaufort بالفرنسية . أما المؤرخون العرب فيسمونه «شقيف أرنون» ويذكر ياقوت الحموي أن كلمة «أرنون» هي اسم رجل رومي أو افرنجي . بينما ذكر المؤرخ الارمني هيتوث Hayton بأن هذا الاسم نسبة الى ريناد سيد صيدا ، لانه أدخل على الحصن تعديلات وقام بتوسيعه : وقد استولى الصليبيون عليه عام ١١٣٩م/ ٥٣٤ هـ ، وظل خاضعاً لهم وتابعا لبارونية صيدا حتى سقط في أيدي المسلمين عام ١١٨٩م / ٥٨٥ هـ . وفي سنة ١٢٤٠م / ٦٣٨ هسلمه الصالح اسماعيل صاحب دمشق الى الفرنج، وظل بأيديهم حتى استولى عليه الظاهر بيبرس نهائيا سنة ١٢٦٨م / ٦٦٧ هـ أنظر عن ذلك المصادر والمراجع الأجنبية التالية :

Hayton, Cf. R. H. C - Doc. Arm. t. II, p. 174; Les Gestes des Chiprois, Cf. R. H. C. - Doc. Arm. t. II. p. 819; Cf. also : Rey, Etude sur les Monuments de L'architecture Militaire des Croisées, pp. 127 - 128; Muller, op. cit., p. 62; Fedden, Syria, p. 187; Smail, op. cit., d. 223.

ومن المصادر العربية انظر أيضا : ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠٩، أبو الفدا : تقويم البلدان ص ٢٤٨ ، مؤرخ مجهول : مصاصد الاطلاع ج٢ ص ١٩٨.

(١) هي مدينة من جند الاردن ، وأسمها مشتق من الصفد وهو « القل » لان صاحب القل يمتنع عن الحركة في كل وقت ، بها بساتين كثيرة وقلعة حصينة ، ويتولى نائبها حكمها بموجب مرسوم يصدر من قبل السلطان ويكون مستقلا عن حكم نائب السلطنة بالشام . وللمزيد من التفصيلات أنظر القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ج٤ ص ١٤٩ — ١٥١.

أيام يباشر خلالها حركات العدو توطئة للهجوم عليه . ولما علم رينالد صاحب صيدا السابق ، والذى كان لا يـزال سيدا على حصن الشقيف ، بنية المسلمين فى حصار الحصن والاستيلاء عليه ، وأنه لا طاقة له بصدهم ، تقـدم إلى خيمة السلطان فأذن له بالدخول وأكرمه ودعـاه إلى مائـدته . وحاول صاحب الشقيف ببراعته الدبلوماسية ودهائه ومكره أن يقنع صلاح الدين بتأجيل تشديد حصاره على الحصن لمدة ثلاثة شهور واعدا اياه بتسهيل مهمته فى الاستيلاء عليه دون أى قتال تزهق فيه الارواح من كلا الطرفين . وقال له وفق ما ذكره العماد الاصفهانى « أنا محب لك ومعترف بإحسانك وأخاف أن يطلع المركيز على شأنى وما بينى وبينك ، فينال أولادي وأهلى منه أذى فانهم عنده وحينئذ أحضر وأنام إلى عندك ، ونسلم الحصن اليك ، ونكون فى خدمتك ونقنع بما تعطينا من الاقطاع » (١) وقد طلب رينالد من السلطان اقطاعا بدمشق يقيم به مع أهله ، لانه لن يتمكن على مساكنة الفرنج بعد تسليم الحصن له بالامان (٢). ووافق السلطان صلاح الدين على طلبه لانه شعر بأن عملية الهجوم على الحصن سيكلفه الكثير ، فضلا عن طول الوقت . واستقر الامر بينهما على أن يتسلم المسلمون الحصن فى جمـادي الاخرة من ذات العام (يوليو ١١٨٩م) . وأقام

---

(١) الاصفهانى . الفتح القسى — تحقيق محمد صبيح — ص ٢٨٥ ؛ ابن الاثير . الكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ١٣ ، أبو شامه : الروضتين جـ٢ ص ١٢٩ ، النـويرى : نهاية الارب جـ ٦ لوحة ١٣١ . والمقصود بالمركيز هو كونراد دي مونتفرات ، أنظر الملحق الثاني والخامس باستيلاء السلطان صلاح الدين على الحصن .

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٩٧ ، ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ٦ ص ٢٩٣ ، ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٤٣ ، اليافعي : مرآة الجنان جـ ٣ ص ٤٠٣ .

لوحة رقم «١»



منظر المبنى القديم لحصن شقيف أرنون مأخوذ من كتاب

Dussaud, La Syrie antique et Médiévale Illustrée, planche, 157.

السلطان ينتظر الميعاد وهو قلق نظرا لقرب انقضاء مدة الهدنة مع بوهيموند صاحب انطاكية . فأمر ابن أخيه تقي الدين بالسير مع العساكر ليكون مقابل انطاكية . حتى إذا ما انتهى موعـــد الهدنة لا يغير صاحبها على بلاد المسلمين منتهزا فرصة انشغال السلطان في حصار حصن الشقيف (٣) وكان السلطان في ذلك الوقت منزعجا أيضا لما بلغه من احتماع الفرنج بصور وما يصل اليهم من امدادات وعتاد . فخشى أن يترك الشقيف وراء ظهره ويستعد لملاقاتهم عند خروجهم من صور خاصة وقد بلغه أن رينالد كان يعمل على زيادة الحصن ومده بالمؤن . ولذا آثر الانتظار في مكانه ، وأرسل بعض قواته لمواجهة الفرنج أمام صور واخطاره بخطورات الموقف ، لانه كان يدرك تماما في ذلك الوقت أن الشغل الشاغل للصليبيين هو اعـــادة تجميع قواهم في محاولة هدفها استعادة الاراضي التي فقدوها عقب هزيمتهم في موقعة حطين . ولما لم يبق على انتهاء مدة الهدنة المنعقدة بين صلاح الدين وريناالد سوى ثلاثة أيام استدعى

---

(١) ابو شـــامه الروضتين جـ ٢ ص ١٢٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ـ تحقيق جمال الدين ، الشيال جـ ٢ ص ٢٨٢ ٢٨٣ راجع كذلك:

Lamb, The Crurades, p. 9J, Copanr, op. cit., p. 159.

Ambroise, The Crusade of Richard, p. 1 5, Cf. ajso : Besant, op. cit., p. 444.

وكان السلطان صلاح الدين قد اتجه الى انطاكية فى أوائل ٥٨٤هـ/ ١١٨٨ م لحصارها واضطر صاحبها بوهيموند أن يعقد معه هدنة لمدة ثمانية شهور مقابل أن يطلق سراح من عنده من أسرى المسلمين . وكان بوهيموند يريد من هـذه المهلة أن يكسب شيئا من الوقت حتى أن تصل امدادات جديدة تنقذ الموقف انظر جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ٢ ص ٧٧.

السلطان صاحب الحصن وتحدثا معا في شأن تسليمه للمسلمين حسب الاتفاق. ولكن رينالد راوغه وطلب منه مد المهلة لفترات أخرى بحجة أن المركيز كونراد دى مونتفرات لم يمكن أهله من المجيء اليه. وعندئذ تحقق السلطان من مكره وتيقن أن هدفه في اطالة الهدنة هو تمكين الصليبيين من الاستعداد واعادة تجميع قواهم بعد الضربات التي وجهها المسلمون لهم في حطين. لذا أمر صلاح الدين بالقبض عليه لحين انتهاء الايام الثلاثة الباقية واستلام المسلمين الحصن (١). ولما انقضت المدة المذكورة طالبه السلطان بدعوة أهل الحصن للتسليم والخروج منه. وفي بداية الأمر تردد رينالد، ولما تيقن من اصرار السلطان على تسليم الحصن وأحس بضغطه المتزايد عليه، استجاب لمطالبه واستدعى قسيسا ذكره وأرسل معه رسالة سرية يدعو فيها أهل الحصن فتح الابواب والسماح لقوات السلطان بالدخول واستلامه. ولكن ما أن وصلتهم هذه الرسالة حتى بادروا بغلق الأبواب وامتنعوا عن تسليم الحصن واستعدوا للدفاع عنه. ولما تحقق السلطان من ذلك أرسل رينالد إلى سجن دمشق، وأعد قواته وقام بتشديد حصاره على الحصن ومنع وصول أى امدادات اليه. فتعرض الاهالى للجوع واضطروا في النهاية إلى طلب الامان، خاصة بعد ان وصلتهم الانباء بشدة ما يتعرض له رينالد من العذاب والذل والهوان.

---

(١) الاصفهانى : الفتح القسى — تحقيق محمد صبيح — ص ٢٨٦، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ١٠٣، ابن خلدون . العبر ج ٥ ص ٦٩٢، تاج الدين شاهنشاه، منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه ص ٢٩٥ ومن المصادر الاجنبية انظر :

Ambroise, The Crusade of Richard p. 135; Cf. also : Besant, op. cit., p. 444.

واشترطوا على السلطان اطلاق سراح رينالد والسماح لهم جميعا بالتوجه إلى صور. ووافق صلاح الدين على ذلك وتسلم الحصن ودخله المسلمون فى ربيع الاول عام ٥٨٦هـ / ابريل ١١٩٠م [١].

هكذا كان الصليبيون فى موقف لايحسدون عليه . وكانت المدن والقلاع التى بأيديهم تسقط تباعا فى قبضة صلاح الدين . وكان ضياع صيدا وسجن صاحبها رينالد فترة من الوقت ثم سقوط حصن شقيف أرنون التابع للبارونية مؤشرا خطيرا بالنسبة للفرنج وايذانا بقرب نهايتهم .

وجدير بالذكر أن صلاح الدين كلما يستولى على مدينة من المدن الصليبية سمح لاهلها من الفرنج بالرحيل عنها والاتجاه نحو صور التى كانت لاتزال فى قبضة الفرنج بحيث أصبحت هذه الحشود الفرنجية عقبة استنفذت منه مجهودا كبيرا فيما بعد . لقد كانت مصدر خطر بالغ على ملكه . ويرى الدكتور جمال الدين الشيال أنه عندما كان صلاح الدين يسمح لاهل المدن التى يستولى عليها بتسليمها دون حرب وبالخروج منها إلى صور ، وانما كان يشجعهم على التسليم دون مقاومة ودون بذل دماء من الطرفين . وأنه كان يهدف بهذه الوسيلة تحقيق أغراضه والاستيلاء على هذه المدن دون أن يضحى بأرواح رجاله . كما استطاع أن يطهر مدن الداخل من أعدائه الفرنج وأن يحشدهم جميعا فى مكان واحد عند الساحل ، لانه من المعروف أن الحصون الداخلية

(١) الاصفهانى : الفتح القسى ص ٣٥٩ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣١٢ ، النويرى : نهاية الارب ج ٢٦ لوحة ١٢١ ، العينى : عقد الجمان ج ٢٠ ورقة ٤ ، الحنبلى : الانس الجليل ج ١ ص ٢٢١ انظر أيضا :

Lane-Poole, op. cit., pp. 256 - 257 , King, The Knights Hospitallers, p. 135.

كانت أشد خطرا من المدن الساحلية . ويستطرد الدكتور الشيال قائلا لو أن صلاح الدين قضى الوقت الطويل فى حصار مدينة صور ولم يتجه لفتح القدس والمدن الداخلية ، ثم وصلت الحملة الصليبية الثالثة ، لتغير وجه التاريخ ولصعب عليه بعد ذلك تحقيق كل هذه الاهداف التى حققها (٢).

على اية حال ، وأثناء انتظار السلطان صلاح الدين فى مرج عيون ، وفق ما أوضحنا ، جاءته كتبا من قواده الذين كان قد عهد اليهم مهمة مواجهة الفرنج يبلغونه أن الصليبيين الموجودين بصور بـدأوا يستعدون للخروج وعبور الجسر الفاصل بين أراضى صيدا وصور بهدف حصار الاولى . فجمع السلطان عندئذ بعض عساكره ، وترك البعض الآخر فى مرج عيون . وحاول بالقوات التى معه اللحاق بعساكر الفرنج حيث اشتبك الفريقان فى معركة كبرى اسفرت عن انتصار قوات المسلمين ، وقتل عـدد كبير من الفرنج وعاد إلى مكانه فى مرج عيون أما الصليبيون فقد عادوا إلى صور (١). وبذلك تمكن من انقاذ مدينة صيدا من براثن العدوان الصليبى .

وذكر المؤرخ النويرى الكندى أن سبب اهتمام الفرنج بصيدا فى ذلك الوقت ومحاولة استرجاعها يرجع إلى تجميع أهل الغرب فى صور ، وهم أولئك الذين خرجوا من المدن التى استولى عليها المسلمون بالامان . فضلا عن النجدات التى وفدت اليها من الغرب الأوروبى بهدف الثأر من هزيمة حطين . فضاقت

---

(٢) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ٧٧ — ٧٨.

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١٢ ص ١٤ ، أبو شامه : الروضتين ج ٢ ص ١٤٠ ، النويرى : نهاية الارب ج ٢٦ لوحة ١٢١ .

بهم مدينة صور باطنها وظاهرها فأرادوا قصد صيدا (٢)

وقد يكون هذا التعليل صائبا ، ولكننا نضيف أن صيدا كانت من الموانى الهامة بالنسبة للصليبيين ، وأن سقوطها شكل خسارة كبيرة لهم ، فعملوا بكل السبل على استعادتها ولعب أطماع صاحبها السابق رينالد دورا في هذا الشأن.

ولكن الاقدار شاءت أن يفشل المخطط الصليبي ويستولى المسلمون على حصن الشقيف المنيع وتنهزم القوات الصليبية أثناء سيرها نحو صيدا لاسترجاعها ويخسر رينالد كل شيء .

على أية حال ، بعد أن عاد الصليبيون إلى صور وهم يجرون وراءهم أذيال الهزيمة ، أخذوا يعيدون تجمعاتهم من جديد ويخططون لحصار عكا والاستيلاء عليها ، وكانت في ذلك الوقت تحت سيطرة المسلمين ، وذلك حتى يكون لهم على البحر المتوسط ميناء آخر بجانب الميناء الصورى . وكان الغرب الأوروبى فى ذلك الوقت ، رغم مشاكله وكثرة الخلاف بين امرائه وما يسوده من القلق والحزن ورد الفعل العنيف بسبب مافقده الصليبيون من المدن والقلاع فى الشرق الادنى ـ كان الغرب الأوربى يعد العدة من جديد لاخراج حملة صليبية جديدة لاسترداد هذه الاراضى بقيادة ثلاثة من أكبر ملوك الغرب هم ريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا ، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا وفردريك بارباروسا امبراطور المانيا . وهى الجيوش القادمة من الغرب عونا وسندا للجيش الصليبي

(٢) وكان سبب قصدهم صيدا أنه لما كثر جمع الفرنج بصوره اجتمع فيها منهم عالم كثير لا يحصون فضلا عما جاءهم من نجدات للثأر من هزيمتهم وأخذ بيت المقدس فضاقت عليهم مدينة صور ظاهرها وباطنها فأرادوا صيدا » انظر النويرى : نهاية الارب جـ٢٦ لوحة ١٣٦ .

الذي خرج من صور بقيادة الملك جاى دى لوزجنيان الملك الاسمى لمملكة بيت المقدس (١١٨٦ - ١١٩٢م / ٥٨٢ - ٥٨٨هـ) و كونراد دى مونتفرات صاحب صور لفرض الحصار على مدينة عكا فى أغسطس ١١٨٩م / جمادى الاخرة ٥٨٥هـ (١). ولما علم السلطان صلاح الدين بقرب وصول النجدات الصليبية من الغرب الأوربى، اتجه بعساكره نحو مدينة صيدا وغيرها من المدن الاخرى مثل يافا وقيسرية وجبيل - ثم قام بتدمير أسوارها وأرسل سكانها إلى بيروت. ثم عمل على تزويد بيروت بالميرة والمؤن وشحنها بالرجال والسلاح وحصنها بحيث جعلها قاعدة لقواته (٢).

وبوصول قوات كل من رتشارد الانجليزى وفيليب أوغسطس الفرنسى إلى الاراضى المقدسة تعقدت الأمور، لان الأول مؤيدا لفكرة تتويج جاى دى لوزجنيان ملكا على مملكة بيت المقدس، بينما كان الملك فيليب مناصرا للمركيز كونراد دى مونتفرات محبذا لفكرة تتويجه على عرش المملكة. وفى النهاية. تم الاتفاق فى مؤتمر عقد بين الطرفين حضره المركيز كونراد على تتويج جاى ملكا طوال حياته فقط، على أن يؤول أمر المملكة فيما بعد إلى المركيز. وفى أثناء هذه الفترة يؤول حكم صور وكذلك صيدا وبيروت إلى المركيز (٣).

---

(١) Eracles op. cit, II, pp. 125-126.

(٢) Gotfridi, Cf. R. H.C. - H. Occ., t.V,p. 523; Cf. also : Grousset op. cit., III, p. 10

(٣) Ambroise, op. cit., p. 211; Cf. also : Lamonte, Feudal Monarchy. p. 40 ; Calthrep, The Crusades p. 55.

ويحتاج هذه الاتفاق إلى وقفة قصيرة لأنـه يتعارض مع ما سبق أن أقره الملك بلدوين الأول عندما استولى على مدينة صيدا وجعـل الحكم فيها وراثيا فى اسرة يوستاش جارنييه (١). هـذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كانت صيدا وبيروت فى ذلك الوقت فى أيدى المسلمين وبذلك كيف يكون كونراد قد قبل مثل هذا الاتفاق وهو يعلم أنه اتفاق اسمى فقط ، اللهم إلا إذا فسرنا الاتفاق الذى تم بين رتشارد قلب الاسد وفيليب أوغسطس بأن يؤول حكم صيدا وبيروت إلى كونراد ، بمعنى أن يكون حكما اسميـــا فحسب بسبب وجودهما فى قبضة المسلمين. وبالتالى فان الاتفاق الصليبي يؤكد على أهميـة هاتين المدينتين بالنسبة للغرب وضرورة العمل على استرجاعها . ولعل هذا هو الذي حدا بكل من ريتشارد وفيليب إلى تحديد من يتولى زمام الحكم فيها فى حالة استرجاعهما .

ومتابعة للأحداث فانه بعد وصول النجدات الصليبية إلى عـكا رجحت كفة الفرنج . ولما اشتد الحصار على المدينة بعث السلطان صـلاح الدين إلى الصليبيين طالبا منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق سراح بعض أسرهم ويعيد اليهم صليب الصلبوت . ولكنهم رفضوا وأرسلوا مع مندوبهم رينالدسيدصيدا السابق يشترطون عليه اطلاق سراح الأسرى واعادة صيدا وغيرها من سائر البلاد الساحلية التى أخذت منهم بعد موقعة حطين . فأبى السلطان ذلك وانتهى الأمر بوقوع المدينة فى أيديهم فى يوليو ١١٩١م /جمادى الآخرة٥٨٧ هـ(٢).

---

(١) انظر ما سبق من الفصل الاول.

(٢) العينى : عقد الجمان جـ ٢٠ ورقة ٦٩ — ٧٠ أنظر أيضا :

Besant, op. cit., pp. 402 - 40.

وكان هذا هو كل ما حققته الحملة الصليبية الثالثة التى فشلت فى هدفها الرئيسى الذى قامت من أجله وهو الاستيلاء على بيت المقدس .

ورغم أن الصليبيين قد استولوا على احدى المدن الرئيسية التى كانت لها أهميتها بالنسبة للمسلمين ، إلا أن ذلك لم يشبع رغباتهم وأطماعهم . إذ أرادوا الاستيلاء على باقى مدن الساحل وما فقدوه من الأراضى الأخـــرى ، لأنهم شعروا بأن المملكة اللاتينية فى وضعها الجديد بعد فقدان بيت المقدس وضياع بعض المدن والمعاقل الأخرى التى كانت فى حوزتهم ، لم تعد سوى مملكة عكا ، وان احتفاظها باسمها القديم وحرصها على ربط نفسها ببيت المقدس لا يغير من الواقع شيئا . ولاشك أن هذه الصفة الجديدة للمملكة الصليبية بالشام وعدم ارتباطها بمدينة بيت المقدس بالذات جعلها تفقد هيبتها الأولى ، فضـلا عن افتقارها فى عهدها الجديد إلى صفة الدولة المنظمة ، الأمر الذى جعلها لا تتمتع بأى قسط من الاستقلال الذاتى أو حرية العمل كما كان الحال من قبل (١) .

وكان رد الفعل لسقوط مدينة عكا فى أيدي الصليبيين أن استمر المسلمون فى قتـالهم العنيف ضد الفرنج . فكانوا يدخـلون فى معارك جانبية ضـــدهم بهدف استنزاف قواهم واضعاف روحهم المعنوية ، حتى يتمكنوا فى النهاية من استعادة حقهم باسترداد كل الأراضى المسلوبة منهـم . وبالفعل أثارت هـذه المعارك الجانبية كثيرا من المتاعب لدى الصليبيين ممـا دفـع الملك ريتشارد فى أغسطس عام ١١٩١ م / شعبان ٥٨٧ هـ إلى عقد اجتماع مع الملك العـادل (٢)

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ص ٩٠٢ .

(٢) كان السلطان صلاح الدين قد فوض أخاه الملك العادل فى المفاوضات التى تجرى بينه وبين الملك ريتشارد ، وقام العادل بذلك أحسن قيام . انظر أبو شامة : الذيل على الروضتين جـ ١ لوحة ١٢٠ .

أخي صلاح الدين ، وطلب منه الصلح لأن القتال قد طال بين الطرفين ، وعرض عليه اعادة صيدا وغيرها من المدن الساحلية التي تم للمسلمين الاستيلاء عليها بعد موقعة حطين إلى الفرنج . ولكن الملك العادل رفض العرض وأخذت الرسل تتردد بين الطرفين فترة من الوقت (١) . ويبدو أن عوامل الفرقة والبغضاء بين بعض عناصر الصليبيين في الشام في ذلك الوقت كان لها دور كبير في تطور سير المفاوضات بين الجانبين الصليبي والاسلامي . فلم يغفل المسلمون عامل الحقد والعداء الواضح والمتبادل بين كل من الملك ريتشارد قلب الأسد والمركيز كونراد دي مونتفرات صاحب صور ، وحاولوا استغلال ذلك لمصلحتهم . ولذا استجابوا للاجتماع بكلا الطرفين بقصد الصلح . فضلا عن أنهم حاولوا الاجتماع بينهما عن طريق الظهور مع كل طرف على حده أمام الطرف الآخر ، حتى يسرع كل منهما بتقديم أفضل الشروط الملائمة للصلح . فعندما أرسل المركيز كونراد مندوبه رينالد صاحب صيدا وحصن الشقيف السابق الى السلطان صلاح الدين في رمضان عام ٥٨٧ هـ / اكتوبر ١١٩١ م ، رحب به الأخير كثيرا . وزودنا المؤرخ بهاء الدين بن شداد في هذا المجال بكثير من الوقائع الهامة بصفته شاهد عيان لهذه المفاوضات فقرر أن ريناالد عرض على السلطان عقد معاهدة صلح معه ومع كونراد دي مونتفرات تؤول بمقتضاها مدينتا صيدا وبيروت اليها مقابل تعهدها بمجاهرة الصليبيين بالعداء ، ومعاونة المسلمين في حصار عكا وتقديم المساعدة لهم في هذا

---

(٢) النويرى : نهاية الارب جـ ٢٦ لوحة ١٣٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك — تحقيق حسن الشماع — المجلد الرابع جـ ١ ص ٣١ .

الشأن (١) . ورغم ترحيب السلطان بهذا العرض إلا أنه يدرك تماما مدى خبث المركيز كونراد ، وأنه ما قدم اليه الا بعد أن شعر بأطماع الملك ريتشارد فى صور . وللتدليل على ذلك انسلخ كونراد عن الصليبيين الموجودين فى عكا وأسرع الى صور للاحتفاظ بها خشية ضياعها منه . وبدأ يفكر فى استغلال السلطان صلاح الدين فى تحقيق أطماعه (٢) . ومن أجل ذلك أجابه الى طلبه ، ولكنه اشترط عليه أن يبدأ بمجاهرة باقى الصليبيين بالعداء وأن يقوم بمجاهرتهم فى عكا وأخذها واطلاق من بها ومن بصور من الأسرى المسلمين . وقال له بعد ذلك سوف يسلمه صيدا وبيروت . وطلب ريتشارد من السلطان ارجاء المفاوضات حتى تتاح له الفرصة للتباحث مع صاحب صور فى الأمر (٣) . وما أن علم الملك ريتشارد بذلك حتى رجع إلى عكا لفسخ هذه المصالحه واسترجاع المركيز اليه خشية أن يقوى نفوذه (٤) . ورغم ذلك أرسل صاحب

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٩٠ ، الاصفهانى : الفتح القسى ص ٥٦٢ أبو شامه : الروضتين ج ٢ ص ١٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٧٢ ، الحنبلى : الانس الجليل ج ١ ص ٣٢٧ راجع كذلك:

Amb oise, op. cit , p. 841 ; Cf. also : Campbell, The Crusades, p. 317 ; Lane - Poole, op. cit., p. 330; Stevenson, op. cit., p. 278 - 79.

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٩٠ .

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٩٠ ، أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١٩٢ ، العينى : عقد الجمان ج ٢٠ ورقة ٩٠ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك تحقيق حسن الشماع — المجلد الرابع ج ٢ ص ٢٩ .

(٤) أبو شامه : الروضتين ج ٢ ص ١٩٣ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٣٧٢ .

صور مندوبه ريتالد للمرة الثانية إلى السلطان صلاح الدين في أكتوبر ١١٩١م/ شوال ٥٨٧ هـ بشأن تقرير قاعدة الصلح بين الطرفين في شكلها النهائي ويقول المؤرخ ابن شداد أن السلطان أحسن استقباله وأكرمه كرما عظيما ، ودعاه ومن معه من أكابر الفرنج إلى مجلسه وانهما تناقشا في أمر الصلح مرة أخرى . ووعده السلطان بأن يرد عليه فيما بعد وانصرف ريتالد عائدا إلى صور . وفي عشية ذلك اليوم وصل رسول الملك الانجليزي واجتمع بالسلطان الأيوبي ، وكانت رسالته عاجلة وتطالب بمناصفة البلاد الساحلية كلها بين المسلمين والصليبيين . فأرجأ السلطان الرد عليه لحين التشاور مع بقية امرائه (١) . ويبدو أن الملك ريتشارد كان متلهفا في ذلك الوقت لعقد الهدنة مع المسلمين لشدة حنينه للعودة إلى بلاده ، فضلا عما بلغه من أخبار تمرد أخيه حنا ضده وتطلعاته للتربع على عرش انجلترا (٢) .

على أية حال ، ظل السلطان صلاح الدين حائرا بعد تردد رسل الفرنج عليه من كلا الجانبين فجمع امراءه وكبار رجال دولته وعرض عليهم الأمر ، وانتهى الرأي إلى أنه من الأفضل أن يكون الصلح مع الملك ريتشارد لعدم ضمان تنفيذ وعد المركيز كونراد لما يشتهر به من خبث ومكر . هذا كانه يدور والحرب قائمة والقتال على أشده بين الطرفين الصليبي والاسلامي . وكان صاحب صيدا السابق كثيرا مايتردد على الملك العادل ويخرج معه

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٠٢ ، العيني : عقد الجمان جـ ٢٠ ورقة ٩٨ .

(٢) Ambroise, op cit., pp. 155 157, Cf: alsO ; Runciman op cit , III p. 64.

ليشرفا على ساحة القتال . وكان كلما رآه الصليبيون من انصار الملك الانجليزى مع الملك العادل تحركوا وأسرعوا نحوه فى طلب الصلح (١) .

ويبدو أن الملك العادل كان يقصد كثرة الخروج مع رينالد والظهور معه فى كل مكان حتى يراه باقى الصليبيين من أنصار الملك ريتشارد فتزداد الوقيعة بين الجانبين ويجبر الملك الانجليزى على سرعة طلب الصلح وعقـــد الهدنة بأفضل الشروط الملائمة بالنسبة للمسلمين خوفاً من مبادرة المسلمين بالاتفاق مع المركيز كونراد وزميله رينالد .

وبعد أخذ ورد بين هذه الأطراف الثلاثة ، تقرر الصلح والهدنة بين السلطان صلاح الدين من ناحيـة وبين الملك ريتشارد قلب الأسد من ناحيـة أخرى لمدة ثلاثة سنوات وثلاثة أشهر وثلاثة أيام اعتباراً من ٣ سبتمبر ١١٩٢م/ ٢٢ شعبان ٥٨٨ هـ . وبمقتضاها استقر بيد الفـرنج ما بين عكا ويافا ، بيـنما أصبحت كل من اللد والرملة مناصفة بين الطرفين (٢) .

وبهذا الشكل تكون كل مجهودات المركيز كونواد صاحب صور ورينالد صاحب صيدا وحصن الشقيف السابق قـد باءت بالفشل . وبالتـالى خرجت صيدا عن دائرة الجانب الصليبى وبقيت فى أيدى المسلمين حتى عام ٥٩٣ هـ / ١١٩٧ م ، حيث تم مناصفتها مع الفرنج وفق ما سيتضح فيما بعد .

---

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٠٣ ، العينى عقد الجمان ج ٥٢ ورقة ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ١٧٧ ، العينى : عقد الجمان ج ٢٠ ورقة ١٤١ ، صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢١ انظر أيضا :
Funck-Brentano, Les Croisades, pp. 100-102.

وجدير بالذكر أن المؤرخ اللاتيني هرقل Eracles ذكر أن صلاح الدين أراد أن يعوض رينالد صاحب صيدا السابق عما فقده ، فجعل صيدا مناصفة بينه وبين المسلمين ، وذلك في نفس عام عقد المعاهدة مع الملك ريتشارد وهو عام ١١٩٢ م / ٥٨٨ هـ وقد أيده في ذلك القول أحد المؤرخين الغربيين الحديثين وهو رينيه جورسيه (١) .

ولكننا نستبعد ما ذكره هذان المؤرخان لسبب بسيط وهو أنه لا يوجد أي مبرر يجبر السلطان صلاح الدين على جعل المدينة مناصفة بينه وبين رينالد خاصة وأن العلاقات بينهما كانت متوترة بسبب الموقف الذي وقفه رينالد من صلاح الدين أثناء حصاره حصن الشقيف ومحاولة خداعه ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن كل ما كان يجمعهما من علاقات لم يخرج عن دائرة المفاوضات التي كان رينالد فيها مندوبا عن المركيز صاحب صور . وبالاضافة إلى ذلك لا توجد أية اشارة إلى ذلك سواء في المصادر العربية أو الأجنبية الأخرى ، المعاصرة أو المتأخرة زمنيا عن هذه الفترة . بل أن كل ما تضمنته هذه المصادر من معلومات تؤيد بأن صيدا ظلت تابعة للقوى الاسلامية حتى عام ١١٩٧ م / ٥٩٣ هـ . والدليل على ذلك أنه في هذا العام كانت الهدنة المنعقدة بين الطرفين الصليبي والاسلامي قد انتهى أجلها ، وابتدأ الصليبيون في تجهيز قواتهم للاغارة على الأراضي الاسلامية لانهم وجدوا في نفاذ أمد الهدنة مبررا لاستئناف الاشتباكات الحربية من جديد عساهم يفلحون في تعويض خسائرهم وتحقيق أطماعهم . فأصدر الملك عموري الثاني ملك مملكة

---

(١) Eracles op. cit., II, p. 199, Cf. also : Grousset, op. cit., III, p. 122.

بيت المقـــدس الاسمى (١١٩٧ - ٥ ١٢ م / ٥٩٤ - ٦٠٢ هـ) أوامره إلى الصليبيين بالتجمع فى عكا والزحف شمالا على امتـداد الساحل للاستيلاء على صيدا وبيروت ولما علم الملك العـادل بذلك صمم على تخـريب باقى أسـوار مدينة صيدا ، وكان السلطان صلاح الدين قد سبق له أن خرب أجزاء كثيرة منها عند بداية قدوم الحملة الصليبية الثالثة (١). وأمر العـــادل أيضا بتـدمير أسوار الأماكن الساحلية الأخـرى التى يخشى أن يستولى الصليبيون عليهـا .
أما الفرنج فبعد أن أعدوا قواتهم رحلوا من عكا نحو صيدا بقصد تملـكها ، وكان الملك العادل قد جمـع قواته ولحق بالجيش الصليبي والتقى معه فى معركة كبيرة فى نواحى مدينة صيدا فى ٢٢ اكتوبر من عام ١١٩٧ م / ٩ ذى الحجة ٥٩٣ هـ ، وكان النصر فيهـا حليف المسلمين . وواصل الصليبيون بعـد ذلك سيرهم نحـــو بيروت بعد أن نالوا قسطا من الراحة وتمكنوا من الاستيـلاء عليهـا (٢) .

هكذا أفلح اللاتين فى الاستيلاء على بيروت وإعادتها إلى دائرة نفـوذهم بعد حوالى عشرة سنوات بقيت فيها فى قبضة المسلمين . أما بالنسبة لصيدا فلم ينجحوا فى الاستيلاء عليها . ولكن تم مناصفتها بينهم وبين المسلمين وكان ذلك فى عام ١١٩٨ م / ٥٩٤ هـ . ففى ذلك الوقت كان خلفاء السلطان صلاح

---

(١) انظر ما سبق فى هذا الفصل.

(٢) ابن الاثير : الـكامل فى التاريخ جـ ١٢ ص ٥٩ ، العينى عقد الجمان جـ ٢٠ ورقة ٥٠٢ — ٥٠٣ ، صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢١ وعلى المراجع الأجنبية أنظر:

Stevenson op. cit., p. 294 Grousset, op. cit., III, p. 1 5.

الذين مشغولين بنزاعاتهم وخلافاتهم الداخلية حول مناطق النفوذ ، فهيأوا بذلك للفرنج الفرصة لكي ينعموا بفترة من الراحة والسلام وأن يجنوا مكاسب جديدة على حساب المسلمين . وكان انتصارهم على المسلمين في الاستيلاء على بيروت قد شجعهم للزحف على مدينة بيت المقدس بأمل الاستيلاء عليها وذلك في نوفمبر ١١٩٧ م / محرم ٥٩٤ هـ ثم اعادة محاولة استعادة صيدا . ففي يناير ١١٩٨ م / ربيع الأول ٥٩٤ هـ شرع الصليبيون في حصارها وشددوا ضغطهم على الحامية الإسلامية الموجودة بداخلها إلى درجة جعلت أهلها على وشك التسليم . ولكن اقتراب تعزيزات إسلامية من مصر ، فضلا عن توتر الحالة النفسية للصليبيين الألمان المشتركين ضمن القوات الصليبية المحاصرة للمدينة بسبب بلوغهم أخبار وفاة الامبراطور الألماني هنري السادس ، جعلهم يفكرون في العودة إلى بلادهم في الغرب . كل هذه العوامل أنقذت صيدا من الوقوع في أيدى الصليبيين وجعلت ملكهم عموري الثاني متلهفا لعقد الصلح مع المسلمين . وبدأت بالفعل المفاوضات بين كل من الملك الصليبي والملك العادل وانتهت إلى عقد هدنة في يوليو ١١٩٨ م / رمضان ٥٩٤ هـ لمدة خمس سنوات وثمانية شهور ، امتلك المسلمون بموجبها يافا ، بينما اتفق على تبقى جبيل وبيروت في أيدى الصليبيين ، فضلا عن مناصفة مدينة صيدا بين الطرفين ، إلى جانب مناصفة كل من اللد والرملة أيضا بينهما (١) . وتعتبر هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها مناصفة صيدا بين المسلمين والصليبيين . وعاد بذلك النفوذ

---

(١) أبو شامة : الروضتين ج١ ص ٢٢٠ — ٢٢٢ راجع أيضا السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا في العصر الاسلامي ص ١٠٧ وكذلك :

Runciman op. cit., III. p. 98

الصليبي مرة أخرى إلى المدينة بعد أن اضفى عليها الطابع الاسلامي حوالى عشر سنوات منذ أن استردها صلاح الدين عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ .

وقد ظل الوضع في صيدا هادئا طوال فترة المهادنة والمناصفة ، إذا لم تتعرض لاية اعتداءات صليبية من شأنها الطمع في ضم النصف الخاص بالمسلمين اليها . ولكن رغم ذلك ، يبدو أن المسلمين أنفسهم في صيدا قد استاءوا من هذا الوضع ، وبدأوا في مناوشة الصليبيين بهدف تصفية هذا الوقت المانع وعودة المدينة إلى دائرة النفوذ الاسلامي مرة أخرى . ففي عام ١٢٠٣ م / ٦٠٠ هـ قامت بعض سفنهم بالهجوم على سفينتين لاتينيتين خاضعتين لقبرص التي كانت تحت حكم آل لوزنيان (١) . وتمكنت من الاستيلاء عليهما . ولما كانت قبرص تابعة في ذلك الوقت للصليبيين فقد أثارت ذلك الأمر ثائرة عموري

---

(١) كانت هذه الجزيرة خاضعة لحكم الملك اسحاق دوكاس كومينيوس (١١٨٦ - ١١٩١ م / ٧٨٢ - ٥٨٧ هـ) ، وتمكن الملك الانجليزي ريتشارد قلب الأسد من الاستيلاء عليها في ١٠ مايو ١١٩١م/ ربيع الآخر ٥٨٧هـ . وسبب ذلك أنه أثناء اتجاه اسطوله نحو الساحل السوري للاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة هبت عاصفة عاتية بعثرت بعض سفنه فانساقت الى قبرص ثلاث منها تنقل احداها اخته وخطيبته ، ولكن صاحب الجزيرة سرعان ما ألقى القبض على كل رجال الملك الانجليزي وصادر كل حمولة السفن الانجليزية وأساء معاملة اخت الملك وخطيبته . ولما علم ريتشارد بذلك أصر على الانتقام وفتح قبرص . وانتهز فرصة وصول سفن بعض كبار رجال الصليبيين الى الشام ، فاستعان بها لغزو الجزيرة . ثم قصد بعدها الساحل الشامي للاشتراك في حصار عكا . ولمزيد من التفصيلات أنظر :

Ambroise, op. cit., pp. 107- 11/ ; Runciman, op. cit., III, pp. 22 - 24.

الثاني الملك الأسمى لمملكة بيت المقدس ، وصمم على الانتقـام من المسلمين ، فأعد قواته لمواجهة الموقف وأشعلت نيران الحرب من جديد بين الطرفين . ففي بداية عام ١٢٠٤ م / ٦٠١ هـ أعد عشرين سفينة حربية بهدف الهجوم على سواحل دمياط . ولكن كان من حسن حظ المسلمين أن هذا الوضع لم يستمر طويلا إذ وصلت الأنباء في ذلك الوقت إلى ملك مملكة بيت المقدس الاسمى تعلن نهب القسطنطينية . وتدميرها على أيدي بني جلدته من اللاتين أثناء الحملة الصليبية الرابعة عليهـا (١) ، وأن الصليبيين المشتركين في الحملة أخـذوا

---

(١) لما فشلت الحملة الصليبية الثالثة أخذ البابا اينوسنت الثالث ١١٩٨ — ١٢١٦م/ ٥٩٥ — ٦١٣ هـ) يدعو من جديد لحملة صليبية رابعة فاستجاب للدعوة عدد كبير من سكان فرنسا وانجلترا وألمانيا ، واجتمعوا في ايطاليا استعدادا للرحيل الى الشرق. واتفق زعماء الحملة مع البندقية لنقل الجنود على سفنها مقابل مبلغ كبير من المال ولكن عند بدء رحيل الحملة لم يستطع زعماؤها جمع المبلغ المتفق عليه فاستغل دوج البندقية هذا التطور واستمال بالحملة للهجوم على مدينة زارا الخارجة عليه والتي كانت تتمتع وقت ذاك بحماية ملك المجر ، وذلك مقابل اعفاء الحمله من دفع رسول نقلها على السفن الي الشرق. ونظراً لسوء الأحوال الداخلية ببيزنطه في ذلك الوقت بسبب النزاع على العرش اضطر الامبراطور الكسيس الرابع الي التجاء الي قواد هذه الحملة حيث أقنعهم بضرورة مساعدته لاعادته الي العرش ووافقت البندقية على هذا لما كان بينها وبين القسطنطينية من مناوشات سياسية وتجارية عنيفة ، ووجدت أن باشتراكها في تأييد هذا الامبراطور سيتيح لها الفرصة للحصول علي امتيازات تجارية جديدة في هذا الميدان . وبذلك تحولت الحملة من مصر والشام وغزت القسطنطينية عام ١٢٠٤ م / ٦٠١ هـ ، وقامت بها منذ ذلك الحين امبراطورية لاتينية خاضعة لنفوذ البندقية ظلت قائمة نحو ستين عاما . ولمزيد من التفصيلات عن هذه الحملة انظر : روبرت كلارى : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ترجمة د. حسن حبشي ص ٣٢ وما بعدها انظر أيضا:

Villehardouin, The Conquest of Constantinople, pp. 3.—4

يتهافتون من أجل تقديم الأسلاب والغنائم و لأراضى البيزنطية فيما بينهم ، ومن أجل ذلك فكر الملك عمورى الثانى فى ضرورة ايقاف الحرب مع المسلمين وتجديد الهدنة مهم خاصة وقد انتهى أجلهما . وفى نفس الوقت شعر الملك العادل بحاجته إلى السلام بعد فترة طويلة من الحرب . ولهذا عقد الطرفان فى سبتمبر ١٢٠٤ م / محرم ٦٠١ هـ معاهدة سلام لمدة ست سنوات بموجبها تنازل الملك العادل للصليبيين عن الجزء الخاص بالمسلمين فى صيدا واللد و لرملة ، كما تخلى عن الناصرة (١) . ومنذ تلك اللحظة لم يعد للمسلمين أية حقوق فى امتلاك هذه المدن التى اصطبغت بالصبغة الصليبية مرة أخرى (٢) . ولكن عندما

---

(١) هى قرية عند بيت المقدس حولها الجبال ، تقع جنوب شرق عكا واليها تنسب طائفة النصارى ، لأن المسيح تقضى فيها معظم حياته وبها المنزل الذى كانت تسكن فيه السيدة مريم ، التى جاء اليها الملاك جبريل وأوحى اليها بميلاد السيد المسيح . وبها أيضا شجرة عجيبة المنظر اذ أن ثمرتها على هيئة النساء ولها ثديان وما يشبه اليدين والرجلين . انظر رحلة بنيامين التطيلى ص ٩٤ ، القزوينى، اثار البلاد واخبار العباد ص ١٨٤ ، الانصارى الدمشقى : نخبة الدهر ص ٢١٢ ، مؤلف مجهول : مراصد الاطلاع جـ ٣٠ ص ١٩٩ ، عبد الغنى النابلسى : الحقيقة والمجاز فى رحلة بلاد الشام ورقة ٦٢، راجع كذلك.

Burckhardt Travels in Syria and Holy Land p. 337; Franklin, Palestine depicted and described p. 171; Michelant Itineraires a Jérusalem et description de La Terre Sainte, p . 104, George, Incidents of Travels in Egypt Arabia Petrea and the Holy Land, p. 112 , Taylor, La Syrie L'Egypt et La Palestine, p 180 , Ency. of Places, p. 509.

(٢) King; the Knights Hospitallers, p. 175 , Muller

وإذ انتهت المدة المحددة للمهادنة عام ١٢١٠ م / ٦٠٧ هـ اتفق كل من الملك العادل والملك حنا دى بريين (١٢١٠ – ١٢٢٥ م / ٦٠٧ – ٦٢٢ هـ) صاحب عكا وملك مملكة بيت المقدس الاسمى على تجديدها للمرة الثالثة اعتباراً من عام ١٢١١ م / ٦٠٨ هـ لمدة ست سنوات أخرى انتهت عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ . ومعنى ذلك أنه في هذا العام عادت صيدا مرة أخرى يتقاسم الحكم فيها المسلمون والصليبيون (١) .

وجدير بالذكر أن المصادر العربية لم تذكر صراحة تنازل الملك العادل عن النصف الخاص بالمسلمين في صيدا إلى الصليبيين ، وانما أشارت إلى ذلك الأمر بصفة عامة إذ ذكرت أن الملك العادل قد تنازل عن حق المسلمين في مناصفات بعض المدن دون تحديد المدن المعنية . فضلا عن أن هذه المصادر لم تحدد مدة الهدنة المنعقدة بين الطرفين ، وانما أشارت إلى أنها كانت لمدة معلومة . ولا يمكن تبرير اغفال المصادر العربية ذكر التفاصيل المتعلقة بهذه الأحداث سوى تجنب اثارة ثائرة العالم الاسلامي وقتها .

وكان باليان بن رينالد قد تولى حكم بارونية صيدا في ذلك الوقت (عام

---

op. cit., p. 23 : Grousset op cit., III, p. 184, Stevenson op. cit., p. 297. Eracles op. cit. II, p. 317, Cf, also : Grousset op. cit., III, p. 19, Muller op. cit., p. 2 .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ١٢ ص ٧٦ ، ابن واصل : مفرج الكروب ج ٣ ص ١٦٢ ، المقريزي : السلوك ج ١ ص ١٦٤ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك – تحقيق حسن الشماع المجلد الخامس القسم الأول ص ٢٠ – ٢٢ .

١٢١٠ م / ٦٠٧ هـ) وكان رجلا عادلا وحكيما ، ذا ذوق رفيع وعلى علم كبير بشئون البلاط الملكي ، وأشتهر بالصبر والمعرفة إلى جانب شجاعته وكرمه (١) . ورغم أن هذه الهدنة المنعقده بين الطرفين الصليبي والاسلامى قد أنتهت عام ١٢١٧ م / ٦١٤ هـ ، إلا أن الصليبيين عز عليهم ترك نصف المدينة للمسلمين بعد أن ظلوا بها طوال الاثنى عشر عام السابقة التي عملوا خلالها على تحسين أحوالها وإقامة كثير من المنشآت فيها . إذا لم تنقطع أغاراتهم عليها . وفي نفس هذه السنة (١٢١٧ م / ٦١٤ هـ) التي أنتهت فيها الهدنة أعدوا جيشاً كبيراً خرجوا به من عكا على رأسه « ملك الهنكر » (٢) ومعه جميع ملوك الساحل الشامي من الصليبيين ، ونزلوا على عين جالوت (٣) . ولما رأى العادل كثرة عددهم أمتنع عن قتالهم خوفاً على قواته . وخشى أن يتعرض للهزيمة وفضل الاتجاه نحو دمشق . أما الفرنج فقد أتجهوا نحو الجولان (٤) ، وأقاموا ثلاثة أيام ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم عادوا ونزلوا تحت الطور (٥) ، وعند ذاك نالوا قسطاً من الراحة بينما قصد ابن أخت الملك

---

(١) Philip de Navare Cf. Assises, de Jerusalèm t. I. p. 570

(٢) ذكرت المصادر العربية ملك الهنكر ولعل المقصود ملك الهنغار وهو في ذلك الوقت أندريه الثاني André II (١٢٠٥ - ١٢٢٠م / ٦٠٢ - ٦٣٣هـ).

(٣) هي بلدة بين نابلس وبيسان ، من أعمال فلسطين ، وفيها حدثت الوقعة المشهورة التي انتصر فيها المسلمون على المغول عام ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م أنظر مراصد الاطلاع ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٤) هي قرية ، وقيل جبل من نواحي دمشق من عمل حوران أنظر مراصد الاطلاع ج ١ ص ٢٧٣ .

(٥) هو جبل على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ ، وبينه وبين عكا مسافة قصيرة . بهذا الموقع الملك المعظم عيسى بن الملك العادل قلعة حصينة أنظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، ج ٣ ص ٥٥٧ .

المنفاري في جماعة من قواته جبل صيدا وقال « لا بد لي من أهل هذا الجبل » وقد نهاه باليان صاحب صيدا الذى كان معه في ذلك الوقت ونصحه بعدم المغامرة لما يعلمه عن أهل هذا الجبل . فهم رجال حرب ، فضلا عن وعورة أراضي هذه المنطقة التى كان المسلمين يعرفون مسالكها ودروبها ولكنه لم يتقبل المشورة وتقدم مع خمسمائة من الفرسان الفرنج وحاولوا الهجوم على الاهالي . ولكن الاهالي تصدوا لهم وهزموهم وتمكنوا من أسر ابن أخت ملك المنفار . وأما من نجا منهم فقد واصل طريقه نحو صيدا . وفي الطريق التقوا برجل من المسلمين طلبوا منه أن يدلهم على أسهل الطرق المؤدية إلى صيدا ، ووعدوه بمبلغ كبير من المال إذا ساعدهم على ذلك . وكان هذا الرجل جاسوسا من قبل المسلمين . إذا حاول أن يضللهم وسلك بهم أودية وعرة وهو يعلم أن المسلمين خلفهم . ولكن الصليبيين أدركوا أنه يخدعهم فقتلوه . وتمكن المسلمون من الهجوم على القوات الصليبية التى كان قد أنهكها التعب وأجهزوا عليها باستثناء ثلاثة تمكنوا الهرب ودخلوا مدينة صيدا (١) .

وعلى الرغم من أن سبط ابن الجوزى قد أشار صراحة إلى موقف باليان صاحب صيدا من خطة ابن أخت ملك المنفار في القضاء على أهالي صيدا « المسلمين » وعدم موافقة باليان على هذه الغزوة ، إلا أنه لم يستكمل حديثه عن صاحب صيدا . فلم يوضح أن كان قد أشترك في هذه الغزوة أم لا . والواضح انه إذا كان له دور في هذه الغزوة الصليبية فلا بد أن يكون ضمن هؤلاء الفرسان الثلاثة الذين نجوا ودخلوا صيدا ، لأنه من الثابت أن حكمه لها

---

(١) سبط ابن الجوزى: مرآة الزمان جـ ٨ ص ٥٨٥ ، ابو شامة: الروضتين جـ ٢ ص ١١١ ، العيني : عقد الجمان جـ ٢٠ ورقة ٥٨٢ — ٥٨٤ .

قد أمتد حتى عام ١٢٢٩ م / ٦٣٢ ﻫ أى بعد مرور أثنين وعشرين عـام على هذه الحادثة .

لم يقتصر دور صاحب صيدا اللاتيني على المشاركة فى المعارك التى دارت رحاهـا بين المسلمين والصليبيين فى بـلاد الشام ، ولم يقتصر دوره أيضا على محاولات أستعادة نفوذه فى صيدا منذأن أستردها المسلمون ، إنما أسهم مساهمة فعالة فى الحملة الصليبية الخامسه التى قادها حنا دى بريين صاحب عكا والملك الاسمى لبيت المقـدس بقصد غزو مصر ، أعتقـاداً من اللاتين الغربيين بـأن الاستيلاء على الديار المصرية سوف يسهل عليهم أستعادة البلاد التى فقدوها فى الشام وأولها بيت المقدس إذا فكر الصليبيون فى الاستيلاء على مصر لانهـا كانت تعتبر مصدر الامدادات القوية من المـال والرجال والميرة والسلاح . فاذا أستولوا عليها سهل عليهم أن يستعيدوا بيت المقدس وغيره من المدن الشامية التى فقدوها . فبعد أن وصلتهم الامدادات الوفيرة من ممالك أوربا المختلفة أبحروا بقيادة جان دى بريين من عكا إلى دمياط فى حمـلة صليبية كبيرة هى الحملة الصليبية الخامسة (٢) . وأشترك فيها باليان صاحب صيدا وكل المدن الخاضعة

---

(٢) بعد أن تولى هونوريوس الثالث كرسي البابوية عام ١٢١٦ م / ٦١٣ ﻫ أراد أن يسير على نهج سلفه البابا اينوسنت الثالث فكتب الى حنا دى بريين فى عـكا يخطوه الى الحملة الصليبية على وشك التقدم الية . ودعا فى ذلك الوقت ملوك أوروبا لحثهم على القيام بحملة صليبية من أجل اعادة الأراضى المقدسة اليهم مرة أخرى . ولما استعدت الحملة سارت الى الشرق وحاصرت دمياط عام ١٢١٨م/ ٦١٥ ﻫ . ويبدو أن روح المنافسة بين زعماء الحملة كانت أحد أسباب فشل هذه الحملة الصليبية ، لأن المندوب البابوى بلاجيوس رأى ضرورة الأنفراد بالقيادة وأصر على عدم تلقى الأوامر من حنا دى بريين فكان مصير الحملة الفشل لشدة مقاومة المسلمين بقيادة الملك الكامل محمد انظر:=

لنفوذ المملكة اللاتينية فى ذاك الوقت . وصل الاسطول الصليبي إلى شواطىء دمياط فى ربيع الأول ٦١٥ هـ / يونيو ١٢١٨ م ونزل بيرها الغربى حيث عسكر هناك . وكان عند مدخل فرع دمياط برج ضخم مشحون بالمقاتلة والسلاسل الحديدية المنيعة تمتد إلى برج المقاتلة المقاتل على شاطىء دمياط لمنع سفن العدو من العبور فى النيل والوصول إلى المدينة . وكان هذا البرج مفتاح دمياط . وكان أستيلاؤهم على هذا البرج قد سهل عليهم أمر الاستيلاء على المدينة فيما بعد (١) . وقد طال الحصار على المدينة بحيث لم تتمكن حاميتها من الصمود مما جعل حاكمها يتفاوض مع باليان صاحب صيدا بصفته مندوبا عن الصليبيين . وأنتهى الأمر بأن تسلم الصليبيون قلعة المدينة ودخلوها فى يونيو ١٢١٩ م / شعبان ٦١٦ هـ (٢) . ويتضح دور باليان صاحب صيدا ومكانته عندما أنابه الفرنج عنهم للتفاوض مع حامية المدينة بعد الحصار الطويل الذى صمدت أمامه وأن كانت قد عانت منه . وكان طبيعيا أن يمتد طمع الفرنج بعد ذاك إلى الاستيلاء على الديار المصرية كلها ، وقدأعتقدوا أنهم بأستيلائهم

Roger of Wendover op. cit. II, p. 21, Eracles, op. cit., II. pp. 326 – 328, 337.

ومن المصادر العربية أنظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ـ ١٢ ص ١٥٠ ، إبن واصل : مفرج الكروب جـ ص ٣٤٨ — ٣٦٠ ، المقريزي : السلوك جـ ١ ص ١٨٨ ، ١٩٨ — ٢٠٣ .

(١) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٤٨ — ٣٤٩ ، العينى : عقد الجمان جـ ٢٠ ورقة ٤٩٤ .

(٢) Eracles op. cit., II, 346; Cf. also : Grousset op. cit., III, p. 228

على دمياط أن يجدوا صعوبة فى مواصلة الطريق إلى القاهرة قلب العالم الاسلامى ومعقله المنيع . وفى ذلك الوقت كانت الرسل مترددة بين المسلمين والفرنج فى تقرير أمر الصلح . وبذل الملك الكامل محمد كل جهده من أجل السلام فعرض على الصليبيين منحهم صيدا وبيت المقدس وعسقلان وطبرية وجبلة واللاذقية وجميع مافتحه السلطان صلاح الدين من مدن الساحل ما عدا الكرك والشوبك ، وذلك مقابل أن يرحلوا عن دمياط وعن الديار المصرية كلها . فلم يرضوا بذلك وطلبوا مبلغا كبيرا من المال عوضا لهم عما فقدوه بالاضافة إلى حصنى الشوبك والكرك ... فرفض الملك الكامل واضطر المسلمون إلى مواصلة القتال (١) ، وتمكنوا من منع وصول الميرة إلى معسكر الاعداء مما أضطرهم فى نهاية الأمر إلى طلب الامان والصلح والرحيل بدون مقابل وأتفق الفريقان بعد هذا على عقد هدنة مداها ثمانية أعوام على أن يطلق كل منهما من عنده من الاسرى . وهكذا رحلت الحملة الصليبية عن مصر نهائيا فى شعبان ٦١٨ هـ / سبتمبر ١٢٢١ م بعد ثلاث سنوات من مقدمهم اليها دون أن تحقق غرضها (٢) .

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج ١٢ ص ١٥١ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ج ٢ ص ١٤٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٧٠٨ — ٧٠٩ ، المقريزى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ٢٠٧ ، العينى : عقد الجمان ج ٢٠ ورقة ٦١ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك المجلد العاشر لوحة ٣١ راجع كذلك :

Eracles op. cit., II, pp. 33 — 3

(٢) ابن ايبك : درر التيجان ورقة ٩٨ ، ابن الوردى تتمة المختصر فى أخبار البشر ج ٢ ص ١٤٣ ، المقريزى . السلوك ج ١ ق ١ ص ٢٠٨ انظر كذلك :

Eracles op. cit., II. p. 359, Cf. also Ludlow op. cit., p. 311.

هكذا كانت صيدا فى الفترة الواقعة ما بين عام ١١٨٧ م / ٥٧٣ هـ وهو تاريخ أسترداد صلاح الدين لها وعام ١٢٢٧ م / ٦٢٤ هـ وهو تاريخ أستيلاء الصليبيين عليها ، تتأرجح بين المسلمين والصليبيين . فتارة تخضع كلية للنفوذ الاسلامي ، وتارة أخرى تخضع للنفوذ الصليبي ، ومرة ثالثة يتقاسم الحكم فيها مناصفة الطرفان الاسلامي والصليبي .. خلال هذه الفترة وقعت كثير من المناوشات والاشتباكات بين الطرفين المتصارعين ، لم تكن بينهما حرب كبيرة شاملة سوى الحملة الخامسة . كذلك عقد العديد من الهدن بينهما . وأن دل هذا على شيء فانما يدل على إعتدال ميزان القوى بين المسلمين والصليبيين بحيث لم يعد بوسع أى منها احراز نصر حاسم على خصمه .

وبالنسبة لوضع صيدا فيما بين نهاية الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢٢١ م / ٦١٨ هـ وعودتها إلى دائرة النفوذ اللاتيني مرة أخرى عام ١٢٢٧ م / ٦٢٤ هـ فقد سكتت المصادر العربية والأجنبية على السواء عن الاشارة اليها . ولعل هـذا يرجع إلى عدم قيام المناوشات الحربية بين الطرفين الاسلامى والصليبي وشعورهما باحترام بنود الهدنة القائمة بينهما فى سبتمبر عـام ١٢٢١ م / شعبان ٦٠٨ هـ لانشغالهـما بشئونها الداخليه . فالصليبيون فى الشام قد ساء موقفهم فى الوقت الذى أنتهت فيه الحملة الصليبية الخامسة على مصر بالفشل ، مما يجعل الأنظار تتجه من جديد نحو البابوية والغرب الاوروبى لارسال حملة صليبية جديدة تعزز مركز الصليبيين فى الشام وتمكنهم من الصمود فى وجه الانحلال الداخلى فى معاقلهم والضغط الاسلامي المتزايد عليهم . هذا فى الوقت الذى كان فيه الغرب الاوروبى يعانى من كثرة الخلافات والمنازعات الداخلية التى بدأت تصرفه عن أرسال مساعدات فعالة إلى الفرنج بالشام . أما بالنسبة إلى المسلمين فى مصر والشام فكانوا فى موقف لا يحسدون عليه ، وكاد الخلاف بين حكامها يقطع أوصال الدولة فضلا

من خطر الخوارزمية الذى بات تهدد كيان الايوبيين[1] . لكل هذا ظل الحكم فى صيدا هادئا خلال هذه الفترة من الزمن . ولم يستتب الامر فيها بصفة نهائية إلا عام ١٢٢٧ م / ٦٢٠ هـ عندما تمكن الصليبيون من الاستيلاء عليها مستغلين فرصة الضعف والتفكك الذين كان يعانى منها المسلمون آنــذاك .

هكذا عادت صيدا مرة أخرى بارونية صليبية كما كانت من قبل برياسة باليان جارنييه . وأستمر الحكم الصليبي بها حوالى خمسة وستون عاما تمكن المسلمون بعدها من القضاء عليها وعلى بقية المعاقل الصليبية الممتدة على طول الساحل الشامى بصفة نهائية ، وكان ذلك سنة ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ وسيكشف الفصلان التاليان عن دور بارونية صيدا وموقفها من الصراع الصليبي الاسلامي خــلال هذه الفترة من الزمن .

---

(١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٣ ص ٩٩٧ — ٩٩٨ .

الفصل الرابع

فترة الحكم الصليبي الثانية لصيدا

(١٢٢٧ - ١٢٦١م / ٦٢٤ - ٦٦٠ هـ)

وقوع صيدا فى أيدى الصليبيين عام ١٢٢٧م / ٦٢٤ هـ - تشييد القلعة البحرية بها - تدعيم نفوذ البارونية أثناء حكم باليان لها - جوليان جارنييه يخلف أباه فى حكم البارونية - هجوم المسلمين على صيدا أثناء وجود الملك لويس التاسع فى الشام (١٢٥٠ - ١٢٥٤م / ٦٤٨ - ٦٥٢ هـ) - تشييد لويس التاسع القلعة البرية بصيدا - تدمير صيدا على أيدى المغول عام ١٢٦٠م / ٦٥٩ هـ، ونتائجه - أثر ذلك على موقف بارونات صيدا من المسلمين - تنازل جوليان آخر بارونات صيدا عن البارونية لجماعة الفرسان الداوية عام ١٢٦١ م / ٦٦٠ هـ، والآثار المترتبة على ذلك

تعرضنا فى الفصول السابقة للمحاولات التى بذلها الصليبيون من أجـــل الأستيلاء على مدينة صيدا إلى أن انتهى الأمر بوقوعها فى أيديهم عام ١١٠٩م / ٥٠٤هـ، وتأسيس بارونية صليبية بها . ثم تحـدثنا عن الأوضاع الداخليـة البارونية وعلاقاتها السياسية بالمسلمين فى الشرق الأدنى حـتى استرداد المسلمين لها بعد موقعة حطين عام ١١٨٧م /٥٨٣هـ ثم تأرجحها بين الطرفين فـيما بين عامى ١١٨٧ و ١٢٢٧م (٥٨٣ – ٦٢٤هـ) ، ونستعـرض فى هذا الفصل الحكم الصليبى الثانى للمدينة اعتبارا من ١٢٢٧م / ٦٢٤هـ وحتى نهاية الوجود الصليبى فى بلاد الشام فى أخريات القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القـرن السابع الهجرى) .

لقد أثارت الهزيمة الفادحة التى منيت بها الحملة الصليبية الخامسة ثائرة البابا هونوريوس الثالث . وأخذ يدعو من جديد هـــو وخليفته البابا جريجورى التاسع (١٢٢٧ – ١٢٤٣م / ٦٢٥ – ٦٣٩هـ) للقيام بحملة صليبية كبيرة لتعويض مافقده الصليبيون وعهد أمر قيادة هذه الحملة المعروفة بالحـملة السـادسة إلى فردريك الثانى امبراطور الدولة الرومانية المقدسة وملك الصقليتين . وضمت عناصر ألمانية وفرنسية وانجليزية واصبحت مستعدة للرحيل فى يوليو ١٢٢٧م رجب ٦٢٤هـ . ولكن فردريك لم يتمكن مـــن الرحيل إلى الشرق فى ذلك الوقت بسبب مرضه ، فضلا عن تباطؤه فى التنفيذ لرغبته الشديدة فى توطيـد مركزه وحكمه فى شمال أيطاليا إلى جانب عوامل واعتبارات أخرى عديدة تتعلق بعلاقته بالبابوية فى روما . لذا أرسل نيابة عنه بعض رجال الحملة عـلى أن يلحق هو بهم بعد فترة . واتجهت الحملة نحو سواحل الشام ووصلت عكا عام ١٢٢٧م / ٦٢٤هـ (١) . وظل رجالها ينتظرون قدوم الامبراطور ، ولـما

(١) Grousset, op. cit., III, p. 278, King, op. cit., p. 203.

تأخر شغلوا أنفسهم بتحصين بعض مدن الساحل . فاتجهوا نحو مدينة صيدا ، وكانت وقتها مناصفة بينهم وبين المسلمين وسورها خراب بموجب المعاهدة المبرمة بين الملك العادل والملك حنا دى ابرلين عام ١٢١٠ م / ٦٠٧ هـ . فعمروا أسوارها وأخرجوا المسلمين من أملاكهم ، وأبعدوهم عن المدينة واستولوا عليها عام ١٢٢٧م/٦٢٤هـ وساعدهم على ذلك قيامهم بتخريب الحصون القريبة منها مثل تبنين وهونين وغيرهما(١) . وتمكن الصليبيون بعد الاستيلاء على مدينة صيدا من تشييد حصن كبير على جزيرة صغيرة تقع عند مدخل المدينة ، وهو ما يعرف اليوم باسم قلعة البحر (٢) . وشرعوا في تشييده في ١١ نوفمبر ١٢٢٧م / ٢ ذى الحجة ٦٢٤هـ وانتهوا منه ٢ مارس ١٢٢٨م/٢ صفر ٦٢٥هـ (٣) ويعتبر هذا الحصن أحد الأعمال الأثرية الهامة المعاصرة لتلك الفترة من الزمن ولا يزال موجودا حتى يومنا هذا . ويقول

---

(١) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ج١٢ ص ٢٢١ ، الحريرى : الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين لوحة ٢٣ ، الذهبى : دول الاسلام ج ٢ ص ١٢٢ ، العينى : عقد الجمان ج ٢١ ورقة ٢٦٣ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ١٠٠٣ راجع كذلك :
Stevenson, op. cit., p. 309, Grousset, op. cit., III, p. 285.

(٢) Müller op. cit, p. 70, Grousset, op. cit. III, p. 288
وراجع أيضا السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا ص ١٣.

(٣) Eracles, op. cit. I, p. 365, Burchard, Description of the Holy Land, Cf Palestine Piligrims Text Society, p. 13, Cf. also : Daussaud, La Syrie, planch, 155, King op. cit., p. 203.

بير كارد أنه شيد على صخرة كبيرة منفصلة فى البحر (١) . وكانت هذه من سمات عصر الحروب الصليبية فى فترته الأخيرة . إذ كان الصليبيون يفضلون تشييد القلاع فى الأماكن البحرية المتمتعة بموقع استراتيجى هام يساعدهم على ضمان سرعة وصول النجدات والامدادات الآتية من أوروبا إلى موانى تلك القلاع بهدف مساعدة الصليبيين الموجودين فى الشرق . وكان اختيارهم يقع دائما على الجزر المجاورة للشاطىء بحيث تكون على أحد الألسنة الأرضية الداخلة فى البحر ليسهل نجدة حامية القلعة عن طريق البر عند الضرورة (٢) .

لقد تأثر الصليبيون فى بنائهم لهذا الحصن بالعمارة الشرقيه التى كانت مزيجا من الفن المعمارى البيزنطى والاسلامى فاستخدموا أبدان أعمدة قديمة من المعتقد أنهم قد أتوا بها من معبد فينيقى قديم ، ثم غرسوها فى عرض بناء الجدران وأدمجوها بين صفوف البناء بحيث لا تظهر من الخارج سوى رؤوسها (٣) . ووصف المؤرخ والمعلم الأثرى رى Rey هذه القلعة وصفا تفصيليا فى كتابه « دراسة عن الآثار المعمارية الحربية لعصر الحروب الصليبية فى سورية وقبرص » قال أنها تبعد عن الساحل بحوالى ثمانين مترا ، وأنه كان يصل بين القلعة والساحل كوبرى قائم على ثلاثة أعمدة ضخمة وينتهى

---

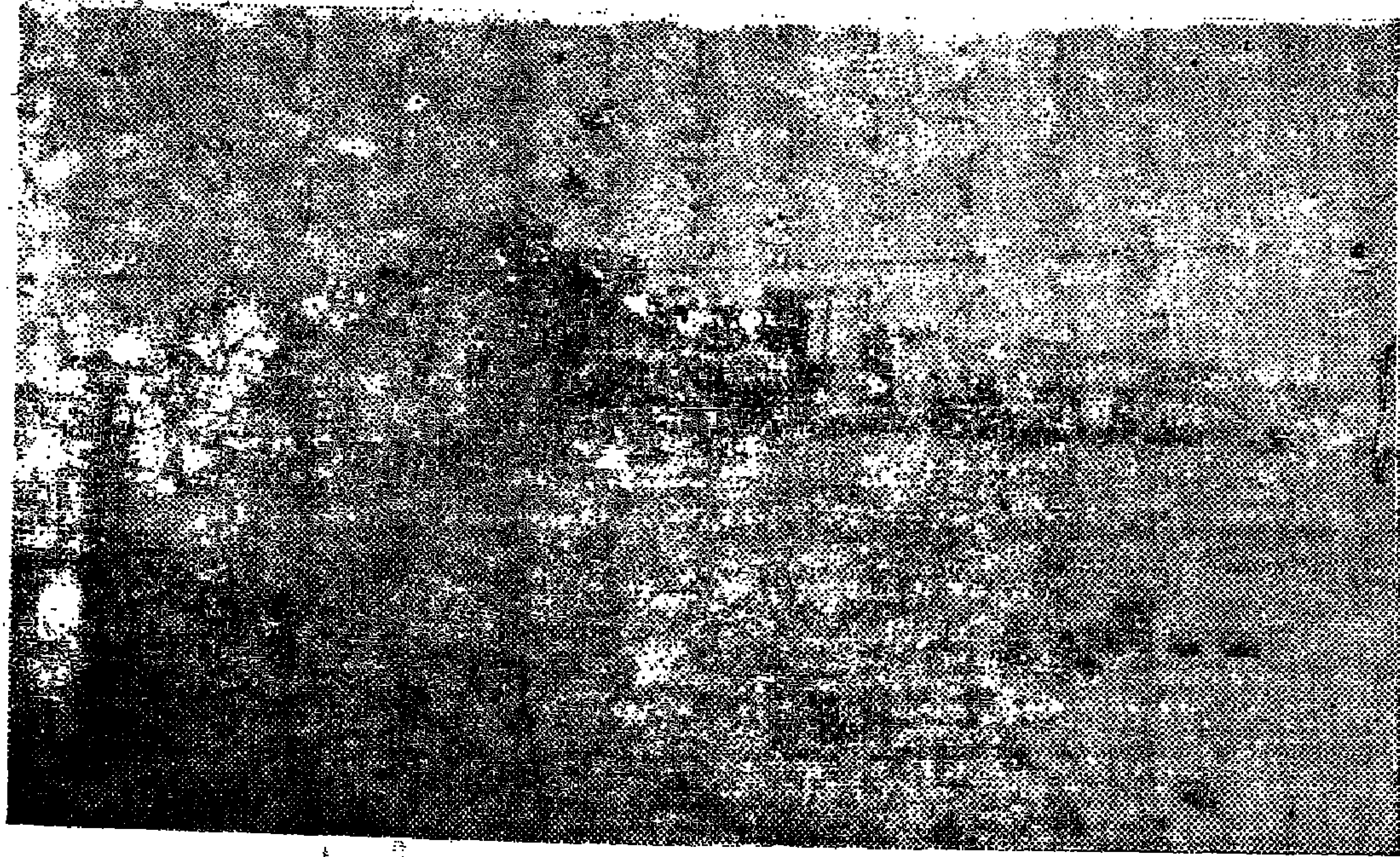
(١) Burchard, op. cit. p. 13.

(٢) Rey, Etude sur les Monumentt de L'arch tecture Militaire des Croise En Syrie, p. 153.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ص ٣٤ ، أنظر أيضا :

Rey, op. cit., p. 157.

لوحة رقم ٢



منظر عام لقلعة البحر مأخوذة من كتاب

Muller, Castles of the Crusaders, pic'ure, ٤7.

على بعد ٣٥ مترا . ويرى هذا المؤرخ أن الجزء المتبقى من الكوبرى ، ويبلغ طوله حوالى ٤٥ مترا ، كان عبارة عن قنطرة خشبية من السهل على حامية القلعة تدميرها فى الوقت المناسب للحيلولة دون تقدم المهاجمين والوصول إلى أسوار القلعة ، وكان بناء الكوبرى على هذا الشكل هو الطراز الوحيد الموجود فى سوريا زمن العصر الصليبى ، وأن فكرة بنائه مقتبسة من ذلك الطراز الموجود فى فرنسا فى ذلك الوقت ، ومن الملاحظ أنه ليس هناك أى تناسب بين طول الكوبرى وعرضه . إذ تعمد الصليبيون أن يكون عرضه ضيقا حتى إذا ما تمكن العدو من اجتيازه لا يتسع إلا لعدد قليل ومحدود . هذا بجانب أنه إذا دمرت إحدى دعائمه لا يتعرض الكوبرى نفسه لأضرار تذكر أثناء ترميمه (١) .

كان الحصن مبنيا من حجارة كبيرة الحجم ، مرصوصة بطريقة هندسية بديعة وكان يتوسط كل حجرين متجاورين قطعة خشبية تربط بينهما ويذكر « رى » أن هذه الطريقة هي المفضلة فى المبانى البحرية وقت ذاك لأن استخدام القطع الحديدية بدلا منها يجعلها تتأثر بالرطوبة وتتعرض للصدأ مما يؤثر على البناء بصفة عامة (٢) . ويوجد بالحصن برجان يجمع بينهما سور كبير . أما البرج الأول «أ» فهو يقع فى الجهة الغربية من القلعة ويتكون من طابقين وواجهته الجنوبية المطلة على مدينة صيدا مدورة الشكل . ويتصل به من الجهة الشمالية برج آخر «ج» مربع الشكل أقيم فى جداره الشمالى عدة منافذ للسهام (٣). ويرى الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن هذا البرج

(١) Rey, Etude op. cit., pp. 151-155.

(٢) Ibid, p. 156

(٣) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا ص ١٤٥ ؛ انظر أيضا: Rey, op. cit., p. 157.

أقيم فى العصر المملوكى الأول ، وأن بناء أضيف إلى القلعـة مستندا فى ذلك على أحد النقوش التاريخية الموجودة على لوحة من الرخام الابيض صغـيرة الحجم مثبتة أعلى أحد نوافذ القلعة ، وتدل على أن هــــذا البرج قد شيد عام ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م (١). أما البرج «ب» فهو مستطيل يبلغ طوله ٢٧ مترا وعرضه ٢٢ مترا ، ويقع فى الجانب الشرقى من القلعة ويتسم بالطابع الصليبى البحت ، ويوجد به خزانات للمياه على ارتفاع ثمانية أمتار فوق سطح البحر ، ويوجد به ايضا مخبأ كبير المحتوى «ز» يمكن الوصول اليه عن طريق ممر وضع قرب نهايته بوابة حديدية (٢). ويتقدم البقاء «ز» بناء آخر «ح» . ويوجد بحذاء الواجهة الشمالية كلها للجزيرة ما بين البرج «ج» والبناء «ح» قاعة «ط» يبلغ طولها ٥٠ مترا (٣) وقد عثر ضمن خرائب القلعـة على مسند وتيجان لبعض الأعمـدة المستعملة فى بناء القاعـة المذكورة ، وهى تتسم بالطابع الفرنسى الذى يرجع إلى عهد الملك لويس التاسع . ويدل هذا على أن القاعة قد أضيف بناءها إلى القلعة أثناء اقامــــة الملك لويس التاسع فى صيدا وقيامه ببعض الانشاءات والتحصينات المعمارية للمدينة بعد هزيمته على ضفاف النيل (٤).

وممـــا يذكر أنه فى الوقت الذى كان فيه الفرنجة يستولون على المعاقل والحصون الإسلامية ويقومون بتحصينها وتعميرهـا مثلما حـدث فى صيدا ، كانت المنازعات والمشاحنات على أشدها داخـل البيت الايوبى . وقـد تركت

---

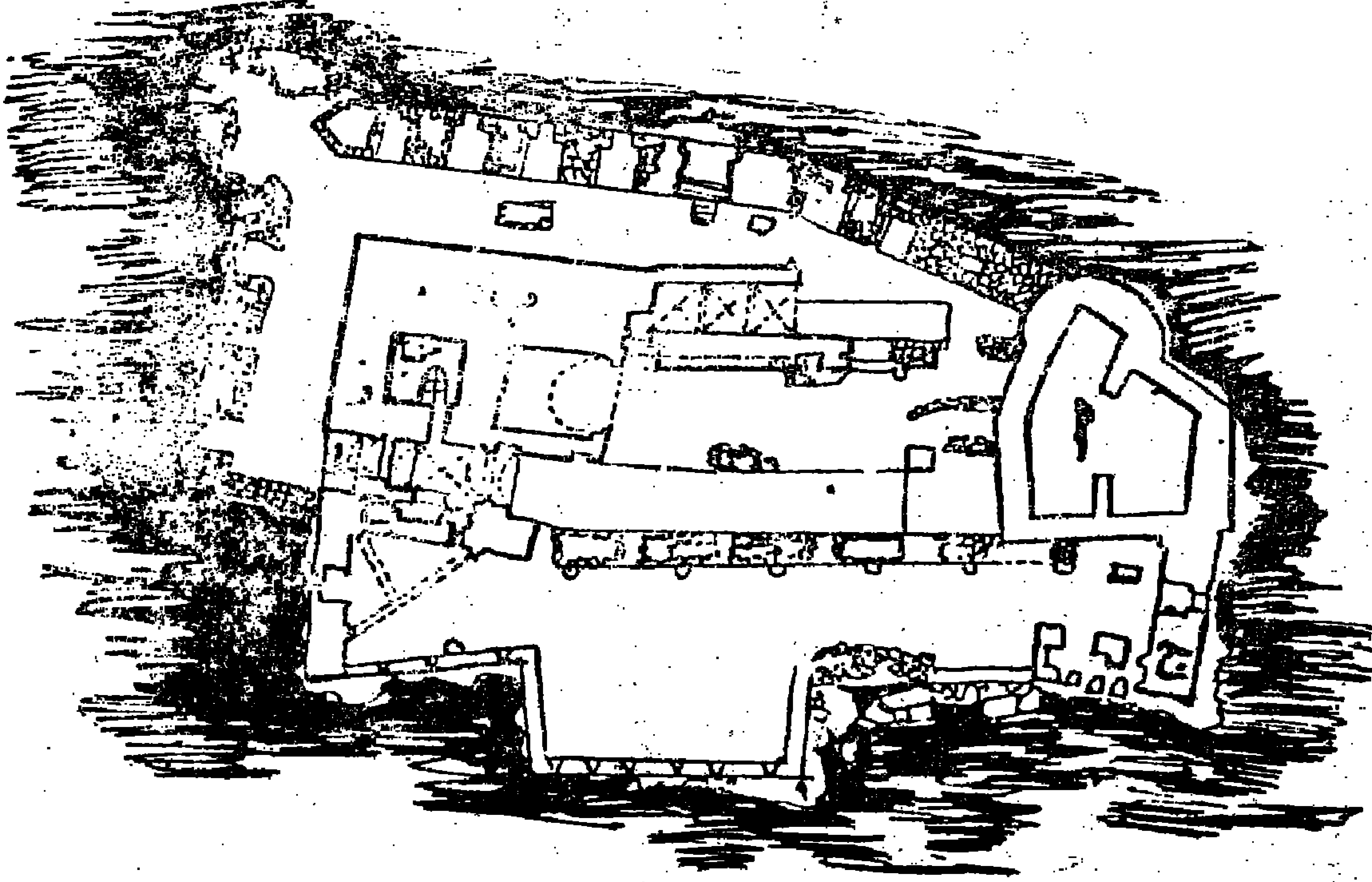
(١) السيد عبد العزيز سالم : دراسه فى تاريخ مدينة صيدا ص ١٤٥ ، ١٧٨ .

(٢) Rey, op cit., p. 158.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجـع السابق ص ١٤٦ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع والصفحة .

لوحة رقم ٣



رسم تخطيطي (قلعة صيدا البحرية)

نقلا عن : دكتور السيد عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا ص ١٨٠

أثرا غير طيب على وحدة الصف الاسلامى وقتها . فالعلاقات سيئة بين الملك المعظم عيسى صاحب دمشق وبين أخويه الملك الكامل محمد فى مصر والملك الاشرف موسى فى اقليم الجزيرة مما جعل الملك المعظم يلجأ إلى التحالف مع جلال الدين منجبرتى ملك الدولة الخوارزمية (١) ضد أخويه . فاشتد جزع الملك الكامل لهذا الموقف وأرسل إلى الامبراطور فردريك الثانى يطلب مساعدته ضد أخيه مقابل منحه بيت المقدس وكل ما استرده صلاح الدين من الصليبيين عقب موقعة حطين بما فيها مدينة صيدا التى كانت تحت حكم المناصفة آنذاك . ومع أن فردريك قد أعرب عن ترحيبه لعرض الكامل إلا أنه لم يبذل له وعودا لأنه كان يفكر فى الرحيل إلى الشرق فى ذلك الوقت (٢). وبالفعل وصل فردريك إلى عكا عام ١٢٢٨م / ٦٠٥هـ بعد أن كان الصليبيون قد استولوا على صيدا وأنهوا عملهم فى بناء قلعة البحر بها . وعندذاك منح باليان جارنييه حكم مدينة صيدا ، وأصبحت بالتالى بارونية صليبية للمرة الثانية (٣).

بدأت بارونية صيدا فى تدعيم علاقاتها بجيرانها المسلمين فى الشرق الأدنى ، وكان صاحبها بمثابة حمامة السلام بين الطرفين الصليبى والاسلامى . فكان باليان مندوبا عن الامبراطور فردريك الثانى لدى الملك الكامل إذ أرسله اليه محملا بالهدايا الكثيرة والثمينة وحمله رسالة شفهية جاء فيها وان الامبراطور يقدم لك التحية والاحترام ، ويود فى أن يعتبرك أخا وصديقا له ، وأنه لم يحضر

---

(١) كانت حدود هذه الدولة تمتد من اذربيجان الى نهر السند.

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ـ المجلد العاشر لوحة ٨٨ راجع ايضا: جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ ص ١١٤ وكذلك:

Grousset, op. cit., III, pp. 306 - 307.

(٣) Eracles, op. cit., II, p. 311.

إلى الشرق طمعا فى تحقيق نصر لشخصه عند طلبه استعادة الأراضى السابق أخذها من الصليبيين لأن امتلاك لكثير من الاراضي فى أوروبا يغنيه عن النظر إلى مثل هذه الأراضى ، وانما كان حضوره بهدف الحج وزيارة قبر المسيح . وأنه يطلب منك اعادة الأماكن المقدسة للمسيحيين حتى يعم السلام بين الصليبيين والمسلمين . وفى نفس الوقت يعتذر الامبراطور عن طلبه هذا . فلولا خوفه على ضياع جاهه وسمعته فى الغرب الأوربى ما كلف السلطان شيئا من ذلك ، وأنه ماله غرض فى القدس أو سواها ، وانما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج » (١) ولما سمع الملك الكامل الرسالة الشفهية المبعوثة اليه من الامبراطور فردريك أعرب عن فرحه وسروره إلى باليان صاحب صيدا وأرسل معه هدايا كثيرة لتوصيلها إلى الامبراطور ووعده بأرسال الرد فى هذا الشأن قريبا . وكان لهذه الرسالة التى بعث بها الامبراطور الألمانى إلى الملك الكامل أثرها السيء فى نفوس مسيحيى أوروبا بصفة عامة والبابوية فى روما بصفة خاصة مما أدى إلى غضب الكنيسة والبابوية عليه (٢) .

وبعد مدة قصيرة استقبل الامبراطور رسولا من قبل الملك الكامل حاملا رسالة تضمنت اعتذاره عن عدم امكانه التنازل عن أى من المدن والأراضى المقدسة التي يطلبها ، لأنه كما توجد بها أماكن مقدسة للصليبيين توجد بها أيضا أماكن مقدسة لها أهمية كبرى عند جميع المسلمين ولايجوز التنازل عنها (٣).

---

(١) «Li Message furent Balian, Seigneur de Saete etc.» Cf. Eracles, op. cit, II, pp. 369 - 370.

(٢) Eracles, op. cit Loc. cit.

(٣) Ibid, p. 371.

وعند ذلك أرسل الامبراطور نيابة عنه باليان صاحب صيدا للمرة الثانية إلى الملك الكامل في فبراير ١٢٢٩م / ربيع الأول ٦٢٦ ﻫ لاستكمال المفاوضات بين الطرفين . وانتهى الأمر بأن عقدت معاهدة صلح لمدة عشر سنوات وخمسة شهور وأربعين يوما تنازل الملك الكامل فيها للصليبيين عن النصف الخاص للمسلمين في صيدا بحث أصبحت ملكا خالصا لهم ، فضلا عن كل الأراضي الموجودة قبالة المدينة ، وذلك بجانب الناصرة وبيت لحم، بينما احتفظ المسلمون فقط بالمسجد الأقصى في القدس (٤). وقد ثار المسلمون ضد الكامل لأنه فرط في حقهم وفي بيت المقدس بصفة خاصة دون حرب أو قتال ، وأصبحت هذه المعاهدة وصمة في جبين البيت الأيوبي بصفة عامة ، والملك الكامل بصفة خاصة (١).

على أية حال وصل فردريك بيت المقدس وتوج ملكا عليه . وحافظ الملكان على المعاهدة محافظة تامة بحيث لم تشهد المنطقة خلالها أي خطر صليبي (٢).

---

(١) أبو شامة : الذيل على الروضتين جـ ٢ لوحة ١٧٠ راجع أيضا:
Eracles of cit., II, p. 374. Cf. also : L' Abbé de ertot, Histoire de L'Ordre des, Chevaliers t. I, p. 379. Grousset op. cit., III. p. 307 : LaMonte, The World of the Middle Ages, p. 504 : Conder, op. cit., p. 313; Jacob de Haas. History of Palestine, p. 272, Runciman, op. cit.. III, p. 187: Stevenson, op. cit., p. 311.

(٢) أبو شامة : الذيل على الروضتين جـ ٢ لوحة ١٧٠ ، المقريزي : السلوك جـ ٢ ص ٢٣٠ .

(٣) جمال الدين الشيال : تاريخ مصر الاسلامية جـ ٢ ص ١١٦ .

وجدير بالذكر، أنه قبل مغادرة فردريك الثانى الأراضى المقدسة عائدا إلى مملكته فى أوروبا ، عين باليان صاحب صيدا نائبا عنه ومندوبا له فى حكم مملكته بيت المقدس بجانب جارنييه الألمانى Garnierd' Alemant (١) وان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى الثقة التامة المتبادلة بين كل من الامبراطور فردريك الثانى وباليان صاحب صيدا . ويؤكد أيضا ما كان يتمتع به باليان من العقل والحكمة وقوة الشخصية ، ماجعله جديرا لشغل هذا المنصب بجانب يحمله مسئولية حكم بارونيته . وهو فوق هذا وذاك يدل على تأكيد المكانة الكبيرة التي كانت تتمتع بهـا البارونية بين سائر الممتلكات الصليبية الصليبية الأخرى طوال حكم باليان جارنييه لها . ويدعم هذا الرأى وجود ثلاث وثائق هامة يرجع تاريخ الأولى منهـا إلى عهد الملك حنـا دى برين ، بينما يرجع تاريخ الوثيقتين الأخريين إلى زمن الامبراطور فريدريك الثانى ، ويتضح منها ثقة كل من الملكين دى برين وفردريك ، فى باليسان ، إذ استعان به كل منهما ليكون فى مقدمة الشهود على تحرير هذه الوثائق وهى كلها تتعلق بالأمور الداخلية لمملكة بيت المقدس

الوثيقة الأولى صادة بتاريخ مارس ١٢١٩م/٦٦١٦ هـ من الملك حنا دى برين إلى هرمان دى سالزا Herman de - alza رئيس جماعة الفرسان التيوتونية(٢).

---

(١) Eracles op cit., II p. 375 , Documents Relatis a La Successibilité au Toron et a La Régence, Cf. Assises de Jérusaleme, t. II, p. 399 , Les Gestes des Chiprois, Cf. R.H.C. Doc· Arm., t. II, p. 684.

(٢) تأسست هذه الجماعة عام ١١٢٨ م /٥٢٢ هـ فى القدس بمعرفة الألمان ، =

تؤكد له فيها أنه اسلم فيه نصف المغانم والاسلاب التي تم الاستيلاء عليها في الحملة الصليبية الخامسة على دمياط (١) . أما الوثيقة الثانية فهي صادرة عن الامبراطور فردريك الثاني في ابريل ١٢٢٩م / جمادى الاولى ٦٢٦هـ وتتضمن موافقة الامبراطور على منح الاراضي والأموال إلى كل من يقدم خدمات جليلة ترفع من شأن المسيحية والصليبيين بصفة عامة ، على أن يكون لمن يتمتع بهذه الهبات أحقية توريثها لذويه (٢). أما بالنسبة للوثيقة الثالثة فهي تتضمن تأكيد الامبراطور فردريك في أكتوبر ١٢٢٩م / ذي الحجة ٦٢٦هـ لأحقية احدى عائلات بيت المقدس في الهبتين الممنوحتين لهما بمعرفة الملك

=الصليبيين ، واتفقت تنظيماتها الى حد كبير مع نظم الداوية والاسبتارية . وكانت هذه الجماعة مقسما فيما بينها الى قساوسة وفرسان وخدم ، ويلبسون الرداء الأبيض ومرسوم عليه في الجهة اليسرى من الصدر صليب أسود. ويعتبر هرمان دى سالزا من أشهر زعمائهم ، وكان له دور كبير في فض النزاع الذي قام بين الامبراطور فردريك الثاني والبابا هونوريوس . ولم تبق هذه الجماعة في الأراضي المقدسة حتى نهاية الاحتلال الصليبي لها . وانما عادت الى ألمانيا . وصلت حتى عام ١١٩٠م / ٥٨٦ هـ دون أن يكون لها نشاط حربي ، ولكن البابا سمح لها في هذا العام بممارسة نشاطها الحربي ولمزيد من التفصيلات انظر:

Lacroix La Chevalerie et les Croisades, pp. 236 - 2?7. Ludlow, op. cit., p. 15? . Margoliuth, Cairo, Jerusalem and Damascus, p. 2?2, Watson, The Story of Jerusalem p. 194.

(١) Quatre Piéces Relatives a L'Ordre Teutonique en Orient CF.A.O.L., II, p. 165.

(٢) Ibid, p. 161.

عمورى الأول عام ١١٧٣م/ ٥٦٩هـ (١).

وعند استعراض هـــذه الوثائق الثلاث يلاحظ تقديم اسم باليان صاحب صيدا فى مقدمــة الشهود المذكورة اسماؤهم عليها بأستثناء الوثيقــة الصادرة من الملك حنا دى برين . فأن اسمـه قد ورد الثانى مباشرة بعد ذكر اسم رادولف Radulphus حاكم بيت المقدس . ويدل هذا على أن المركز الكبير الذى كانت تتمتع به البارونية فى ذلك الوقت كان يحتم ذكر اسم صاحبها فى مقدمة الشهود الاخرين أما بالنسبة لتأخير درج اسمه فى الوثيقة المذكوره فيرجع إلى التقاليد المتبعة فى أولوية ذكر اسم حاكم بيت المقدس فى مقدمة الاسماء الاخرى التى ترد معـــه .

وإلى جانب ما تقدم يلاحظ أنه إذا كان باليان قد انشغل فى توطيد نفوذه داخل بارونيته بخاصة وفى جميع انحاء المملكة اللاتينية بعامة ، فـــلم يؤخره ذلك عن حل مشاكل الامارات الصليبيه الاخرى والوقوف معها ضد أعدائها . وقد حدث أن أغار جماعة من الفرسان الغرباء بقيادة المارشال ريشار Richar على مدينة بيروت وقلعتها ، وكانت تابعة فى ذلك الوقت للصليبيين، واستولوا عليها عام ١٢٣١ — ١٢٣٢ م (٦٢٩ — ٦٣٠هـ) . فأثار ذلك ثائرة كل بارونات المملكة اللاتينية وعلى رأسهم باليان . فتوجه بنفسه نيابة عنهم ، وتلبية لأستنجاد جان دى ابلين Jean d Lbelin صاحب بيروت به . وأخذ يتفاوض مع المارشال ريشار فى ضرورة رحيله عن المدينة . ولما وجد منه الاصرار التام على البقاء اجتمع مع باقى بارونات المملكة وصمموا على ضرورة انقاذ المدينـة

---

(١) Fragment d'un Castulaire de L'Ordro de Saint Lazare en Terre Sainte, Cf. A.O.L., t. II, p. 153.

بأى ثمن . فاستعدوا حربا واتجهوا جميعا بجيوشهم نحو بيروت واضطر المارشال أمام هذه التجمعات الصليبية إلى الرضوخ لطلبات باليان ، وترك المدينة ورحل مع فرسانه إلى صور ومنها إلى قبرص (١).

وفى تفسير الدافع الذى جعل باليان يتزعم هذه الحركة ثمة احتمالين لاثالث لهما . أولهما خوفه الشديد من تعرض بارونيته لمثل ما أصاب بيروت فتكون واقعة بيروت سابقة لاحداث أخرى مماثلة ويكون ذلك بداية تغلغل خطر لهؤلاء الفرسان أو لغيرهم فى المنطقة مما يهدد المدن الصليبية الاخرى . أما الإحتمال الثانى فهو استنجاد صاحب بيروت به ، فوجد فى ذلك فرصة لاثبات وجوده وكيد تدعيم نفوذ البارونية بين سائر المدن الصليبية الاخرى حتى يكون دائما فى المقدمة . وبالفعل نجح باليان فى تحقيق مآربه.

لكل ما سبق كانت صيدا احدى بارونيات المملكة اللاتينية التى بقيت حتى تلك اللحظة تتمتع بمكانة كبيرة ومركز مرموق فى ظل حكم بارونها باليان جارنييه .

وإلى جانب الدور الكبير الذى قامت به صيدا فيما يتعلق بعلاقاتها مع المسلمين فى الشرق الأدنى فى عهد باليان ، ساهمت أيضا بنصيب وافر من قواتها فى الغزوة التى شنها الصليبيون على المسلمين فى غزة عام ١٢٣٩ م/٦٣٢هـ . وتفصيل ذلك أنه وصل إلى عكا فى اكتوبر من نفس العام جماعة من الصليبيين الفرنسيين برئاسة كونت شامبانيا وملك نافار ، واجتمعوا مع باليان صاحب صيدا وغيره من بارونات المملكة الصليبية وقرروا اتخاذ خطوة يجبرون فيها المسلمين

---

(١) Eracles op. cit.; II, pp. 389 – 395

على التخلي لهم عن مدينة القدس ، وذلك بأن يستولوا على إحدى المدن المصرية .
وانتهى الرأي بعد نقاش حاد على محاصرة عسقلان ثم التوجه إلى دمشق .
ولما علم كل من الملك العادل الثاني صاحب مصر والملك الصالح اسماعيل صاحب
دمشق بنية الصليبيين في غزو المدينة توحدت جهودهما واستعدا للقائهم (١).
وتحركت القوات الصليبية نحو هدفها ، واسند إلى باليان صاحب صيدا قيادة
احدى الفرق المشتركة في هذه الغزوة . وفي الطريق علموا بوجود قوات
المسلمين عند غزة ، فاتجه باليان وفرقته نحوها بهدف الانقضاض عليها .
ويرى المؤرخ الفرنسي رينيه جروسيه أن أقدام باليان وفرقته التي لاتتجاوز
عدد أفرادها عن أربعمائة فارس بعوزهم النظام والتنسيق أمام قوات المسلمين،
على عبور هذه المنطقة ، انما يعد ضربا من الجنون لذا فعندما وصل الصليبيون
إلى وادي غزه أصبحوا مكشوفين أمام المسلمين وأحسوا بسوء موقفهم ؛
ولم تكن لديهم الفرصة الكافية للانسحاب . إذ هجم المسلمون عليهم وقتلوا
الكثيرين منهم، وتمكن باليان صاحب صيدا وبعض قواته من الهرب والعودة
إلى صيدا (٢). وكانت هذه هي الغزوة الاخيرة التي اشترك فيها باليان بقواته
ضد المسلمين . إذ وافته المنية في نفس هذا العام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ ، وخلفه في
حكم بارونية صيدا ابنه جوليان Julien وهو آخر بارونات صيدا
والشقيف (٣).

(١) Eracles op. cit., II, p. 413.

(٢) Eracle op. cit. loc. cit. Les Gestes des Chiprois Cf. R.H.C. Doc. Arm., t. II p. 725; Cf. also: Grousset, op. cit., III, pp. 378 – 380.

(٣) Le Gestes de op. cit. Loc. cit. p. 727

وكان جوليان فارسا شجاعا ، ثقيل الوزن مفتول العضلات . ورغم ذلك لم يكن حكيما في تصرفاته وتعامله مع الآخرين . وكان مشهورا بحبه الشديد للنساء والمقامرة مما أدي إلى كثرة خسائره وتراكم الديون عليه . وكان هذا من الإسباب التى جعلته آخر الأمر يتنازل عن حكم البارونية إلى جماعة الفرسان الداوية سدادا للديون المتراكمة عليه قبلهم كما سيتضح فيما بعد (١) وعلى أية حال ، في نفس العام الذى تولى فيه جوليان حكم بارونية صيدا ، وهو عام ١٢٣٩م/٦٣٧هـ ، كانت المعاهدة المبرمة بين الصليبيين والمسلمين قد انتهى أجلها وعاد الحكم في صيدا مرة أخرى مناصفة بين الطرفين. ولكن لم يستتب الامر على هذا الحال . فسرعان ما عاد الحكم الصليبي إلى المدينة مرة أخرى عام ١٢٤٠م / ٦٣٨هـ بسبب تنازل الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق إلى الصليبيين عن النصف الخاص بالمسلمين فيها . ولعل ذلك بسبب ما كان يعاني منه المسلمون من التفكك وكثرة المنازعات بين حكامه فبعد أن توفى الملك الكامل محمد عام ١٢٣٨م / ٦٣٥هـ خلفه على عرش مصر ابنه العادل الثانى ، ولكن تمكن اخاه الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ - ١٢٤٩م / ٦٣٧ - ٦٤٧هـ) من التخلص منه وجعل نفسه سلطانا على مصر ودمشق مما أثار ثائرة الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق الذى تمكن من اعلان سيادته عليها . ولكن لما شعر بعدم قدرته في الدفاع عن المدينة ضد أطماع الصالح نجم الدين أيوب، لجأ إلى الصليبيين للتحالف معهم ومعاضدته في منع وصول القوات المصرية إلى الاراضى السورية والدفاع عن حدود مملكة دمشق مقابل التخلى لهم عن بعض المواقع الخاضعة لسلطانه مثل بيت المقدس والنصف الخاص للمسلمين

(١) Les Gestes des Chiprois Cf. R.H.C. - Doc. Arm., t. II, p. 775; Cf. also : Grousset, op. cit., III, pp. 594-595.

في صيدا بجانب قلعة صفد وطبريه وسائر البلاد الساحلية ، فضلا عن السماح لهم بدخول دمشق وابتياع السلاح من هناك . وقد رحب الصليبيون بهذا العرض إذ وجدوا فيه فرصة لا تعوض بالعمل على زيادة الوقيعة بين المسلمين في المنطقة ، فتزداد الهوة اتساعا بينهم مما يعود عليهم بالنفع والفائدة . وليس أدل على ذلك من تلك الوعود التي بذلها لهم صاحب دمشق مقابل انضمامهم اليه في صراعه ضد حاكم مصر . ولكن ثارت ثائرة المسلمين ضد الصالح اسماعيل وتوقف الدعاء له على منابر دمشق(١) . وزاد الطين بلة أنه وافق أيضا على منح حصن شقيف أرنون إلى جوليان صاحب صيدا ، وأرسل معه بعض جنوده لمساعدته على استلامه الحصن . ولكن ما أن علم الاهالي بذلك حتى رفضوا الاستسلام واتهموا الصالح اسماعيل بالخيانة وأغلقوا أبواب الحصن في وجه القادمين . ولما سمع الملك الصالح بذلك الأمر جمع قواته وتوجه بنفسه ناحية الحصن وحاول اقتحامه ، ولكنه واجه مقاومة عنيفة من الاهالي مما اضطره إلى احضار أدوات الحصار من دمشق مع طلب المزيد من جنوده للاشتراك في عملية الحصار . واضطر الإهالي في نهاية الأمر إلى الاستسلام وفتحوا أبواب الحصن ودخله الملك الصالح مع جنوده واستولى عليه وأعدم عددا كثيرا من الإهالي وقام بتسليم الحصن إلى جوليان صاحب صيدا . ولم

---

(١) النويرى : نهاية الارب ج ٢٧ لوحة ١٧٦ ، ابن ايبك : كنز الدرر ج ٧ لوحة ٣٨٢ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٨٦ ، ابن دقماق : نزهة الأنام لوحة ٤٩ . راجع أيضا :

Les Gestes des Chiprois, op cit. II, p. 727 Cf. also: Hitti, Lebanon in History, p. 304, Grousset, op. cit., III, pp 386-388

يكتفوا الملك الصالح بذلك وانما مد جوليان بالمؤن المطلوبة وفضلا عن أنه خصص حامية أسلامية كبيرة لتكون في خدمة البارون الدفاع عن الحصن (١) وبذلك تكون الامور قد عادت إلى طبيعتها مرة أخرى الى بارونية صيدا وأصبحت تضم الى ممتلكاتها حصن الشقيف ليكون بمثابة خط الدفاع الأول » الذي يحمي مدينة صيدا ضد هجمات المسلمين .

ومما لا شك فيه أنه بموجب هذه الاتفاقية المبرمة بين الملك الصالح أسماعيل صاحب دمشق والصليبيين أصبح هناك شبه تحالف بين الطرفين للوقوف ضد أطماع الملك الصالح نجم الدين أيوب في جمادى الأولى عام ٦٤٢ هـ / نوفمبر ١٢٤٤ م أستعان صاحب دمشق ومعه الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص بالصليبيين لمساعدتها ضد قوات المصريين المتحالفين مع جيش الدولة الخوارزمية مقابل وعدهم بجزء من أرض مصر اذا ما أستولوا عليها . وأبدى الصليبيون موافقتهم على ذلك . وأعدوا العدة لهذا اللقاء المنتظر ، وجندوا كل فارس وراجل لخدمة الملك الصالح أسماعيل . واجتمعت القوات الصليبية مع قوات صاحبي دمشق وحمص حيث تلاقت بظاهر غزة مع جيش المصريين والخوارزمية . واقتتلوا قتالا شديدا ولكنهم أنهزموا شر هزيمة وأنتصرت قوات الملك الصالح نجم الدين أيوب وقتل من الفرنج في هذه المعركة أكثر

---

(١) Rothelin Cf. R.H.C - H. Occ., t. II, pp. 552 - 553.
Cf. also: Rey, op cit. pp. 137 - 138

انظر أيضا الملحق الثالث والمتضمن النص الأصلي الخاص بتسليم الملك الصالح اسماعيل حصن شقيف أرنون الى جوليان صاحب صيدا عام ١٢٤٠م / ٦٣٨هـ .

عن ثلاثين ألف شخص وأسر جماعة من أمرائهم وأساقفهم وقسوسهم، كما قتل الكثير من عسكر دمشق وحمص (١) .

واذا كانت المصادر الأجنبية والعربية المعاصرة والمتأخرة زمنيا عن هذه الفترة لم تشر صراحة الى اشتراك جوليـــان صاحب صيدا مع قواته في هذه المعركة ، الا أنه يرجح أن بارونية صيدا كان لها دور فعال في مساعدة الجيش الصليبي وعسكر الشام في هـذه المعركة ؛ لأنـه ليس من المعقول أن يكون جوليان مدينا بالعرفان بالجميل للملك الصالح أسماعيل لتنازله له عن حق المسلمين في نصف صيـدا وفي حصن شقيف أرنون ، ثم يتأخر عن مساعدته ضد المصريين ، أستجابة لطلبه . يضاف الى ما تقدم أن العبارة التي ذكرها المؤرخون حول خروج الفرنج واشتراكهم في هذه المعركة « بالفارس والراجل » تدل صراحـة على اشتراك كل صليبي قادر على القتال من شتى الممتلكات الصليبية ، خاصة وان عدد القتلى من الصليبيين بصرف النظر عن مدى المبالغة فيه ، يدل على أشتراك معظم افرنج الساحل بما فيهم قوات صيدا بطبيعة الحال . واذا أضفنا الى كل ما تقدم أن المصادر العربية كانت تشير الى اللاتين الغربيين عادة بكلمـة « الفرنـج » أو « الفرنجـة » بصرف النظر عن جنسياتهم وطوائفهم وفئاتهم ، يصبح اشتراك بارونية صيدا مع سائر الصليبيين المتحالفين مع الملك الصالح أسماعيل ، وهي التي كان لها دائما دور بارز في العلاقات مع جيرانها المسلمين ، سلما أم حربا ، أمر أقرب ما يكون الى الصحة والواقع .

هـذا هو حال العلاقات بين بارونية صيدا وجيرانها المسلمين في الشرق

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٣ لوحة ١٩٢ ، ابن دقماق : نزهة الأنام في تاريخ الاسلام لوحة ٦٨ ، العيني : عقد الجمان جـ ٢١ ورقة ٤٨٩ - ٤٩٠ .

الأدنى خلال الفترة موضوع البحث ، علاقات تتسم أحيانا بالعداء والمناوشات والمنازعات الحربية ، أحيانا أخرى يسودها الود والتقارب والصفاء أو التحالف مع فريق آخر حسبما تمليه عليها مصالحها الخاصة .

مهما كان الأمر ، فقد ظلت صيدا خاضعة للنفوذ الصليبي منذ ذلك الوقت حتى عام ١٢٥٠م / ٦٤٧ هـ ، اذ تمكن المسلمون من انتزاعها مرة أخرى من أيدي الصليبيين مستغلين في ذلك فرصة انشغال القديس لويس التاسع في حصار دمياط والاستيلاء عليها آنذاك (١) ، فهب أهالي دمشق واجتمعت قواتهم وقصدوا صيدا وتمكنوا من الاستيلاء عليها . وساعدهم على ذلك تهدم أسوارها ولكن يبدو أن الأمر لم يستتب على هذا الحال ، فسرعان ما تمكن الصليبيون من استعادتها بعد أن تم أطلاق سراح الملك لويس التاسع من الاسر (٢) ،

---

(١) تمكن الملك الصالح نجم الدين أيوب من الاستيلاء على بيت المقدس عام ٦٤١ هـ / ١٢٤٤ م ، ومن أيدى الصليبيين ، وقد أثار ذلك ثائرة البابوية في روما وبدأ البابا اينوسنت الرابع يدعو الى حملة صليبية سابعة ، وكان أكبر المتحمسين لها الملك لويس التاسع ملك فرنسا . وبالفعل خرجت الحملة من فرنسا بقيادته ووصلت الى الشواطىء المصرية وحاصرت دمياط في يونيو ١٢٤٩ م / صفر ٦٤٧ هـ ، واستولت عليها . وبعد ذلك زحف الصليبيون نحو المنصورة وعسكروا شمال بحر أشموم طناح وهو الحاجز بين معسكرهم ومعسكر المسلمين ولكن المسلمين تمكنوا من الانتصار عليهم وأسروا الملك لويس ولما افتدى نفسه رحل عنها مهزوما الى عكا في مايو ١٢٥٠م / صفر ٦٤٨ هـ . ولمزيد من التفصيلات انظر المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٣٠٤ - ٣٦١ ، جوزيف نسيم يوسف بالعدوان الصليبي على مصر ٥٥ ومابعدها .

(٢) المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٢ ص ٣٣٧ وراجع أيضا :
Michaud, History of the Crusades, t II p. 392,
Grousset op. cit. III, p. 494.

حيث توجه الى بلاد الشام وبقي هناك أربع سنوات كاملة (١٢٥٠ - ١٢٥٤ م ٦٤٨ — ٦٥٢ هـ) حاول خلالها بشتى الطرق والوسائل أثارة حملة جديدة ضد المسلمين . ولما أخفق في ذلك أشغل وجوده في الشام بتحصين المدن والمعاقل التي كانت لا تزال بأيدي الفرنج مثل يافا وقيسارية وعكا بالاضافة الى صيدا(١) . فبعد أن أنهى تحصيناته في يافا أرسل الى صيدا كثيرا من الايدي العاملة وأمرهم بالبدء في تحصين أسوارها ، وكان ذلك عام ١٢٥٣ م / ٦٥١ هـ ، وكان جوليان بن باليان هو المتولي أمرها في ذلك الوقت (٢) . ولما ترامى الى سمع المسلمين ما يفعله الصليبيون في صيدا تقدموا نحوها في يونيو عام ١٢٥٣ م / ربيع الثاني ٦٥١ هـ محاولين أقتحامها ، وعندما علم اللورد سيمون دي مونت بليارد Simon de Monte Beliarde رئيس فرقة رماة السهام الملكية وقائد قوات الملك لويس في صيدا بهجوم المسلمين، أنسحب هو ومن معه من القوات الى قلعة البحر لحسن موقعها وشدة مناعتها ، اذ أدرك عدم وجود القوة الكافية التي تمكنه من مقاومة المسلمين . ولكن القلعة لم تحتمل سوى عددا قليلا من القوات الصليبية لصغر حجمها (٣) . فأضطر البعض المتبقي منهم

---

(١) Michels, Précis de Histoire du Moyen age,, p. 186, Hitti, History of the Arabs, p. 656, Calthrop, The Crusades, p. 78, Ency. Brit. t. XX, p. 818, Muller, op. cit., p. 26, Archer, op. cit. p. 410, Lammense op. cit., p. 230.

(٢) Annalles de Terre Sainte, Cf. A.O.L. t. II, p. 44

(٣) مذكرات جوانفيل — ترجمة د. حسن حبشي ص ٢٤٢ ، جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على الشام ص ٢٠٦ راجع أيضا : Rey, op. cit ; p. 158.

أن يلتزم أماكنه فى صيدا للدفاع عنها . ولما هاجم المسلمون المدينة لم يجدوا صعوبة فى إقتحامها وقتلوا اكثر من ألف رجل صليبى سواء من العمال الذين كانوا يقومون بعمل التحصينات اللازمة للمدينة ، أو من السكان المرابطين بها . ثم رحلوا بعد ذلك الى دمشق ومعهم عدد كبير من الاسرى فضلا عن كثيرا من الغنائم والاسلاب (١) .

ولما وصلت الأنباء الى القديس لويس ، وكان مقيما فى يافا آنذاك أسرع على رأس قواته واتجه نحو صيدا وأمر بدفن جثث القتلى فى الحال . وأشترك بنفسه فى حمل القتلى ودفنهم . وبعد أن انتهى من هذا العمل . أمر بإحضار العمال من جميع النواحى وصمم على اعادة ترميم المدينة وتعزيزا أستحكاماتها وحشد لذلك مئات العمال وأحاط صيدا ذاتها بأسوار عالية وأبراج ضخمة وخنادق عميقة الأمر الذى أثار دهشة المسلمين ، لأنه أنفق أموالا طائلة على هذه الترميمات (٢) . ولم يمكث فى مدينة صيدا وانما غادرها بعد شهر متجهاً نحو صور ومنها إلى عكا وفى ابريل عام ١٢٥٤ م / ربيع الأول ٦٥٢ هـ أبحر عائدا الى فرنسا (٣) :

---

(١) مذكرات جوانفيل — ترجمة د. حسن حبشى ص ٢٤٣ راجع كذلك:
Eracles, op. cit, II, p. 340, Cf. also : Daussaud. La Syrie Antique et Médiévale Illustrée, planch, 165, King op. cit., p 251.

(٢) Guillaume de Nangis Cf.R H.F-H. t. ..X, p. 834.
راجع كذلك مذكرات جوانفيل — ترجمة د. حسن حبشى ص ٢٦٥ ، جوزيف نسيم : العدوان الصليبى على الشام ص ٢٢١ .

(٣) مذكرات جوانفيل — ترجمة د. حسن حبشى ص ٢٦٥ انظر أيضا:
Stevenson op. cit, p. 331.

لقد كان اهتمام لويس التاسع بصيدا فوق اهتمامه بالمدن والمعاقل الصليبية الاخرى فأثناء اقامته فى الشام أمر ببنـاء قلعة ضخمة البنيان فى المدينة نسب أسمها اليه عرفت باسم قلعة لويس أو قلعة المعزة Al Mazzah (١) . وهى تقع فى الطرف الجنوبى من المدينة . وقد فقدت هذه القلعة عناصرها الصليبية القديمة بسبب تدمير القسم الاكبر منها ، فضلا عن التجديـدات التى طرأت عليها منذ أن دمرها المسلمون عندما أستولوا على مدينة صيدا بصفة نهائية عام ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ ، ولعل سبب التدمير هو أن القلعة قد بنيت بناء سريعا وبطريقة غير متقنة ، وأستخدمت فى بنائها قطع من الاحجار الصغيرة غير المنتظمة (٢) . ولم يتبق من القلعة إلا البرج وبعض أجزاء منفصلة من القلعة أما السور فقد أختفى تمامـــا (٣) .

ويتخذ سور القلعة شكل قوس نصف دائرى يطل بقطره الى جهة المدينة ، بينما يتجه وجه القوس الدائرى نحو الجنوب . ويوجد فى الواجهة برج متوسط البناء « أ » يبلغ طوله ١٧ مترا وعرضه ١٤ مترا . ويتجاوز فى بروزه الواجهة بنحو مترين من بناء أصم لا يتخلله منافذ للسهام أو أى نوع من الفتحات . ويحمى الجدارين الشمالى والشرقى منافذ للسهام ب ، ج ، د (٤) .

Hitti, Lebanon in History p. 304. Thomas, Early Travels (١) in Palestine, p. 20.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاســلامى ص ٤٧ ، ١ .

(٣) Muller op.cit., p. 70.

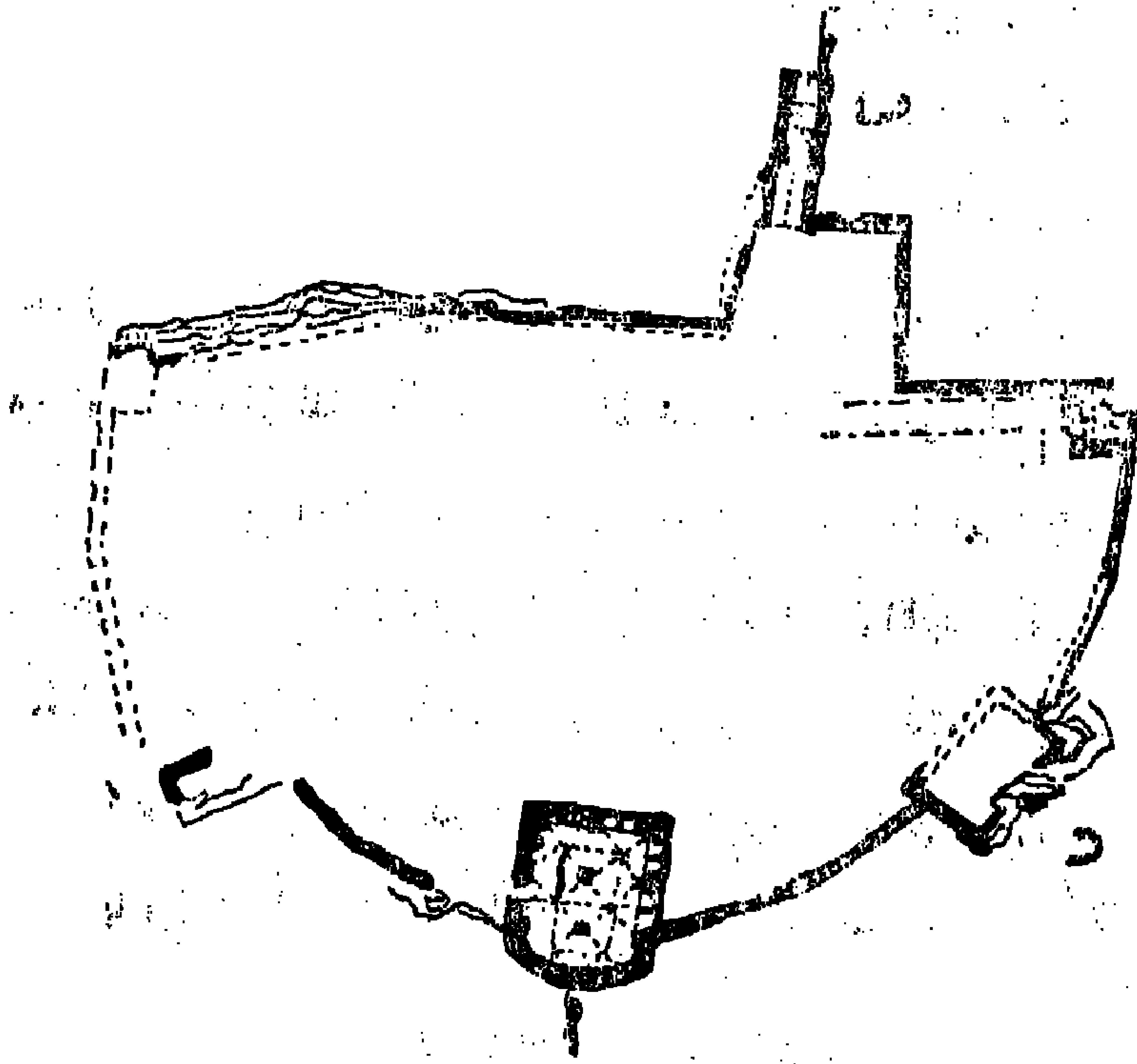
(٤) السيد عبد العـــزيز سالم : نفس المرجع والصفحة .

وكان لهذه القلعة بجانب القلعة البحرية المعروفة الفضل الكبير فى أنقاذ كثير من الصليبيين من الغارة المغولية المدمرة التى اجتاحت صيدا عام ١٢٦٠ م / ٦٥٩ هـ وفق ما ستكشف عنه الاحداث فيما بعد .

هكذا بلغ أهتمام لويس التاسع بمدينة صيدا بالذات ، بحيث انه جعلها منيعة لا ترام ، الأمر الذي ساعد على صمودها أمام ضربات المسلمين المتلاحقة قرابة نصف قرن بعد مغادرته الشام عائدا إلى بلاده ويمكن القول دون مبالغة أنه لولا تلك التعزيزات والتحصينات التى أقامها الملك الفرنسى فى المدن والمعاقل التى كانت لا تزال بأيدى الفرنج ، وعلى رأسها مدينة صيدا ، لسقطت كلها مبكرا فى قبضة المسلمين . ولكن هذه التعزيزات والتحصينات أجلت سقوطها قرابة نصف قرن من الزمان .

على أية حال ، بعد أن رحل الملك لويس التاسع عن الشام ظلت صيدا تتمتع بالهدوء النسبى فى ظل الحكم الصليبى لها . فلم تشر المصادر والمراجع ، العربية منها والاجنبية الى أية مناوشات أو محاولات من قبل المسلمين بقصد اعادة الاستيلاء عليها . ولكن يبدو أن هذا الهدوء الذى يسبق العاصفة ، إذ لم يستمر طويلا بسبب ظهور قوة كبيرة خطيرة على مسرح الأحداث فى ذلك الوقت ونعنى بها المغول . فالمعروف أنه خلال تلك الفترة من الزمن بذلت محاولات عديدة لإيجاد كتلة لاتينية مغولية تقف فى وجه المسلمين فى الشرق . ولكن شاءت الاقدار أن تحول دون قيام هذا الوفاق بين الطرفين بسبب ما أرتكبه جوليان بارون صيدا من حماقة أساءت إلى المغول . وذلك أنه أستغل استراتيجية موقع حصن شقيف أرنون واخذ يقوم منه مع قواته بغزوات السلب والنهب فى منطقة مرج عيون التى كانت تضم قرى إسلامية خاضعة للمغول . وأصبح هذا الاعتداء موجها لمملكة المغول ذاتها . فلما علم قائد جيوش المغول كتبغا

لوحة رقم (٤)



رسم تخطيطى لقلعـــه صيـــدا البرية

نقلا عن : د. السيد عبدالعزيز سالم : دراسة فى تاريخ صيدا فى العصر الاسلامى ص ١٧٩

بأمر هذه الوقعة انتابه الغيظ والفزع ، وامر بأعداد جيش صغير بقيادة صهره وارساله الى صيدا لالزام صاحبها باعادة كل ما أستولى عليه وتأنيبه بعدم تكرار هذا فى المستقبل . ولما علم جوليان بقرب وصول الحملة ، كمن لهـا وتمكن من الانقاض على قواتها وقتل صهر كتبغا (١) . وعندما بلغت الانبـاء القائد المغولى اقسم بالانتقام ، وجمع جيشه واتجه نحو صيدا وشن عليها غارة وحشية وحاول جوليان المقاومة فسد باب المـدينة لاعاقة دخول المغول . وعمل فى نفس الوقت على اخفاء بعض سكان المدينة معه فى قلعة البر ، بينـما فر البعض الآخر ممن لم تتسع القلعة لإيوائهم وتمكنوا من الهجوء إلى القلعة البحرية بمساعدة سفينتين للجنوية قدمتا من صور في ذلك الوقت . ولم تتمكن خيـالة المغول من الوصول الى هذه القلعة ، فأضطروا الى تدميرا سوارالمدينةوخربوا عمرانها ولم يتركوها الا بعد ان تأكدوا انها انقاضا وخرائب (٢) .

ولا شك ، انه بعد هذه الواقعة لم يعد هناك اىامل فى التقارب والتحالف

(٢) Eracles, op. cit., II, p. 444, Hayton, La Flor des Esteires de Terre d'Orient. Cf. R.H.C. - Doc. Arm, t. II- p. 174, Cf. also : Runciman. op. cit., III, pp. 308 - 309, Guillaume op. cit., III, pp 595 - 596.

(٤) Eracles, op. cit, Loc. cit Hayton, op cit., II, les Gestes des Chiprois op. cit., II, p. 751, Cf. also : Grousset, op. cit., III, p. 598, Muller, op. cit. p. 70, Stevenson, op. cit., p. 303 .

ومن المصادر العربية انظر ابن العديم: زبد الحلب جـ ٢ لوحة ٢٢٨ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين جـ ٢ لوحة ٢٢٨ . وراجـع أيضا الملحق الرابـع من هذا الـكتاب والمتضمن النص الأصلى الخاص بهجوم المغول على مدينة صيد عام ١٢٦٠م/٦٥٩هـ.

بين المغول والصليبيين . وكان ذلك بمثابة كسب كبير للمسلمين . إذ أتيحت لهم الفرصة لمقابلة كل طرف على حدة بحيث يتسنى لهم القضاء عليها فى سهولة ويسر . وكان لهذه الواقعة أيضا أثر كبير فى تغير موقف بارونات المملكة اللاتينية بصفة عامة ، وبارون صيدا بصفة خاصة ، تجاه المسلمين ، بحيث أصبحوا على أتم الاستعداد لمديد العون لهم للوقف معا ضد المغول انتقاما لما فعلوه بمدينة صيدا . وقد أتضح ذلك بصورة جلية عندما قرر سيف الدين قطز مالك مصر (٦٥٩ — ٦٦٠ هـ / ١٢٦٠ — ١٢٦١ م) السير بمحاذاة الساحل الفلسطيني والمضى داخل البلاد إلى أقصى الشمال لتهديد مواصلات المغول إذا ما تقدموا نحو فلسطين فبعث بسفارة مصرية إلى الصليبيين فى عكا يطلب منهم السماح له بأجتياز أراضيهم والحصول على المؤن اللازمة للجيش المصري أثناء سيره . وطلب منهم أيضا الاشتراك معه بقواتهم ضد المغول . ولما كانت آثار الموجه المدمرة التى أجتاحت صيدا لاتزال عالقة بأذهان الصليبيين ، فقد رحب باروناتهم وعلى رأسهم جوليان صاحب صيدا بهذا العرض ، ووافقوا على السماح للقوات الاسلامية بعبور أراضيهم مع مدها بكل ما يحتاج اليه من المؤن والامدادات دون الاشتراك الفعلى فى الحرب . وبالفعل وصلت جيوش السلطان قطز وعسكرت تحت أسوار عكا واصبحت في أنتظار الاشتباك مع قوات الجيش المغولى (١) .

ويبدو أن الصليبيين كانوا على جهل تام بحقائق الأمور وتطوراتها . فلم يفهموا أن مصالحهم مازالت مشتركة مع المغول فى مناصبتهم العداء للمسلمين تمشيا مع سياسة البابا أنوسنت الرابع والملك الفرنسى لويس التاسع فى هذا الشأن

---

(١) Rothelin, op. cit., II, p. 637, Cf. also: Grousset, op. cit., III, p. 601.

فقد سبقا أن أرسلا بعثات دبلوسية إلى المغول في الشرق الأقصى في أواسط القرن الثالث عشر الميلادى (أواسط القرن السابع الهجرى) بهدف إيجاد تحالف بين الغرب اللاتيني والمغول يبعد خطر المغول عن الغرب من ناحية ويؤدى إلى قيام حملة صليبية مغولية ضد المسلمين من جهة أخرى . وبذلك يتسنى للمغول واللاتين تحقيق أطماعها ومصالحها المشتركة (١) . لذا كان المفروض أن يتناسوا ما حدث لهم في صيدا وأن يعيدوا صداقتهم وتحالفهم مع المغول مرة أخرى . ولكن واضح مما تقدم أن بارونات المملكة اللاتينية وبارون صيدا بصفة خاصة ، قد عمتهم الحقيقة ، ولم ينظروا إلى المصلحة العامة للصليبيين بقدر النظر إلى مصالحهم الشخصية . فلم يحاولوا النزول عن كبريائهم وكرامتهم محاولين في ذلك الصلح مع المغول وانهاء نقاط الخلاف معهم للوقوف معا ضد المسلمين . ويبدو أنهم لم يدركوا أيضا أن هزيمة المغول والقضاء عليهم انما يمثل بداية النهاية بالنسبة لهم ولوجودهم في الاراضى المقدسة . لأنه بات واضح ان انتصار المسلمين على المغول سوف يساعدهم على التفرغ في توحيد جهودهم للقضاء على الكيان المتداعي للفرنج في الاراضى المقدسة .

من أجل هذا قد سهلت صيدا بطريق غير مباشر أمر تقدم الجيوش المملوكية في الاراضى الشامية واحرازها النصر على القوات المغولية . والخلاصة إنه لولا الغارة التي شنها جوليان على أملاك المغول ما قام العداء بين الطرفين الذى زادت حدته واتسعت هوته مما سهل على المماليك في مصر القضاء على كل من المغول وبقايا الوجود الصليبي في الشام في سهولة ويسر .

(٢) Iorga, Histoire des Croisades, p. 165, Atiya, Crusade in the Latter Middle Ages, p. 2.3, Browne, Literary History of Persia, t. II, pp. 440-441.

وجدير بالذكر ، أنه بعد ان دمرت صيدا على ايدى المغول لم يصبح لدى جوليان أى أمل فى اعادة بنائها وتعزيز أستحكاماتها على الحالة التى كانت عليها من قبل . ولعل ذلك مرجعة عدم وجود الامكانيات المالية اللازمة ، بسبب كثرة الديون المتراكمة عليه بفوائد عالية لصالح جماعة الفرسان الداوية (١) . لذا اضطر انقاذا للموقف أن يبيع بارونية صيدا إلى توماس برارد Thomas Berard (١٢٥٦ — ١٢٧٣ م / ٦٥٤ — ٦٧٢ ه) رئيس هذه الجماعة العسكرية الدينية عـــام ١٢٦١ م / ٦٦٠ ه مقابل تنازلهم عن كل الديون المتراكمة عليه (٢) . وان دل على شىء فانما يدل على أن جماعة الفرسان الداوية الذين كانت مهمتهم فى البداية رعاية المرضى واسعاف الجرحى ، أصبحوا رجال دنيا ودين ، شأنهم فى ذلك شأن الاسبتارية والتيوتونية فكانوا يقطنون الاراضى ويعملون ويتاجرون ويقاتلون كأى حاكم علمانى (٣) .

وهكذا أصبحت بارونية صيدا منذ ذلك الوقت خاضعة لجمــاعة الفرسان الداوية ، وبالتـالي لم يصبح الملك الاسمى لمملكة بيت المقدس اللاتينيه أى

---

(١) انظر ماسبق ص ٢٢٦ .

(٢) Eracles, op. cit., II, p. 44., Annales de Terre Sainte, Cf. A.O L., t.II, p. 449, Cf. also: Rohricht, Le Combat du Sultan Bibars contre les Chrétiens en Syrie, Cf. A.O. L., t.II, p. 370, Grousset, op. cit., III, pp. 594-595; King, op cit., p. 2.9; Trudon des Ormes, Maison du Temple en Orient et en France, Cf. R.O L., t.V, p. 396.

(٣) Lacroix, Vie Militaire et Religieuse au Moyen age, pp. 198-199; idem, La Chevalere et les Croisades, p. 226; Grousset, op. cit., III, p. 510.

سلطان على البارونية ولا يلزم صاحبها بمساعدته فى حربه ضد أعدائه . فالمعروف ان الملك اللاتينى لم تكن له فى الأصل أى سلطان على الطوائف الدينية العسكرية التى كانت تخضع لسلطان البابا فقط ، وبالتالى عندما كانوا يحاربونه مع جيش الملك الفرنجى ، انما كان ذلك بصفتهم حلفاء متطوعين ، اللهم الا إذا عهد الملك اليهم بالإشراف المؤقت على احدى القلاع أو طلب منهم أن يتكفلوا أمر صبى حدث أو ما شابه ذلك من الأمور . ففى مثل هذه الحالات كانوا يلتزمون بأداء الخدمات المقررة للملك (١) .

على اية حال بعد ان تنازل جوليان عن بارونية صيدا لهذه الجماعة اصر على اعتزال الحياة الدنيا وقرر الدخول فى أحد الأديرة تكفيرا عن خطاياه . وظل على هذا الحال حتى وافته المنية عام ١٢٧٥ م / ٦٧٤ ه (٢) . وبعد وفاته كان هناك ابنه الثانى الذى اعتبر وارثا لأبيه فى حكم البارونية ولكن بدون أرض يمارس الحكم عليها ، لأن الحكم فيها اصبح من حق جماعة الفرسان الداوية بعد بيعها لهم . وشاءت الأقدار ان يقتل باليان الثانى فى احدى المعارك الحربية دون ان يترك وريثا له . وبذلك تكون قد انتهت وراثة اسرة يوستاش جارنييه لحكم البارونية هذه النهاية العظيمة ، ولم يعد هناك منافس لمباشرة الداوية سلطانهم الكامل عليها (٣) .

هكذا قدر لبارونية صيدا ان تظل خاضعة طوال الفترة الزمنية القادمة

---

(١) Runciman, op. cit. III, p. 319.

(٢) Les Gestes des Chiprois, op. cit., II, p. 752.

(٣) Ibid p. 732 , cf. also; Grousset, op. cit. III p. 685.

لسلطان ونفوذ جماعة الفرسان الداوية دون أن يكون هناك محـــاولة منهم للنهوض بالبارونية وتدعيم نفوذها اسوة بما كان أيام حكامها الأول وسوف يكشف الفصل القادم عن تطور العلاقات بين البارونيـــة والمسلمين في الشرق الأدنى على وجه العموم ومصر بصفة خاصة ، وكيف أدت فى نهاية الأمر الى نجاح المسلمين فى القضاء على الصليبيين بداخلها ثم الاستيلاء عليها بصفة نهائية وأخيرة عام ١٢٩١م / ٦٩٠ هـ أيام حكم السلطان المملوكى الأشرف خليل.

الفصل الخامس

اضمحلال بارونية صيدا وسقوطها

فى عصر دولة المماليك الأولى

(١٢٦١ — ١٢٩١ م / ٦٦٠ — ٦٩٠ هـ)

الداوية في صيدا : حكمهم للبارونية وطبيعة علاقاتهم بكل من جيرانهم الصليبيين والمسلمين — سياسة الظاهر بيبرس تجاه البارونية — معاهدة عام ١٢٦٧م/٦٦٥ هـ بين بيبرس والفرنج والتى نصت على مناصفة البارونية بين الطرفين — استيلاء بيبرس على حصن شقيف أرنون التابع لبارونية صيدا عام ١٢٦٧ م /٦٦٥ هـ — هدنة عام ١٢٨٣ م/ ٦٨٢ هـ بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صيدا وعكا وعتليت — سقوط مدينة صيدا فى أيدي المسلمين عام ١٢٩١م/٦٩٠ هـ زمن السلطان الأشرف خليل .

قدر لصيدا نظراً لموقعها الأستراتيجي والجغرافي الهام على الساحل الشرقي لحوض البحر الابيض المتوسط ، أن تصبح مسرحا لصراع دام مرير بين الصليبيين والمسلمين خلال فترة قصيرة من الزمن ، كما قدر لها أن تقوم بدور رئيسي في هذا الصراع .

وكانت الأنظار دائما تتجه اليها في أوقات المحن والأزمات التي الكيان الصليبي في الأراضي المقدسة يتعرض لها بين وقت وآخر . وظلت هكذا تتقلب بين الفرنج الدخلاء وبين المسلمين الى أن آل أمرها أخر الامر الي جماعة الفرسان الداوية أعتباراً من سنة ١٢٦٠م / ٦٦٠هـ وحتى سقوطها نهائياً في قبضة المماليك في أخريات القرن الثالث عشر الميلادي (أواخر القرن السابع الهجري)

وكان توماس بيرارد Thomas Bérard رئيس جماعة الفرسان الداوية (١٢٥٦ — ١٢٧٣ / ٦٥٤ — ٦٧٣هـ) هو أول متن حكم مدينة صيدا ضمن سلسلة حكام هذه الطائفة الدينية (١) . ومما يؤسف أن المصادر العربية والاجنبية التي تحت أيدينا لم تسعفنا بمادة توضيح ما استحدثته هذه الجماعة في صيدا بعد استيلائها عليها في عهد رئيسها توماس بيرارد . كذلك لم تسلط الاضواء على علاقات رؤسائها بأعتبارهم حكاما لصيدا مع جيرانها المسلمين في المنطقة . أما بالنسبة لفترة حكم مقدم الداوية وليم دي بوجيه Guillaume de Beaujeu الذي آل اليه الحكم المدينة عام ١٢٧٣م / ٦٧١هـ بعد وفاة سالفة لم نعثر في المصادر المعاصرة للفترة موضوع البحث والمتأخرة عنها زمنيا سوى

---

(١) Addison, The History of the Kinghts Templars, p. 78 ; Grousset, op. cit , III, p. 667.

على نتف وشذرات مبعثرة هنا وهناك قمنا بتصنيفها وجمعها لعلها تسد ثغرة هامة في هذا المجال ولعل السبب في هذا السكوت شبه المطبق من قبل الكتاب والمؤرخين القدامى وبخاصة اللاتين منهم ، أن الصليبيين بالشام في الثلث الاخير من القرن الثالث عشر الميلاد (الثلث الاخير من القرن السابع الهجرى) كانوا يمرون بدور الاحتضار بعد فتور معونة الغرب الاوربي لهم من جهة ، وأزدياد الخلافات الداخلية بين القوى الصليبية فى الشام من جهة أخرى ، وتكتل القوى العربية وأزدياد نفوذها فى المنطقة من جهة ثالثة ، الامر الذى جعل اللاتين يحجمون عن القيام بأى نشاط هام فى المنطقة لذا كرسوا جهدهم لتقوية حدودهم المتداعية محاولين البحث عن دماء أوربية جديدة تساعدهم فى النهوض بمملكتهم مرة اخرى . وكانت الخلاصة وجود فجوة هامة أغفلتها المصادر والاصول الاوربية اغفالا يكاد يكون تاما ، بينما أهملتها المصادر العربية فى وقت كانت فيه كل القوى الاسلامية فى الشرق الادنى ، وعلى رأسها مماليك مصر ، تستعد لتوجيه الضربة الأخيرة القاصمة الى بقايا الوجود الصليبى فى الشام

مهما يكن ، نعد أن تولى وليم دى بوجييه أمر رئاسة الفرسان الداوية عام ١٢٧٣م/٦٧١هـ أدرك جيداً مدى الضعف الذى انتاب الصليبيين فى الشرق الادنى بصفة عامة وفى مدينة صيدا بصفة خاصة. ورأى ضرورة تزويدهم بنجدات أوربية تسهم فى رفع الروح المعنوية المنهارة عندهم حتى يصمدوا أمام ضربات المسلمين المتلاحقة . لذا قام فى عام ١٢٧٤م / ٦٧٣هـ برحلة الى البلاد الاوربية بهدف طلب المساعدات منها والدعوة الى حملة صليبية جديدة تتجة الى الشرق لحماية البقية الباقية من الكيان الصليبى المتداعى. ولما علم البابا جريجورى العاشر (١٢٧١ – ١٢٧٥م / ٦٦٩ – ٦٧٤هـ) بهذا الأمر ،

قابل الفكرة بالترحاب داعيا من أجل تنفيذهـا . فدعا الى عقد مجلس مدينة ليون الفرنسية . غير أن الدعوات الملحة التى أرسلت الى ملوك العالم المسيحى الغربى وحكامه وقتها لم تلق سوي الأغفال والأهمـال بسبب أنشغالهم فى مشاكلهم الداخلية. ورغم ذلك فقد نجح البابا فى أصدار قرار يقضى بأرسال قوة كبيرة من خيرة الأمراء والنبلاء الاوربيين لمساعدة زملائهم فى الشرق ولكن وفاة البابا جريجورى العاشر فى يناير ١٢٧٦ م / رجب ٦٧٤ هـ كانت بمثابة الضربه القاصمـة التى وجهت الى سائر الصليبيين فى الشرق بصفة خاصـة والى العالم المسيحى الغربى بصفة عامة . وعلى ذلك لم يقدر لهـذه الحملة أن تتوجه الى الشرق . وهكذا عاد وليم دى بوجييه الى صيدا يحمل أذيال الخيبة والفشل دون أن يحقق هدفة المنشود (١) .

ولم تكن العلاقات التى كانت سائدة بين وليم دى بوجييه صاحب صيدا وغيره من الحكام الصليبيين فى الشام طيبـه مما جعل صيـــدا هدفا لضربات الصليبيين أنفسهم . ففى عام ١٢٧٨ م / ٦٧٧ هـ تجمـع الداويـة وهددوا مينـاء طرابلس التابع للاتين وقتها . ولكن خططهم فشلت وحالت شدة العواصف والزوابع دون تنفيذها ولما علم بوهيموند السابع صاحب انطاكيه وطرابلس (١٢٧٥ - ١٢٨٧م / ٦٧٤ - ٦٨٦ هـ) بذلك صمم على الانتقام منهم فأرسل قواته فى خمس عشرة سفينة حربية الى مدينة صيدا وحاصرتها من جهة البحر وسددت ضرباتها اليها . ورغم عدم نجاحها فى الاستيلاء عليها إلا أن المدينـة تعرضت لأضرار فادحة الأمر الذي سهل على المماليك توجيه الضربة الأخيرة اليها وفى النهاية تدخل سيد الاسبتارية المسمى نيقولا لورين Nicholas Lorgne - ١٢٧٧ ـــ ١٢٨٣م / ٦٧٦ - ٦٨٢ هـ) لفض النزاع بين الطرفين . وانتهى

(١) Addison op. cit., pp. 18 - 185.

الأمر على هذا الحال فى سبتمبر ١٢٧٨م / ربيع الثانى ٦٧٧هـ (١)

وبالنسبة لعلاقة صيدا بباقى المدن الصليبية التى كانت موجودة آنذاك لم نعثر فى المصادر والمراجع بشقيها الغربى والشرقى على ما يفيد نوعية هذه العلاقات.

كان الكيان الصليبى فى الشام فى ذلك الوقت يهتز اهتزازا شديداً الأمر الذى سهل على سلاطين المماليك الاجهاز على البقية الباقية للصليبيين اجهازاً تاماً، وكانت سياسة الفرنج فى ذلك الوقت ازالة الخلافات الموجـودة بينهم والوقوف معاً يداً واحدة ضد قوات سلطان مصر المملوكى الظاهر بيبرس حتى لا تتعرض بقية معاقلهم للدمار، وينتهى الأمر بطردهم من منطقـة الشرق الأدنى(٢) وكان الظاهر بيبرس يهدف الى القضاء على الامارتين المتبقيتين للفرنج فى المنطقة وهما انطاكية وطرابلس، وتطهير سواحل الشام تطهيرا تاماً من بقايا الصليبيين. فبعد أن استولى بيبرس على قلعة صفد عام ١٢٦٧م / ٦٦٥هـ بلغه الخبر بأغارة أهالى حصن شقيف ارنون، وكان تابعـا فى ذلك الوقت لبارونية صيدا، على بعض الثغـور الاسلامية فى منطقة الشام. فصمم على الانتقام من الصليبيين وشن غارة كبيرة على عكا فاضطر الفرنج الى طلب الصلح على ما فرضه من شروط وكان شرط بيبرس هو مناصفة صيدا وهدم حصن الشقيف ووافق الصليبيون على هذا وعقدت بينهم معاهدة صلح لمدة عشر سنوات ابتداء من أوائل عام ١٢٦٧م/٦٦٥هـ(٣): وهذه هى المرة الاولى التى تمكن المسلمون

(١) Les Gestes de Chiprois, op. cit., II, p 784. Cf also : Grousset, op. cit. III, p. 68.

(٢) Grousset, op. cit., III, p. 65

(٣) العينى : عقد الجمان جـ ٢٢ ورقة ٢٧٠، وبالنسبة لشروط المعاهدة فلم نعثر عليها فى المصادر بشقيها العربى والأجنبى .

فيها فرض شروطهم على الصليبيين وانتزاع حكم نصف صيدا من أيديهم وذلك منذ أستيلاء الصليبيين عليها فى أعقاب الحملة الصليبية الاولى عام ١١١٠م / ٥٠٤هـ . ولكن الصليبيين لم يلتزموا بما اشترط عليهم السلطان مما أثار ثائرته وأمر بتجهيز العسكر الشامى لفرض الحصار على حصن الشقيف (١). وكان السلطان بيبرس قد استعد بدوره وجهز قواته واتجه الى الشام . وفى الطريق وقع فى يده كتاب موجه من الفرنج الموجودين بعكا الى نوابهم بحصن الشقيف يحثونهم على الاستعداد للهجوم الاسلامى عليهم ويشجعون على ضرورة دفعه . ولما قرأ السلطان ما تضمنه هذا الكتاب وجد أن ذلك سوف يسهل عليه أمر الاستيلاء على الحصن بالحيلة والدهاء توفيرا للمتاعب التى قد يلقاها جيشه اذا ما أستخدم القوة فى امتلاكه . وفى الحال استدعى بيبرس من يكتب له باللاتينية كتابا موجها لرئيس الحصن فيه امارات استفادها من الكتاب الذى وقع فى يده . ويحذره من وزيره الموجود فى الحصن ومن بعض جماعة كانت أسماؤهم مذكورة فى الكتاب . وفى نفس الوقت أرسل السلطان كتابا آخر الى الوزير اللاتينى يحذره فيه من رئيس الحصن ، ويشير عليه بأنه اذا احتاج الى المال فليأخذه من شخص معين كان اسمه موجود أيضا فى ذلك الكتاب . وعمل السلطان على توصيل هذين الكتابين الى كل من المقصود به . ولما وقف كل منهما على كتابه أخفاه عن الآخر وأخذ يتوجس منه خيفة حتى وقع الخلف بينهما (٢) . وهكذا نجحت خطة بيبرس فى التفرقة بين الوزير ورئيس الحصن مما سيترك أكبر الاثر فى الوجود الصليبى بعامة وصيدا وتوابعها بخاصة .

(١) النويرى : نهاية الأرب ج ٢٨ لوحة ٢٥٢ ، ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٣٥٠ ، العينى : عقد الجمان ج ٢٢ ورقة ٢٧٦ .

(٢) ابن أيبك : كنز الدرر وجامع الغرر ج ٨ لوحة ١١٢ .

وجدير بالذكر ، أن الكتاب الذى وقع فى يد الظاهر بيبرس قد وردت الاشارة اليه فى مؤلف ابن أيبك « كنز الدرر وجامع الغرر » ، بينما لم تشر اليه المصادرة الاجنبية المتوفرة تحت أيدينا ، المعاصرة أو المتأخرة زمنيا عن الفترة موضوع البحث . وكذلك الحال بالنسبة للرد الذى كتبه بيبرس باللاتينية الى كل من الوزير وصاحب الحصن فليست هناك أى معلومات عنه تساعد على القاء بصيص من الضوء على تلك الخدعة الناجحة التى اتبعها السلطان المملوكى . وكذلك كانت الاشارة فى ابن أيبك أشارة غامضة عابرة لاتعضمن النصوص الاصلية لتلك المكاتبات التى لو كنا قد عثرنا عليها لا لقت المزيد من الضوء على خطه السلطان المملوكى .

على أية حال ، أنتهز الظاهر بيبرس فرصه الفوضى التى نشبت من وراء الخلاف الذى وقع بين المسئولين فى حصن شقيف إرنون ، وأعد قواته وفرض حصار شديدا على الحصن الى أن ضاق ذرعا ممن هم بداخله . وأضطر بعضهم الى الهرب الى صيدا ، والبعض الاخر الى عكا . ولكن بعض قوات السلطان تمكنت من اللحاق بهم وقتلت عددا منهم وأسرت البعض الآخر ثم عادت لتنضم الى بقية الجيش المحاصر للحصن (١) . ولما يئست الحاميه الصليبية الموجودة بداخله من وصول النجدات التى طلبتها من عكا اضطرت الى الأستسلام ، وأصبح حصن الشقيف كاملا للمسلمين مرة أخرى ، وكان ذلك فى ابريل ١٢٦٧ م/ جمادى أول ٦٦٥ هـ (٢) . ويوضح النويرى فى « نهاية الأرب » ويؤيده ابن الفرات فى « تاريخ الدول والملوك » أن سبب

---

(١) Eracles, op. cit., II, p. 456.
انظر أيضا النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٨ لوحة ٢٥٢ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٨ لوحة ٢٦٣ راجع أيضا :
Rey, op. cit., p. 139; Hitti. Lebanon in History, p. 316.

ضعف حصن شقيف ، رغم ما يتمتع به من موقع استراتيجي ممتاز بجانب شدة حصانته ، هو أن الصليبيين عندما استلموا الحصن من الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق عام ١٢٤٠ م / ٦٣٨ هـ عمروا بجانبه قلعة أخرى صغيرة . فأصبح الوضع حينذاك يتطلب الدفاع عن قلعتين بدلا من واحدة أمام شدة هجمات المسلمين على الحصن . وهذا ما عجز الفرنجة عن تحقيقه آنذاك مما جعلهم يحرقون كل ما كان يوجد بالقلعة الأم ، بينما ركزوا جهدهم في الدفاع عنها ، وهذا ما استغرق منهم الكثير من الوقت والجهد مما أثر على قوة دفاعهم عن أنفسهم (١) .

وجدير بالذكر أن أحد الكتاب القدامى وهو أحمد بن علي الحريرى قد انفرد بذكر قصة أخرى خاصة باستيلاء المسلمين على حصن شقيف أرنون تختلف في مضمونها عن تلك التي اتفق عليها غيره من المؤرخين الآخرين اذ قال أنه بعد أن انتهى السلطان الظاهر بيبرس من فتح يافا عام ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م اتجه الى حصار حصن الشقيف ولما وجده صعب المنال لشدة تحصيناته اتجه الى استخدام الحيلة . فلما حل الظلام استغل فرصة استغراق أهل الحصن في النوم وقام بذبح كثير من المواشى والأغنام ورمى بدمائها وأمعائها في الماء المستعمل في الشرب وفي الصباح وجد الأهالى تلوث الماء بالدماء فضلا عن رائحته الكريهة فساءت حالتهم ، ولم يتمكنوا الصبر من العطش ، واضطروا الى الاستسلام في نهاية الأمر بعد حصار دام عشرة أيام (٢) .

---

(١) النويرى : نهاية الأرب جـ ٢٨ لوحة ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ١٢ لوحة ١٧ .

(٢) الحريري : الأعلام والتبيين في ذكر خروج الفرنج الملاعين لوحة ٢٦ .

ومهما كانت الاراء حول كيفية استيلاء السلطان المملوكي على الحصن ، فقد كنا ننتظر من كافة المصادر والأصول التى أشارت الى قصة هجوم المسلمين على حصن الشقيف أن توضح موقف صيدا من هذا الهجوم خاصة وأن الحصن كان تابعا لها تبعية مباشرة وخاضعا لحاكمها الصليبى . فليس من المعقول والامر هكذا أن يسكت الصليبيون الموجودون بالمدينه عن مساعدة زملائهم في الحصن . وهناك ثغرات عديدة في المصادر القديمة ، من معاصرة وغير معاصرة ، من عربية وأجنبية ، أغفلت الكثير من الأحداث والوقائع التى تتعلق بتاريخ هذه الفترة من الزمن، مما لانجد له تبريرا مقبولا اللهم الا ما سبق أن ذكرناه فيما يتعلق بسكوت تلك المصادر عن فترة حكم الداوية لصيدا. لقد سكتت المنابع والأصول عن الاشارة الى موقف صيدا من الهجوم الاسلامى على الشقيف . وأن كنا نرجح اشتراكها وتعاونها في الغزوة التى شنها الصليبيون على الحصن فى مايو ١٢٦٧م/ رجب ٦٦٥هـ ، أى بعد شهر من تملك المسلمين له ، بقصد استعادته ، تلك الغزوة التى كتب لها الفشل. وكانت النتيجة أن أنتقم الظاهر بيبرس منهم وشن غارة شعواء على مدينة عكا وقتل كثير من أهلها ثم اتجه بعد ذلك الى طورون على مقربة من عكا وقبض على خمسمائة صليبي وأعدمهم (١) .

ومما يثير التساؤل أن السلطان الظاهر بيبرس كان يشن هجومه على العديد من الحصون والبلاد الصليبية الموجودة بالشام مثل أرسوف وقيساريه ويافا وأنطاكية وغيرها من المدن الأخرى . وكثير ما أشار المؤرخون

(١) Les Combats du Sultan Bibars Contre les Chétiens en Syrie, Cf.A.O.L., t. II, p. 383.

المسلمون إلى هذه الهجمات فى ثنايا عرضهم العام الحالى. ورغم ذلك لم نعثر في ثنايا صفحات حولياتهم ما يفيد أغارة هذا السلطان على مدينة صيدا آنذاك رغم أنها لاتقل أهمية عن المدن سالفة الذكر . فهل معنى هذا أن صيدا فى ذلك الوقت كانت تتمتع بقوة كبيرة يخشاه سلطان مصر مما جعله يتردد كثيراً في غزوها؟ أم أن ذلك يرجع الي وجود هدنة بينه وبين حكام صيدا تحول دون الاغارة عليها؟ أن ثمة احتمال أن يكون السلطان قصد أن يختم فتوحاته بها ، ولكن وافته المنية قبل تحقيق ذلك الغرض فتركه لخلفائه من بعده .

كل هذه الأسئلة وغيرها لانجد لها إجابات واضحة محددة عند المؤرخين المسلمين الذين أرخو لهذه الفترة الزمنية أمثال النويرى والعينى والحريرى وابن الفرات وغيرهم . وبالمثل لانجد ردود محددة عليها فى المصادر الأجنبية القديمة . هذا وان كنا نميل إلى الأخذ بالرأى الإخير القائل بأن السلطان بيبرس قد أرجأ النظر مؤقتا في الاغارة على مدينة صيدا حتى تكون آخر المدن التى يختم بها فتوحاته وربما يكون قد أرجأ فتحها إلى ان تتـــاح له الفرصة المواتية ، لأنه كان يحكمها فى ذلك الوقت جماعة الفرسان الداوية وهم مشهورون بالقوة والشجاعة مما يجبر الغازى على التفكير أكثر من مرة قبل الاغارة عليها . ويؤيد ذلك أن الظاهر بيبرس كان قد خاف أميرين من أمراء الشام بالتجسس على أخبار الفرنج في كل من صيدا وبيروت وأن يطالعاه بها فى حينه . ولكن عدوا لهما سعيا الى الوشاية بهما والايقاع بينهما وبين السلطان المصرى . فزور كتابا عنهما موجها إلى صاحب طرابلس بما يرضيه ويغضب الملك الظاهر بيبرس في نفس الوقت . وتحايــل هذا الواشي إلى أن وصل المذكور إلى الملك الظاهر . وعند ذلك قبض على هذين الأميرين وسجنها وقرر عدم الافراج عنهما إلا بعد أن تتاح له الفرصة

للاستيلاء على كل من طرابلس وصيدا وبيروت (١) . وتدل هذه القصة على النية الصادقة لدى الظاهر بيبرس فى التخطيط والتكتيك للاستيلاء على صيدا وإعادتها مرة أخرى إلى أيدى المسلمين .

ويعزز هذا الرأى أنه فى عام ١٢٧٠ م / ٦٧٨ هـ أتفق الظاهر بيبرس مع صارم الدين مبارك بن رضا زعيم الحشيشية بالشام (٦٦٨ م ـ ؟ / ١٢٦٩م ـ ؟) على قتل كل من فيليب دى مونتفرات صاحب صور ووليم دي بوجييه رئيس جماعة الفرسان الداوية وصاحب صيدا حتى يحدث الشغب والفوضى والاضطراب بين سائر سكان المدينتين فتصبحان فريسة سهلة له . فتنكر أثنان من الفداوية فى زى محاربى الغرب وأتجه أحدهما إلى صور بينما ذهب الأخر إلى بيروت لقتل صاحب صيدا الموجود بها آنذاك . ولكن شاءت الظروف أن يكتشف الفرنج أمر هذه المؤامرة عند القبض على الفداوى المكلف بأغتيال فيليب دى مونتفرات صاحب صور . وأرسل سادة صور إلى صاحب صيدا يخبرانه بما تم ويحذرونه من أمر مقتله . وفى الحال أعد صاحب صيدا كمينا تمكن به من القبض على الفداوى الذى قطعت يده ولسانه ثم أمر بأعدامه شنقاً (٢) .

وتكشف هذة الواقعة ، فى حقيقة الأمر ، عن أمرين هامين : أحدهما العداء الشديد بين سلطان مصر وصاحب صيدا الصليبي مما جعله يفكر فى التخلص منه . وثانيهما رغبة السلطان بيبرس فى إثارة الفوضى والاضطراب والفزع فى أنحاء صيدا عقب نجاح الفداوى فى تحقيق مقتل صاحبها مما يسهل له مأمورية الاغارة على المدينة والاستيلاء عليها .

---

(١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٦٣ .

(٢) Les Gestes des Chiorois op. cit., II, p. 784. Cf. also: Grousset, op. cit., III, p. 689.

على أية حال ، ظلت صيدا بمنأى من هجوم المسلمين عليها مدة طويلة أمتدت حتى بعد وفاة السلطان الظاهر بيبرس عام ١٢٧٧ م / ٦٧٦ هـ . وتولى أمر مصر بعد وفاته أبنه بركة خان لمدة عامين . جـاء بعده المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ – ٦٧٩ هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠ م) . وظلت علاقة هذا السلطان مع صيدا علاقة سلمية لا تشوبها معوقات أو صعوبات حتى عقدت هدنة بينه هو وولده الصالح عـلاء الدين على من جهة وبين حكام صيدا وعكا وعثليت من جهة أخرى لمدة عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات أولها يوم الخميس خامس ربيع الاول عـام ٦٨٢ هـ / ٣ يوليو عـام ١٢٨٣ م . وقد أورد أبن الفرات في مخطوطة « تاريخ الدول والملوك » النص الكامل لشروط المعاهدة (١) .

وفي الهدنة المذكورة أتفق كل من وليم دى بوجييه مقدم جماعة الفرسان الداوية بصفته الحـاكم الرسمي لصيدا في ذلك الوقت ، بعد أن تنازل عنها لهم آخر بارونات‌ها جوليان عام ١٢٦١ م / ٦٦٠ هـ (٢) ، ونيقولا لوريان مقدم جماعة الفرسان الاسبتارية وصـاحب عثليت في نفس الوقت ، وأودو بوالشيان Odo Poilechien بصفته نائبا عن الملك شارل الأنجوى Charle d'Anjo الممثل الشرعي لمملكة عكا — أتفق هؤلاء الثلاثة مع المـلك المنصور قـلاوون سلطان مصر وولده الصالح علاء الدين على إقرار هدنة تصلح من أمر الطرفين وتنشر السلام في أرجاء المنطقة . وشملت هذه الهدنة كل البلاد والقـلاع والحصون الواقعة تحت أيدي السلطان وكذلك سائر البلاد الفرنجية . ويمكن أعتبار بعض

---

(١) انظر بالنص الكامل لهذه الهدنة بالملحق رقم (١)

(٢) انظر ما سبق .

سطور هــذه الهــدنة بمثابة ثبت دقيق لدولة المـــماليك بمصر والشام فى ذلك الوقت .

ونصت الهــدنة على أن تصبح مدينة صيــدا وقلعتها وضواحيها وجميع ما ينسب إليها ملكا خاصا للصليبيين ، ويكون لهم من البلاد خمس عشر ناحية ، ومافى الوطأة (الســواحل) من أنهار ومياه وعيون وبساتين وطواحين ومياه جاريه وقنى ، وما عـــدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها ملكا للسلطان قلاوون وولده (١) .

ومما لا شك ، أن وجود مثل هذا البند ضمن بنود الهدنة إنما يشكل أجحافا كبيراً فى حق المسلمين آنــذاك ، خاصة وأنهم كانوا فى موقف القوة بالنسبة للصليبيين . لأنه على هــذا الأساس يكون الصليبيون قد أستحوذوا على كل خيرات صيدا ولم يتركوا للمسلمين إلا ما هو غير صالح للسكنى أو للزراعــة مثل الاماكن الجبلية . ويرجح أن يكون السلطان قلاوون قد فعل مثل هــذا البند رغبة منه فى تحسين العــلاقات مــع الصليبيين حتى يضمن جانبهم ، ويتفرغ لتوطيد نفوذه ومركزه داخل سلطنته فى كل من مصر والشام . لانــه رغم وجود هــذا البند المجحف فقد أشترط السلطان على الصليبيين عدم تجديده أى سور أو قلعة أو برج أو حصن قديم أو مسجد فى غير صيــدا وعكا وعثليث مما هو خارج عن الأسوار فى هذه الجهات الثلاثة .

وتعهد كل من الطرفين أيضا نشر الامان والطمأنينة فى المنطقة بصفه عامة ولا تتعرض بلاد أحد الجانبين لغارات الجانب الاخر (١) . وقد أعــاد هــذا

---

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ١٤ لوحة ٨٩ .

(٢) ابن الفرات: تاريخ الدول والملوك جـ ١٤ لوحة ٩٥ .

الشرط الثقة إلى التجار الصليبيين والمسلمين ، فأخذوا يمارسون نشاطهم وتجارتهم في أطمئنان ، كما توافد المزارعون من كلا الجانبين إلى الاسواق ، وأنتعشت الحركة الاقتصادية في المنطقة وازداد الرواج التجاري بها .

كذلك تعهد الطرفان أنه إذا هرب أحد من البلاد الخاضعة للسلطان وولده إلى صيدا أو غيرها من البلاد الفرنجية المذكورة في الهدنة وقصد الدخول في الدين المسيحي بمحض إرادته فعلى صاحب البلدة أن يجرده من كل ما معه وترد إلى موطنه الاصلي . وأن كان قصده الاستقرار بها فقط دون محاولة التنصير يقنعه صاحب البلد بضرورة العودة إلى السلطان ويضمن له الشفاعة والعفو عنه . وكذلك الحال بالنسبة للصليبيين ، إذا هرب أحد منهم إلى البلاد الخاضعة لنفوذ السلطان وأراد الدخول في الدين الاسلامي ، فيتم التصرف معه على نفس الاساس السابق .

وأتفق الطرفان أيضا على نشر الامان للتجار المترددين بين كل منها ، وأنه إذا حدث خلل في إحدى المراكب التجارية الصليبية أو الاسلامية في ميناء الطرف الأخر وهلك بعض ركابهـا تحفظ لهم أموالهم وكل متعلقاتهم وتسلم لصاحب البلد التابع لها هذه المراكب .

وبجانب ذلك أقسم كل من السلطان المملوكي وحكام المدن الصليبية الثلاث أنه إذا ظهر خطر يهدد أيا من الطرفين فـأي من يسبق له الخبر من الجهتين يبلغ الجهة الأخرى ، ويتحد الطرفان معا لدرء هـذا الخطر بعيدا عن المنطقة . وإذ أضطر أحد اللصوص يبيع أشياء في بلاد أي من الجانبين ، يتم التحفظ على البضاعة المباعة وتقدم إلى صاحب البلدة حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه .

كذلك تعهد كل من صاحب صيدا وعكا وعثليت بضرورة أخبار السلطان عما يدور في خلد الصليبيين الغربيين من شن حملات صليبية جديدة على البلاد

الاسلامية الخاضعة لنفوذه، على أن يكون ذلك قبل بداية تحركاتهم ووصولهم إلى البلاد الاسلامية بمدة شهرين على الأقل .

وقد أستفاد المسلمون كثيرا من وراء هـذا الشرط إذ ضمنوا بموجبه تأمين حدودهم من شن غارات صليبية مفاجئة .

وأتفق الطرفان ، بالاضافة إلى ما تقدم ، على أن ينادى في البلاد الاسلامية والبلاد الصليبية الداخلة في الهدنة بضرورة عودة فلاحي الفرنج إلى بلادهم ، مسلما كان أم نصرانيا ، وكذلك ضرورة عودة فلاحي البلاد الاسلامية إلى بلادهم مسلما كان أم نصرانيا . ومن يتقاعد عن تنفيذ هذا الأمر يطرد من الجانبين ، بموجب ذلك لا يمكن لفلاحي بلاد المسلمين المقام في بلاد الفرنج ولا لفلاحي بلاد الفرنج المقام في بلاد المسلمين .

وقد التزم كفيل المملكة بعكا وكل من صاحب صيدا وعثليت ، بالمحافظة على بنود هذه الهدنة وعدم الاخلال بها حتى تمام انتهاء مدتها . وعلى أن تستمر الهدنه قائمة على حالها بين الطرفين ، حتى إذا مات أحد ملوك الجهتين أو تغير صاحب المدينة وتولى غيره . وتنتهي نصوص الهدنة بقسم حرره كل من الطرفين (١) .

على أية حال ظل كل من الصليبين في عكا وصيدا وعثليت محافظين على بنود هذه الهدنة حتى صيف عام ١٢٩٠ م / ٦٨٩ هـ دون أن تكون هناك مناوشات حربية بين الطرفين أو محاولات الافساد تبدد الهدنة . ولكن وصل في هذه الآونة محاربون صليبيون جدد يمثلون شراذم من رعاع الملاحين والمتعطلين ، فأثاروا الفوضى والاضطراب في عكا وأخذوا يهاجمون التجار

---

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ١٤ لوحة ٩٥ .

المسلمين ويذبحونهم . ولما بلغ ذلك الأمر إلى السلطان المنصور قلاوون ثارت ثائرته وصمم على الانتقام وإزالة الصليبيين نهائيا من الشام (١) . وعند ذلك سارعت حكومة عكا وبعثت اليه باعتذاراتها . ولكن السلطان أرسل رسله إلى عكا وأصر على تسليم الرجال المسئولين عن ارتكاب هذه الجريمة البشعة لينزل بهم العقاب . وعند ذلك اجتمع كبار الفرنج وانضم اليهم وليم دي بوجييه صاحب صيدا ومقدم الداوية في نفس الوقت واقترح عليهم تسليم المذنبين المسيحيين المعتقلين في سجون عكا على أنهم هم الذين ارتكبوا جريمة ذبح التجار المسلمين . ولكن باقي أعضاء المجلس قابلوا الفكرة بالرفض التام ، معلنين عدم مسئولية الصليبيين عما حدث ، مدعين أن التجار المسلمين هم الذين بدأوا الفتنه وهم الذين أثاروا ثائرة الفرنج . ومن أجل هذا أصدر السلطان قلاوون أوامره بالاستعداد التام وتجهيز القوات للانقضاض على بقية الصليبيين في الشام غير انه لم يكد يشرع في المسير حتى وافته المنية وخلفه على العرش من بعده ابنه الأشرف خليل (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م) الذي سار على سياسة أبيه ، وأخذ يجهز قواته توطئة لتحقيق ما كان يرمي اليه أبوه في تطهير بلاد الشام من البقية الباقية للصليبيين الدخلاء (٢) .

وبعد ان استعد المسلمون لحركة الجهاد الأكبر سارت قواتهم نحو عكا وفرضت حصارا طويلا على أسوارها وتمكنت من الاستيلاء عليها عام ٦٩٠ هـ / ١٢٩٠ م . ولكن بعض الفرسان الموجودين بها تمكنوا من الهرب

---

(١) Les Gestes des Chiprois op cit., II, p. 805; Cf. also: Runciman, op. cit , III, p. 408; Grousset, op. cit., III, p. 749.

(٢) Les Gestes des Chiprois op. cit., Loc. cit. Cf. alsot, Grousset, op. cit III, p. 749.

إلى صيدا واستعدوا للدفاع عن المدينة ضد المسلمين المرتقب وصولهم بين لحظة وأخرى . لأنهم شعروا بأن استيلاء المسلمين على عكا ما هو إلا بداية النهاية لوجودهم في أراضي الشرق الأدنى الاسلامى (١) .

وتوجه المسلمون نحو صور واستولوا عليها . وبعدهـا سارت فرقة من الجيش المملوكى نحو مدينة صيدا بقيادة الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، وهو من كبار أمراء المماليك فى مصر ، وفرضوا الحصار على المدينة وتمكنوا من الاستيلاء عليها بسهولة لعدم وجود حامية صليبية قوية بها ، ثم قاموا بتخريبها فى ٢٠ جمادى الأولى عام ٦٩٠ هـ / مايو ١٢٩١ م (٢) . ولكن الصليبيين تمكنوا من الهروب من المدينة ودخلوا القلعة البحرية خوفاً على حياتهم واعتقاداً منهم أن شدة تحصيناتهم سوف تعوق دون محاولة تقدم المسلمين نحوهـا والهجوم عليها (٣) .

ولا شك أن إرسال المسلمين فرقة صغيرة من جنودهم للاستيلاء على صيدا إنما يدل على معرفتهم بالتدهور الذى وصلت اليه المدينة آنذاك ، إلى جانب

---

(١) Muller op. cit., p. 79, Runciman, op. cit., III, p. 420

(٢) الجزرى : الاعلام والتبيين لوحة ٢٠ ، ابن ايبك : كنز الدرر جـ ٨ لوحة ٣٧٥ ، الذهبى : دول الاسلام جـ ٢ ص ١٩١ ، الحنبلى : الانس الجليل جـ ٢ ص ٤٣٥ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ق ٣ ص ٧٦٤ ، ومن المصادر والمراجع الأجنبية انظر :

Annales de Terre Sainte, Cf. A.O.L. t. II, p. 460; Cf. also : Chamber's Encyc. t. XII, p. 583, Trudon des Ormes, Listes des Maisons du Temple; Cf. R.O.L., t. V. p. 429.

(٣) Les Gestes des Chiprois op. cit., II, p. 817; Cf. also Grousset op. cit., III, p. 762; Runciman, op. cit., III. p. 42.

ثقتهم فى أنفسهم وقدرتهم على الاستيلاء على المدينة ويـــدل أيضا على أن المسلمين كانوا على علم تام بكل ما كان يدور داخل المدينة ومدى أستعداداتها فى الدفاع ضد هجماتهم . فـكل ذلك كان من العوامل التى سهلت على المسلمين أمر الاستيلاء على المدينة دون قتال أو أراقة للدماء.

على أية حال ، بعد أن تجمع الصليبيون الموجودون فى المدينة داخل قلعة البحر ، أتفقوا على أن يذهب رئوسهم الذى أختاروه بعد وفاة وليم دى بوجييه وهو ثيبو جود Thibaud Gaud إلى قبرص الـتى كانت مركزاً لجماعة الفرسان الداوية آنذاك ، وذلك من أجل أرسال نجدة كبيرة تنقذ الموجودين بالقلعة . ويبدو أن هذه كانت خدعة منه ، لأنه عندما وصل إلى جزيرة قبرص لم يطالب منها أية نجدات أو مساعدات ، بل لم يبدو منه ما يشير إلى طلب المعونة للفرنج الموجودين بالقلعة . ولما علم الصليبيون بحقيقة الأمر فقدوا شجاعتهم وأستبد بهم اليأس لعدم وجود القوة الكافية لصد هجمات المصريين . وزاد قلقهم عندما شرع المسلمون فى تشييد جسر يصل ما بين البحر والقلعه ليتمكنوا من الوصول إليهـا والاستيلاء عليها . فخاف الصليبيون أن يمنعهم المصريون من الخروج ، ورتبوا أمورهم على الهرب ، بحيث عندما حل المساء أبحروا فارين إلى قبرص . وفى الصباح كانت القلعة خـالية من الصليبيين وتمكن المسلمون من دخولهـا بسهولة يوم السبت ١٤ يوليو عام ١٢٩١ م / ١٥ رجب ٦٩٠ هـ . وعادت بذلك صيدا مرة أخرى وأخيرة ملكا خالصا للمسلمين (١) .

---

(١) Les Gastes des Chiprois op. cit., II, p. 817, Ludolph, Description of theHoly Land, Cf. Palestine Piligrims' Text Society, p. 57 : Hethoum,, Cf. R.H.C Doc. Arm, t.I, p. 488 —

ولما بلغ هذا الأمر إلى الصليبيين الموجودين فى بيروت أنتابهم الفزع وسعوا التقرب إلى المسلمين ، فأرسلوا إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعي يستأذنونه فى الخروج لتقديم وافر التهنئة المباركة إلى كافة المسلمين على الأنتصارات التى أحرزوها ، ويرجونه عدم المساس بهم أو الهجوم عليهم مثل باقى المدن الصليبية الأخرى . فأذن لهم بذلك . ولكن لم يكن ذلك إلا خدعة منه . فعندما أطمأن الصليبيون وخرجوا من المدينة سرعان ما تم القبض عليهم ، وتمكن المسلمون من دخول المدينة نفسها فى ٢١ يوليو ١٢٩١ م / ٢٢ رجب عام ٦٩٠ هـ (١) .

وبعد أن أصبحت صيدا خاضعة لدولة سلاطين المماليك فى كل من مصر والشام ، ظلت ولاية هامة من أعمال مدينة دمشق تولى حكمها عدد من ولاتها لم تساعدنا المصادر على تحديدهم بالدقة والتسلسل الزمنى . وكان والى صيدا فى العصر المملوكي يتولى منصبه بموجب توقيع يصدر من نائب السلطنة فى دمشق(٢) . وكان أول ولاتها يدعى الدمياطي وقد جمع بين حكم مدينة

—Burchard, Description of the Holy Land; Cf. Palestine Piligrims : Text Society, p. 14; Cf. also: Trudon. des Ormes, Maison de l'Ordre du Temple, Cf.R.O. L., t.V, p. 414; Addsion op. cit., p. 189,

ومن المصادر العربية انظر أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ص ٢ ، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ ٢ ص ٢٣٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٣ ص ٣٢١ ، صالح ابن يحيى : تاريخ بيروت ص ١٢٢ ، ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك جـ ١٥ لوحة ٩٣ .

(١) Grousset, op. cit., III, p. 762.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ص ٩٥ .

صيدا وبيروت معا (١) .

وهكذا عادت مدينة صيدا بشكل نهائى وقاطـــع إلى أيدى المسلمين بعد صراع دام طويلا ، وأسدل الستار على فصل هام فى تاريخ العلاقات السياسية بين الشرق والغرب فى فترة من أهم فترات الوسيطة وأصبح إعادة غزو صيدا وغيرها من الأراضي المقدسة حلما من أحلام الماضى البعيد سعى الفرنج الغزاة إلى تحقيقه قرونا طويلة ، فكان نصيبهم الخذلان ومصيرهم إلى زوال .

---

(١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ١٠٤ ويرى الدكتور السيد عبدالعزيز سالم : أنه يبدو من اسمه أنه ينتسب الى دمياط التى كانت على اتصال وثيق بصيدا فى العصر الاسلامى ، أنظر السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ص ١٦٠ .

الخاتمة

تقييم عام للعلاقات بين بارونية صيدا وجيرانها المسلمين في عصر الحروب الصليبية - الآثار المترتبة على استيلاء المسلمين على صيدا بالنسبة للعالمين الاسلامي والمسيحي - أغارات الفرنج على صيدا بقصد السلب والنهب خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (القرنان الثامن والتاسع الهجريان) - الاستنتاجات التي أمكن التوصل اليها.

لاشك أن وقائع والاحداث التى تناولناها بالدراسة والتحليل فى الفصول الخمسة السابقة ، أنها تكشف عن فترة هامة غامضة فى تاريخ العلاقات السياسية بين المسلمين والصليبيين طوال قرنين من الزمان . ولاشك أيضا أن صيدا التى أستولى عليها الفرنج فى بواكير القرن الثانى عشر الميلادى (بداية القرن السادس الهجرى) وأستردها منهم المسلمين نهائيا فى أخريات القرن الثالث عشر الميلادى (أواخر القرن السابع الهجرى)، ولم تنل حظها الكامل من التمحيص فلم يظهر فى هذا الموضوع ، سواء فى الشرق أو الغرب ، كتاب علمى مستقل قائم بذاته يلم بكل أطرافه . وكل ما هنالك نتف وشذرات مبعثرة فى شتى الكتب والمراجع لاتشفى غليل الباحث ، أو على أحسن الفروض بحوث ومقالات قصيرة منشورة فى بعض المجلات العلمية تناولت جانبا دون آخر أو عالجت زاوية دون أخرى . لذا كان علينا التصدى لهذا الموضوع الصعب المعقد بأستخراج مادته من كافة المصادر والمنابع ، من عربية وأجنبية ، خطية ومطبوعات. ومن هذه المادة العلمية الخام التى جمعناها قمنا باعداد هذه الدراسة محاولين الوقوف أمام قضاياها ومشاكلها بغية الوصول الى آراء وأستنتاجات بشأنها ، متوخين فى ذلك أولا وأخيرا الحقيقة التاريخية المطلقة التى تسمو فوق أى أعتبار.

لقد ظلت صيدا مايقرب من ثمانين عاما ملكا للصليبيين منذ استيلائهم عليها عام ١١١٠ م/ ٥٠٤ هـ وتأسس باورنية صليبية بها تتبع مملكة بيت المقدس الصليبية وحتى استعادة المسلمين لها على يد السلطان صلاح الدين الايوبى عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ .ثم تناوب المسلمون والصليبيون الحكم فيها بعد ذلك بحيث كان الحكم للمسلمين تارة وللصليبيين تارة أخرى ، إلى جانب حكم المناصفة بين الجانبين تارة ثالثة .وعلى الرغم من أهمية الموقع الاستراتيجى والجغرافى

والتجاري الذي كانت تتمتع به مدينة صيدا ، الا أنه لا يتضح الدور الاقتصادي الذي قامت به طوال هذه الفترة من الزمن ، خاصة وأن المنابع والاصول المعاصرة والمتأخرة زمنيا للفترة موضوع البحث لا تسعفنا بالمادة التي تسد حاجة الباحث في بيان الدور القائم على التبادل التجاري بينها وبين الدول الاسلامية المجاورة لها وقتذاك . وليس معنى هذا أنه لم يكن لها أي دور أقتصادي . ولكنه على أي حال ، كان أقل شأنا من الدور الذي لعبته الثغور الصليبية الاخرى مثل صور وعكا ويافا . ولعل ذلك مرجعه الى الاضطراب السياسي الناتج عن تأرجح الحكم فيها بين الجانبين الصليبي والاسلامي . إلى جانب كثرة التدمير والتخريب الذى تعرضت له المدينة سواء على يد المسلمين أو الصليبيين ، فضلا عن صغر مينائها ، أذا قورن بكل من ميناء صور وميناء عكا اللذين كانا يمثلان مركز الصدارة في شتى النواحي التجارية الخاصة بالصليبيين إبان تلك الفترة من الزمن . كل ذلك أضعف من وضع صيدا ومكانتها الاقتصادية بين الامارات الصليبيه لاخرى والدول الاسلامية المجاورة . وإن كان هذا لايمنع من القول بأنه نشأت بينها وبين المدن الصليبية الأخرى المجاورة علاقات تجارية متواضعة حسبما أوضحنا من قبل .

وعلى الرغم من أن بارونية صيدا كانت في حداثة عهدها تحت الحكم الصليبي تحاول دائما إثبات وجودها وتدعيم نفوذها في سائر أنحاء المملكة اللاتينية ، بأشتراكها في معظم الحملات والغزوات العسكرية الموجهة ضد المعسكر الاسلامي ، الا أنها في آخرايات عهدها في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي (أواخر القرن السابع الهجري) كان شأنها شأن بقية المدن الصليبية الاخرى التي كانت لاتزال بأيدي الفرنج آنذاك ، تحاول التفوق والبعد عن

أي محاولة لأثارة الشغب والمناوشات الحربية مع المسلمين، ومرجع ذلك سبب بسيط . وهو أن ميزان القوى فى ذلك الوقت كان فى صف المسلمين. هذا ، بينما كانت صيدا وباقى الداوية الصليبية الاخرى تمر بدور الاحتضار خاصة بعد أن فترت فكرة الغرب الاوربى لارسال حملات صليبية جديدة ضد الاسلامى وبعد أن أشغل الغرب بمشاكله وقضاياه الداخلية . والدليل على ذلك أن حكام صيد وعكا ظلوا محافظين على بنود الهدنه المبرمة بينهم وبين السلطان المنصور قلاوون عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م طوال سبعة سنوات كاملة ولم يحاولوا أثارة المسلمين حتى لاينالهم الأذى والضرر. فلم تشر المصادر خلال هذه الفترة إلى أى نوع من أنواع العلاقات الحربية أو المناوشات العسكرية بين الطرفين ، إلى أن جاء هؤلاء الصليبيون الرعاع من أوربا وأثاروا الشغب والفوضى فى الشام ، فكان فى ذلك نهاية العصور الوسطى وأنتهى الامر بأخراج الصليبيين من صيدا وتطهيرها منهم(١) .

ولكن سقوط مدينة صيدا وباقى معاقل اللاتين فى الشام فى أيدى المسلمين فى أواخر القرن الثالث الميلادى (أواخر القرن السابع الهجرى) لا يعنى إنتهاء الصراع بين الشرق الاسلامى والغرب الاوربى . لأن الحركة الصليبية لم تمت، وإنما ظلت قائمة قرن آخر من الزمان، ولم تفقد صفاتها الحقيقية الا بعد القرن الرابع عشر الميلاد (القرن الثامن الهجرى) ز(٢) .

فلا شك أن أستعادة المسلمين لمدينة صيدا أنما يمثل مرحلة جديدة فى تاريخ المدينة وفى تاريخ الصراع التقليدى بين العالمين المسيحى والاسلامى .آذا

---

(١) انظر ما سبق .

(٢) Atiya, Crusade in the Later Middle Ages p. 480

بدأ الاهالي في أعادة بنائها وتحصينهـا لأنهـم كانوا يعلمـون أن الغـرب الاوربي سوف يقوم بمحاولات جديدة تستهدف تحقيق أحلامهم القديمة في المنطقة ، وأنهم بالتالي ان ينجو من مثل هذه المحاولات . وقد تحقق ما تنبأوا به إذ تعرضت صيدا لهجمات الصليبيين مرة أخرى ففي ديسمبر ١٣١٦م / جمادى الاولى ٧٠٦ هـ وصلت أحـدى السفن الصليبيـة إلى بيروت دون التعرض لها،ومنها واصلت السير نحو صيدا حيث هاجمتها وحاولت الاستيلاء عليها وقتلت كثيرا من أهلها ، وأشرف البعض الآخر . كما نهب الفرنج كثير من خيراتها وفروا بعد ذلك هاربين . ولما بلغت هـذه الأنباء إلى الأمـير شهاب الدين بن صبح نائب صفد حاول اللحاق بهذه المراكب الصليبية عنـد جزيرة صيدا وأفتدى الأسرى المسلمين من ماله الخاص وعاد بهم إلى المدينة (١) .

يستدل من هذه القصة أن هذا العمل بعيد كل البعد عن طبيعـة الفكرة الصليبية بمعناها المألوف في الغرب ، وأنه لايعدو أكثر من عملية قرصنة قام بها عدد من الرعاع الاوربيون بقصد السلب والنهب فحسب والدليل على ذلك أنهم لم يمكثوا بالمدينة رغم خضوعها لهم ، وفضلوا العودة إلى ديارهم بعد أن حصلوا على الغنائم والاسلاب . ويستدل من ذلك أيضا مـدي الغيرة الدينية التي كان يتمتع بها المسلمون وقتذاك ، ومدى التعاون التام بينهم بحيث وصل الأمر أن يـدفع نائب مـدينة صفد من ماله الخاص إلى هـؤلاء الرعاع لدرء الخطر عن زملائه المسلمين والمساهمة في فك سراحهم .

---

(١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢٩ ، أحمـد عارف الزين : تاريخ صيدا ص ٦٠ .

على أية حال ، تعرضت صيدا فى عام ٧٥٦ هـ / ١٣٥٥ م إلى هجوم مفاجىء آخر قامت به بعض المراكب الاوربية وقتلت كثير من أهل المدينة وأسرت آخرين . وجدير بالذكر أن أهلها استماتوا فى الدفاع عنها وقضوا على كثير من الغازين ودمروا إحدى مراكبهم . وكان أهل المدينة قد أرسلو إلى الدماشقة يطلبون منهم الاسراع فى إنقاذهم . ولكن قوات النجدة وصلت بعد فوات الاوان ، ولم تتمكن الا إفتداء الاسرى المسلمين . وبعدها عاد الصليبيون إلى بلادهم بما غنموا . وقد ساد الامان فى المدينة مرة أخرى(١) ولعل هذه الاغارة أيضاً لاتعدو أكثر من اغارة للسلب والنهب مثل سابقتها ، أو محاولة يائسة من جانب الغرب للانتقام من المسلمين بعد زوال وجودهم فى الشرق الاسلامى .

وإلى جانب هذه الغارات التى تعرضت لها مدينة صيدا ، فهى لم تنج من غارات القبارصة عليها . ولعل ذلك ساعدهم على ذلك موقع قبرص الاستراتيجى قباله الساحل الشامى وكانت جزيرة قبرص وقتها خاضعة للاتين الغربيين . وكانت تحكمها أسرة لوزجنيان اللاتينية . ففى عام ١٣٦٣ م/ ٧٦٥ هـ تعرضت صيدا لغزوة سريعة من جانب المراكب القبرصية أثناء عودتها محملة بأسرى المسلمين المقبوض عليهم بعد الهجوم على ميناء أبى قير الواقعة فى الشرق من مدينة الاسكندرية . وقد تمكن أهل مدينة صيدا من افتداء الاسرى بالمال وإعادتهم إلى أوطانهم (٢) . ولكن غارات القبارصة عادت مرة أخرى تنهب

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ص ١٧٠ .

(٢) النويرى السكندرى : الإلمام بما جرت به الأحكام المقضية فى واقعة ،

وتسلب أهالى صيــدا . ففى عام ٦٦٩ هـ /١٢٧٠-٧١ م قام أحد قواد القبارصة بغزوة بحرية على بلدة الصرفند الواقعة على بعد ١٥ كم من صيدا وتعتبر من توابعها وذلك بنيه خطف نسائها ونهبها . وفى أواخـر نفس العام حـدث أن أغارت أربع بطسات قبرصية على سواحل صيدا (٣) . ولم يكد يمضى شهر واحد على هذه الغارة حتى هاجم القبارصة مدينة الاسكندرية . فاتجهـوا إلى رشيد وحاولوا النزول فى المدينة الا أن شدة العواصف والرياح حالت دون ذلك . فواصلوا سيرهم إلى صيــدا وأغاروا عليها ثم رجعوا بعد ذلك إلى جزيرتهم مجرجرين وراءهم أذيال الخيبة والفشل (٤) .

وفى عام ٧٤٠ هـ / ١٣٣٩ م تعرض ساحل صيدا لهجوم مفاجىء من قبل الجنوية . إذ تمكنوا من مباغتتها وأخذها ، ثم توجهت سفنهم بعد ذلك نحو بيروت . ولما علم سيف الدين الخوارزمى نائب السلطنة بالشام بما حدث لصيدا وبنية الصليبيين فى أخـذ بيروت أسرع وسار نحو المدينـة لتدعم تحصيناتها

الاسكندرية لوحة ٧٢ — ٧٣ ويذكر المؤرخ أن سيوف القبارصة المستخدمة فى الغزوة كانت مصنــوعة من الخشب المطلى بالقصدير الابيض ليوهمـوا بها الاهالى . وذلك بسبب عدم قدرتهم على شراء سيوف حقيقية . ولما حملوا على المدافعين من أهالى مدينة صيدا اشتروا السيوف الحقيقية .

(١) النويرى السكندرى / الالمام بما جرت به الاحكام لوحة ٩٩ .السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص٣٥٠ انظر أيضا :

Atiyat op. cit., p. 374.

والبطسة تسمى البطشه ، وأصلها يعود الى الاسبانية ومعناها السفينة الكبيرة انظر على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٨٢ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ص ٣٥٠

ودفع العدو وعندما علم الجنوية بذلك لم ينزلوا إلى البر وواصلوا طريقهم عائدين إلى قبرص (١) .

وعاود الجنوية الهجوم مرة أخرى على صيدا عام ٨٠٦ هـ / ١٤٠٤م إذ أغارت سفنهم على بيروت ومنها اتجهوا إلى صيدا. ولما نزلوا إلى البر لم يجسروا على التوغل داخل البلدة لكثرة جيوش المسلمين الموجودة بالمدينة آنذاك . وكان قد وصل في ذلك الوقت الملك المؤيد شيخ الخاصكي نائب السلطنة بدمشق ، فلحق بالفرنج في البر بظاهر صيدا واشتبك الطرفان في معركة دامية نتج عنها إنسحاب الفرنج إلى مراكبهم . واجتمعوا بجزيرة صيدا ، وبات الملك المؤيد وباقي جيش المسلمين قبالتهم على الشاطيء لحراسته حتى لا يعاود الجنوية الهجوم على المدينة . ولما أدرك الجنوية ضعف موقفهم أقلعوا بسفنهم إلى بلادهم (٢) .

لاشك أن كثرة هجمات الصليبيين على مدينة صيدا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين (القرنين الثامن والتاسع من الهجرة) إنما يدل على المكانة الكبيرة التي كانت تتمتع بها المدينة في ذلك الوقت ، فضلا عما كانت تحويه من ثروات طائلة وخيرات كثيرة شجعت كلا من القبارصة والجنوية على توجيه إغارات السلب والنهب اليها . وهو يدل في نفس الوقت على ضعف تحصيناتها واستحكاماتها ، وعدم قوة أسوارها وقلعتها البحرية بالقدر الذي يجعل الغازين يترددون أكثر من مرة قبل محاولة التفكير في غزوها . ولولا ذلك ما تجرأ المغيرون على الهجوم عليها وجعلها محطة لعمليات السلب والنهب .

---

(١) صالح بن يحيى : تاريخ بيروت ص ٢١٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٣ .

طوال فترة قرنين من الزمان بعد إستعادة الأشراف خليل لها .

لعله يتضح مما سبق أن العلاقات السياسية بين بارونية صيدا وجيرانها المسلمين فى الشرق الادنى زمن الحروب الصليبية كانت تتسم بصفة عامة بالجفاء والعداء الشديدين وذلك اواخر القرن الثانى عشر الميلادى (أواخر القرن السادس الهجرى) . بينما اتخذت هذه العلاقات شكلا آخر منذ أواخر هذا القرن ، إذ كانت تتأرجح بين التأزم ، والتصافى أحيانا . وظهر هذا بشكل واضح بصفة خاصة في عهد حاكمها باليان جارنييه ووساطته السلميه بين الملك الكامل محمد سلطان مصر والامبراطور فردريك الثانى .

ومن النتائج الاخرى التى أمكن التوصل اليها أن العلاقات التى كانت قائمة بين بارونية صيدا اللاتينية ومسلمي الشرق الأدنى ابان فترة الحروب الصليبية لم تخرج بطبيعتها من كونها علاقات أتسمت فى أغلب الاحيان بالطابع الحربى المتمثل فى المعارك والمصادمات والمناوشات التى وقعت بين الطرفين وكان النصر فيها يتأرجح بينهما وفقا لظروفها الموضوعية من سياسية واجتماعية واقتصادية . بينما أتخذ في بعض الاحيان الشكل الدبلوماسى المتمثل فى السفارات المتبادلة بين الجانبين ، والمفاوضات التى قد ينجم عنها عقد هدن ومعاهدات بينهما مثل تلك التى عقدت بين المنصور قلاوون من ناحية أخرى وحكام صيدا وعكا من ناحية أخرى سنة ١٢٨٣ م / ٦٧٢ هـ .

ورغم أن موضوع البحث قد إقتصر على العلاقات السياسية بين بارونية صيدا وجيرانها المسلمين ، إلا أن المصادر والمراجع ، التى تحت أيدينا ، من عربية وأجنبية على حد سواء ، لم تسعفنا فى العثور على ما يوضح وجود أى نوع آخر من العلاقات بين الجانبين سواء كانت علاقات ثقافية أو أقتصادية أو أجتماعية أو غيرها . وقد يعزى ذلك إلى أشتداد الصراع

الساخن بين الصليبيين والمسلمين فوق رقعة الشرق الادنى مما صرف البارونية عن الاهتمام بمثل هذه الجوانب ، فضلا عن كونها من توابع مملكة بيت المقدس الصليبية ، الأمر الذى سلبها أحيانا حرية التصرف المطلق فى كثير من الامور .

ولكن لايجب أن يغرب عن البال أنه باستثناء مملكة بيت المقدس اللاتينية التى تحول مقرها إلى عكا بعد استرداد صلاح الدين المدينة المقدسة سنة ١١٨٧م / ٥٨٣هـ وإستعادة الصالح نجم أيوب لها بصفة نهائية عام ١٢٤٤ م/ ٦٤٨ هـ . لايجب أن يغرب عن البال أنه كان لبارونية صيدا دور اساسى ، سلما أو حربا، فى الصراع الصليبى الاسلامى الذى كانت منطقة الشرق الادنى مسرحا لها خلال قرابة قرنين من الزمان .ولايمكن التهوين من شأن هذا الدور ويكفى للتدليل على ذلك أن أهل الغرب اللاتينى لم ينجحوا فى الاستيلاء عليها الا بعد محاولات عديدة بعد إنتهاء الحرب الصليبية الاولى بعدة سنوات التى أسفرت عن تأسيس مملكة بيت المقدس اللاتينية إلى جانب أمارات الرها فى أعالى الفرات وأنطاكية فى أعالى الشام وطرابلس على الساحل الشامى ثم أنها كانت من آخر المعاقل التى سقطت فى قبضة المماليك فى آواخر القرن الثالث عشر الميلادى (آواخر القرن السابع الهجرى) .

وأخيرا فأن القضايا والمشاكل العديدة التى عالجناها فى ثنايا البحث بالمقارنة والموازنات التاريخية وبالرجوع إلى المنابع والاصول المعاصرة للفترة موضوع البحث والمتأخرة عنها زمنيا ، من لاتينية وفرنسية قديمة وعربية خطية ومطبوعة ، تسلط الكثير من الاضواء على دور البارونية فيما يتعلق بعلاقاتها السياسية بجيرانها المسلمين ، وتزيد اليه ثقلا كبيرا وأبعاد واسعة تفسح المجال لدراسة عديدة متخصصة فى ميدان الصراع الصليبى الاسلامى .

الملاحق

الملحق الأول : أستيلاء الصليبيين على مدينة صيـــدا عام ١١١٠ م / ٥٠٤ هـ
نقلا عن :

Albert d'Aix Historia Hiroselymitana, Cf.R.H.C.- H.Occ., IV, pp. 678 - 679.

الملحق الثانى : أستيلاء صلاح الدين على حصن شقيف أرنون التابع لبارونية
صيدا عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م نقلا عن النويرى : نهاية الأرب
فى فنون الأدب ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت
رقم ٥٤٩ معارف عامة ، جـ ٢٩ ، لوحة ١٣١ .

الملحق الثالث : تسليم الصالح أسماعيل ملك دمشق حصن شقيف أرنون عـام
١٢٤٠ م / ٦٣٨ هـ إلى جوليان بارون صيدا نقلا عن :

Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr dite du Manuscrit de Rothlin, Cf. R.H.C. -H Occ., t. II, pp. 552 - 553.

الملحق الرابع : تدمير المغول مدينة صيدا عام ١٢٦٠ م / ٦٥٩ هـ نقلا عن :

Anonimons, Les Gestes des Chiprois Cf.H.C. Doc. Arm., t. II, pp. 751 - 752.

الملحق الخامس : النص الكامل للهدنة المبرمة بين السلطان المنصور قلاوون
وحكام صيدا وعكا وعثليت عـام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ نقلا عن
ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، مخطوطة مصورة محفوظة
بـدار الكتب المصرية تحت رقم ٣١٩٧ تاريخ جـ ١٤ لوحـة
٨٨ – ٩٥ .

الملحق السادس : بيـان بأسماء بارونات صيـدا ومقدمى الداوية الذين تولوا
أمرها منذ أستيلائهم عليها إلى حين سقوطها فى قبضة المـماليك
البحرية .

رأينا تذييل الكتاب بعدد من الملاحق الهامة التي ترتبط بموضوع البحث أرتباطا وثيقا ومباشراً ، وتلقي الضوء على بعض قضاياه ومشاكله وهي أما مستقاه من أصول ومصادر لاتينية أو فرنسية قديمة لم تنقل بعد إلى اللغات الحديثه أو مستمدة من مخطوطات عربية لم تر النور بعد ، أو قمنا بأعدادها بعد البحث والتنقيب في ثنايا المصادر والمنابع من عربية وأجنبية ، الملحق الأول مأخوذ عن المؤرخ اللاتيني البرت ديكس ويتضمن أستيلاء الصليبيين على مدينة صيدا عام ١١١٠ م / ٥٠٤ ه ، والصعوبات التي واجهوها حتى تيسر لهم الأمر في فتحها وتملكها . والنص مدون أصلا باللغة اللاتينيه ولم ينقل بعد إلى اللغات الحديثة، وصاحبها البرت ديكس معاصرا لاحداث هذه الفترة من الزمن لذا تتميز كتابته بأهمية خاصة تجعل روايته في هذا الشأن تحمل في طياتها صفة الوثائق الرسمية . أما الملحق الثاني فهو يتضمن نصا مقتبسا من مخطوطة « نهاية الارب في فنون الأدب » للنويرى ، وهى لم تنشر بعد والنص يعالج قصة أستيلاء السلطان صلاح الدين الايوبى على حصن شقيف أرنون في أواخر القرن الثاني عشر الميلادى (أواخر القرن السادس الهجرى) والظروف التي تم فيها سقوط الحصن في أيدي المسلمين وأنسلاخه عن بارونية صيدا . ويكشف هذا النص عن أهمية العلاقات السياسية التي كانت قائمة وقتذاك بين بارونية صيدا والمسلمين . أما الملحق الثالث فهو نص باللغة الفرنسية القديمة مقتبس من المؤرخ اللاتيني روتلان في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية ، ويوضح تسليم سلطان دمشق الملك الصالح أسماعيل حصن شقيف أرنون التابع للمسلمين إلى جوليان صاحب صيدا ، وذلك عام ١٢٤٠ م / ٦٣٨ ه . ولهذا النص أهمية كبرى ، فبجانب أنه لم ينشر بعد فهو يوضح ماهية وطبيعة العلاقات الصليبية الاسلامية في ذلك الوقت ، ومدى التهـــاون في حق المسلمين نظير المصالح

الشخصية . أما الملحق الرابع فهو عبارة عن نص لاحد المؤرخين المجهولين من القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجرى) منشور فى مجموعة الوثائق الارمينية ولم ينقل بعد إلى الكتب الاوروبية الحديثة . ويشير إلى الاضرار التى لحقت ببارونية صيدا من وراء الغزو المغولى المنطقة عام ١٢٦١ م / ٦٥٩ هـ ، وما ترتب على ذلك من آثار بالنسبة للصليبين بصفة عامة . أما الملحق الخامس فهو يتضمن النص الكامل للهدنة المبرمة بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صيدا وعكا وعثليث عام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ نقلا عن مخطوطة « تاريخ الدول والملوك » لابن الفرات ، وهى تلقى أضواء ساطعة على طبيعة العلاقات بين المسلمين والصليبيين فى فترة تدهور القوى الصليبية بالشام واستعداد المسلمين لتوجيه الضربة النهائية إليها . أما الملحق السادس والاخير فهو عبارة عن سرد لأسماء بارونات بارونية صيدا المحصورين فى أسرة بوستاش جارنيية الذى امتد حكمهم حوالى مائة وخمسين عاما ، ثم أسماء مقدمي الداوية الذين تولوا أمر البارونية اعتباراً من عام ١٢٦١ م / ٦٥٩ هـ وحتى سقوطها فى قبضة الأشرف خليل عام ١٢٩١ م / ٦٩٠ هـ .

وجدير بالذكر أننا قد حرصنا أن تكون الترجمة العربية للنصوص اللاتينية والفرنسية القديمة الخاصة بالملاحق سالفة الذكر مطابقة تمـــاما للأصل مع مراعاة وضوح المعنى . كما استلزم الأمر تزويد الملاحق ببعض الهوامش السفلية التى اقتضتها الضرورة .

الملحق الاول

أستيلاء الصليبيين على مدينة صيدا عام ١١١٠ م / ٥٠٤ ﻫ نقلا عن المؤرخ اللاتيني البرت ديكس في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية (١) .

Post hae Iherusalem reversi, Convocata Ecclesia, decreverunt Communi Consilio Sagittam, vel Sidonem, quae multa Peregrinis dampna et calumpnias inferens, Regi Saeptus restiterat, obsiderent terra et maei, nunquam ab earecedentes donec urbs capta in manu Christianorum reddertur. Nec multa mora rex Baldewinus et Bertrannus, ascits cepiis, in apparatu copios castra metati sunt in obsidionem urbis saSitae machinas et tormenta lapidum constituentes quibus urbs per singulos dies odpugnaretur. Movit pariter ab Joppe rex magnus navales copias, et applicuit ad urbem Sagittam, ut eam a mari obsidens et rex Pagnans nulli in troitum aut exitum hae part pateretur.

Baldewinus rex et Bertrannus, accitis copils obsidionem a terra statuerunt Rey de Nortwega, Cumomui manu sua anchoras figens mare sedem in circuitu urbis firmatit. Sic loc ata obsidione, toto mense Septembre in assultu et crebri ruinis muros et turres urbis angustiantes, civibus econtra in armis et tormanto lap, idum abintus fortiter resistentibus, machina in multis diebus composit-ammure appliecantes, aires in areu baleauni ea posuerunt, quialt-

(١) أنظر :

Albert d'Aix, Cf, R, R,H. C. — H. Occ., t. IV, pp. 678-679.

والتفاصيل من تاريخ البرت ديكس انظر المقدمة التحليلية للمصادر والمراجع .

itudine soliorum machinae emmentets, desuper muros per urbem et turres et ejus moenia specula rentur, et sic per vicos et plateas gradientes plage intolerabili artareit.

cives autem, videntes machinam urbem altitudine superare, civibus nocere, noctis in obsiuro cavationem sub murorum fundamento plurimo conatu et mira indusiria fecesunt, ut, facta cavationetrans murososque ad stationem machinae, ligna arida et ignis fomitem compertent in hanc, et, his subito in javillam redactis, cum humo machina ruest et viros in ea positos in momento suffocaret sed Rex, hanc artem iniquam praecavens ex quorundam relatione, machinoma loeo cavation amovit, et sic labor Sidoniorum frustra consumptus est.

Pandem, curriculo sey ab lomadarum traasacto, Sidonii videntes se nichil adversus machinam Praevalere, et tormentis lapidum assidue urbem et ejus peria concuti, quin navali assultu non minus se gravari, navalem vero exercitum Babyloniae aufugisse, dextras sibi dari poscunt, et, urbem cum turribus et clavibs in ejus manibus reddi, sub hac tamen conditone, ut'ammiraldus, civitatis, et quibus esset anim› cum rebus suis, quantum valerent collo et humeris deferre, Pacifice in columes egrederentuae rex vero longa obsididiene et assultu fessus consilio cum rege Nortwegae, cum Bertranio comitè et viris sensatis habito, petition, Sidoniorum cessit et sic urbes in ejus Potestate suorumque reddita ac patefacta, Sidonii, sicut pepigerant cum ammiraldo suo, circiter quinque milia, cum rebus suis in pace egressi sunt, usque ad Ascalonam proficiscentes, ceteri qui remanserant sudjugo Regis et elus servitutem redact; Sunt.

الترجمة العربية للنص

عقد اجتماع صليبي فى القدس عام ١١١٠ م (١) تم الاتفاق فيه على فرض الحصار على مدينة صيدا براً وبحراً . وأخذ كل من الملك بلدوين (٢) وبرتراند صاحب طرابلس (٣) فى تجهيز وإعداد المعدات الحربية والعساكر اللازمة لعملية الحصار. وأصدر الملك بلدوين أوامره إلى المراكب الصليبية الموجودة فى يافا بالأنسحاب والاستعداد للاشتراك فى حصار المدينة .

وفى ذلك الوقت كان قد وصل ملك النرويج (٤) على رأس أسطوله الضخم إلى الاراضى المقدسة بقصد الحج والزيارة ، فبادر الملك بلدوين بالترحيب به وزاد فى إكرامه وعرض عليه المساعدة فى حصار مدينة صيدا . وقابل ملك النرويج هذا العرض بالترحاب من أجل خدمة السيد المسيح . ولما أستعدت القوات الصليبية تحركت نحو المدينة وفرضت الحصار عليها براً وبحراً . وأبدأت القوات الصليبية فى إقامة معداتها الحربية على أسوار المدينة بهدف النزول داخلها ، فلما شاهد الأهالى أرتفاع هذه المعدات إلى مستوى أعلى من مستوى سور المدينة ثارت دهشتهم وبدأوا يفكرون فى وسيلة لتحطيمها حتى لا تصاب المدينة بسوء . وعندما حل الظلام هداهم تفكيرهم إلى حفر حفر أسفل أسوار المدينة بحيث تنفذ إلى الاماكن التى توجد بها المعدات الحربية الصليبية المطلوب

---

(١) تقابل سنة ٥٠٤ هـ.

(٢) هو بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبية وحكم من سنة ١١٠٠ م / ٤٩٤ هـ حتى سنة ١١١٨ م / ٥١٢ هـ.

(٣) حكم برتراند صاحب طرابلس من عام ١١٠٩ م / ٥٠٢ هـ ، الى ١١١٢ م / ٥٠٥ هـ .

(٤) يدعى سيجورد.

تدميرها . ولما تهيأت لهم الظروف بعمل هذه الحفر وضعوا فيها مواد قابلة للاشتعال فألحق ذلك الضرر بالمعدات الصليبية ، وأثر ذلك على الجنود الصليبيين الواقفين أعلى هذه الآلات ، إذ كادوا يختنقون من شدة النيران والدخان الناتج عن الاحتراق . ولما شاهد الملك الصليبي هذا المنظر أمر بنقل آلات الحصار إلى أماكن أخرى بعيدة عن الحفر التى أقامها المسلمون . ولما فشل الاهالى فى تحقيق هدفهم دب الذعر فى نفوسهم خاصة وأن الصليبيين كانوا يواصلون رميهم بالحجارة الكبيرة الحجم فضلا عن شدة ضربات الهجوم التى تتعرض له المدينة من ناحية البحر . فاضطر حاكم المدينة للخروج لمقابلة الملك بلدوين وطلب منه الامان . فاجتمع الملك بلدوين مع ملك النرويج وبرتراند صاحب طرابلس وقرروا تأمينهم على أرواحهم وأموالهم وعيالهم . كما وافقوا على السماح لكل من أراد مغادرة المدينة من سكانها أن يرحلوا بما يحمله من أمتعه . أما من رغب فى البقاء فقد أعتبر مثل باقى الرعايا الصليبيين له الحق فى الاحتفاظ بأملاكه نظير أداء الضريبة السنوية المقررة عليه . وبالتالى أصبحت المدينة فى قبضه الصليبيين . وقد خرج منها حوالى خمسة آلاف نفس اتجهوا إلى عسقلان أما الجزء الباقى فقد وافق على الخضوع إلى الملك الصليبي .

الملحق الثانى

أستيلاء صلاح الدين الأيوبى على حصن شقيف أرنون التابع لبارونية صيدا عام ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م . نقلا عن مخطوط « نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويرى (١)

« فى شهر ربيع الأول سنة ٥٨٥ هـ (٢) سار السلطان (٣) إلى شقيف أرنون وهو من أمنع الحصون ليحصره ، ونزل بمرج عيون . فنزل صاحب الشقيف وهو أرناط (٤) صاحب صيدا إلى السلطان ، وكان من أكثر الناس دهاء ومكراً ، فقال : « أنا محب الك ولدولتك ومعترف بإحسانك وأخاف أن يطلع المركيز (٥) على شأنى وما بينى وبينك فينال أولادى وأهلى منه أذى ، فإنهم عنده بصور . وأحب أن تمهلنى حتى أتوصل إلى تخليصهم من عنده ، وحينئذ أحضر أنا وهم إلى عندك ، وتسلم الحصن إليك ونكون في خدمتك ، ونقنع بما تعطينا من الأقطاع » فأجابه السلطان إلى ذلك وظن صدقه . واستقر الأمر بينهما أن يسلم الشقيف فى جمادى الآخر (٦) . وأقام السلطان بمرج عيون

(١) انظر نسخة مصورة للمخطوطة تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة بدار الكتب المصرية ، ج ٢٦ لوحة ١٣١ .

(٢) تقابل سنة ١١٨٩م.

(٣) المقصود صلاح الدين الأيوبى.

(٤) المقصود به ريشالد وحكم من سنة ١١٥٤ م/ ٥٤٩ هـ .

(٥) يقصد به كونراد دى مونتفرات صاحب صور.

(٦) من نفس السنة ، الى سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩م .

ينتظر الأجـــل وهو قلق مفكر لقرب إنقضاء المدنة بينه وبين صـــاحب أنطاكية (١) . فأمر تقي الدين ابن أخيه أن يسير فيمن معه من عساكر ومن يأتيه من بلاد الشرق ويكون مقابل أنطاكية لحين إنتهاء أجل الهدنة . وكان السلطان منزعج الخاطر لما بلغه من أجتماع الفرنج بصور وما يصل إليها من إمداد ، وأنهم أجتمعوا فى قلق كبير وخرجوا من صور إلى ظاهرها . فخاف أن يترك الشقيف وراء ظهره . وكان أرناط فى هذه المدة يشترى الأقوات من سوق العسكر والسلاح وغير ذلك مما يحصن به شقيفه فيبلغ السلطان فلا ينكره بحسن ظنه . وكان هدف أرناط المطاولة (٢) إلى أن يخرج الفرنج من صور . فلما قارب الأجل تقدم السلطان إلى الشقيف واستدعى أرنـاط وقد بقى من الأجل ثلاثة أيام . فجاءه وتحدث معه فى شأن تسلم الحصن فأعتذر بأولاده وأهله وأن المركيز لم يمكنهم بالمجيء إليه ، وطلب المدة مرة أخرى . فحين إذ تحقق السلطان من مكره فأخذه وحبسه وأمره بتسليم الشقيف . فطلب قسيساً وحمله رسالة سراً وأظهر أنه أمره بتسليمه . فأمتنع من بالحصن من تسليمه فسير أرناط إلى دمشق وسجنه وتقدم إلى الشقيف وضيق على من به وترك عليه من يحفظه ويمنع من الوصول إليه . فسلمه فى يوم الأحد ١٠ ربيع الأول عـــام ٥٨٦ هـ (٣) . وأطلق صاحبه ¢ .

---

(١) هو بوهيموند الثالث حكم من سنة ١١٦٣ ، الى ١٢٠١م (٥٥٩ — ٥٩٨هـ).

(٢) أي التسويف والمماطلة .

(٣) توافق ابريل ١١٩٠ م

الملحق الثالث

تسليم الملك الصالح اسماعيل ملك دمشق حصن شقيف أرنون عام ١٢٤٠ م / ٦٣٨ هـ إلى جوليان بارون صيدا . نقلا عن المؤرخ اللاتيني روتلان (١) في مجموعه مؤرخي الحروب الصليبية .

النص الأصلي باللغة الفرنسية القديمة

Quant li soudanz de Damas envoia la sa gent pour randre le le chastel au seigneur de Saiete, les garnisonz au souoant qui dedenz estoient, ne le vouorent mie randre, et distrent que il n'en istroient mie. Encerez disoient tout apartement que li soudanz n'estoit mie fermement creanz en la loi de Mahommet quant il vouloit tel chastel randre, senz coj ferir, a ces porcianx, chienz, Crestienz, mescreanz, desloiaux qui ne croient en Dieu. L'en fiest ces choses a savoir au soudanz. il vint la tantost a tot son ost et assist ceux dedenz le chastel; cil qui assiz estoient, nul voudrent randre pour lui'ne que dour ses mesiages, ne lui mesme ne laissierent il entrer dedenz. Li soudanz manda tanost ses enginz a Damas; et quant il furent la venu, il les fist drecier viguereusement entour le chastel et coumancierent a assaillir de toutes parz, et li engin a giter grosses pierrez et menues mie gra ment que li Tur, qui dedenz estoient, s'aparcurent que il ne dovaient mie le chastel dart pour ces choses, il firent parler au soudant et distrent que il leur randroient le chastel sauves leues. Li sondanz leur

(١) انظر:

Rothelin: Cf. R.H.C. - H. Occ., t.II, pp. 55 - 553.

(٢) المقصود به هو الملك الصالح اسماعيل .

trancha tantost la parolle, et leur dist que a lui ne feroient il Ja nulles convenances; car ou il li rondroient le chastel et elx meesmes a sa volonté, ou il les prandroient par force que il li deust greyer. quant cil ouirent ces choses. durement se douterment que li soudanz nes feist assaillir aucun jour si efforcieement que il les preist touz par force, et les feist touz mourir de male mort. pour ce vindrent a lui se randirent tout a sa volonté. Li scudanz les fist tantost touz paure. les unz fist pandre et trainner, et aucunz. en banni de sa terre; les autrez tolli ce qu'il avoient. Et tiexi ott a cui il fist pere les testes senz les Barbes, et tiexi out a cui il fist rere la Moisie senz plus. Bien disoient li sarrazin que il ne les povait plus avillier ne faire nulle plts grant hont. duant li s udanz ont einsint fait, il randi le chastel au seigneur de Saiete et li sirez le fist bien garnir de genz, et d'armes, ».

الترجمة العربية للنص

« عندما أرسل سلطان دمشق (١) رجـاله لتسليم الحصن (٢) إلى صاحب صيدا (٣) ، أمتنع رجالي الحامية المقيمون بالداخل عن التسليم وأعملوا فيه الهدم والتخريب . كذلك أتهموا السلطان بالخروج عن شريعة محمد ، حيث أنه كان يريد تسليم الحصن إلى هؤلاء المسيحيين . وعندما بلغت السلطان كل هذه الأمور

(١) هو الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود ، حكم من سنة ١٢٣٧ حتى ١٢٣٨م (٦٣٥ — ٦٣٦ هـ) ثم من سنة ١٢٣٩ حتى ١٢٤٥م (٦٣٧ ـ ٦٤٤ هـ) . وأحداث هذه الواقعة تقع عام ١٢٤٠م / ٦٣٨ هـ .

(٢) المقصود به حصن شقيف أرنون .

(٣) هو آنذاك جوليان بن باليان آخر بارونات صيدا وحكم من سنة ١٢٣٩م حتى ١٢٦٠م (٦٣٧ ـ ٦٥٩ هـ).

جاء على رأس جيشه كله رهاجم أولئك الذين بداخل الحصن . ولكنهم تصدوا له ورفضوا التسليم له ولمن أوفدوهم من الرسل وحاول هو بنفسه اقتحام الحصن ولكنه فشل فى ذلك حينئذ أرسل السلطان فى طلب معدات القتال من دمشق وعندما وصلت ، شدد هجومه على الحصن من جميع الجهات وأخذ يقذفه من آلاته بكتل كبيرة وصغيرة من الحجارة . وما أولئك الذين كانوا بداخل القلعة فقد أدركوا بعد ان ضيق الخناق عليهم ، انهم لن يستطيعوا الصمود أكثر من ذلك ، وأنه ان تأتيهم أية نجدات من أى مكان آخر . لذلك طلبوا الأمان من السلطان ، وفيما يتعلق بهذا الأمر فقد طلب تسليم القلعة والرضوخ لارادته وإلا فانه سوف يستولى عليها بالقوة وسيقوم بإبادتهم . عندما بلغهم ذلك داخلهم الشك بأن السلطان سوف ينفذ تهديده لهم . ولكنه أستولى على القلعة بالقوة . وقضى على من بها . وقام بشنق البعض وسمل البعض الآخر ، وطرد فريق منهم خارج أراضيهم . وثمة فريق آخر قام بحلق نصف لحاهم مما يجلب عليهم أكبر العار وفقا لقوله (أى السلطان) . وبعد ان قام السلطان بهذه الإفعال سلم الحصن إلى صاحب صيدا وزوده بالرجال والسلاح والمؤن » .

الملحق الرابع

تدمير المغول مدينة صيدا عام ١٢٦٠ م / ٦٥٩ هـ نقلا عن أحد المؤرخين المجهولين (١) فى مجموعة مؤرخى الحروب الصليبية « الوثائق الارمينية »

« …… et remest en la Terre dou rouaume de Jerusalem grant seignor, quy ot nom Coutbtha et une grant de Tatars quy alerente a Saete et la Prinent Subitement, au preadre y ot defence par le Seignor de Saete, messire Julieu, quy estoit sur son Chevau a la entree de la Port, et defendoit l'entree, a aussi poy de Gens com il ot, si Vigouroasement, et osist. II. Chevaus sos ly. et tant maintint a defendre l'entree que la menue, gent eurent grant espase d'eans reculir a II. Chasteaus de terre et de mer. Et nil avint. I. autre aventure, quy vint bieu a la menne gent, que. II. Gualltes des Jeneves veneent de Sur et aleent en Ermenie, et esteent de sire Fransesquin de Grymaut, et se trouverent seluy jour a Seet, quy recullirent mont de geas, et les mirent en une ihle quy est devant, Seete, bien pres, devant le chasteau de mer. Et en la fin, le Seignor de Seete ne post soufrir le charge des Tatars, des quels il en ssist et abaty asés sur le pont devant la port, et s'en repaira et entra au chastiau de terre Et les Tatars entrerent adons, et prirent la vile et taindrent aucunes menues

---

(١) انظر

Les Cestes de Chiprois Cf. R.H.C. -Doc. Arm., t.II,pp. 751 - 752.

(٢) المقصود به هو عام ١٢٦٠م /٦٥٩هـ .

gens qu'il tuerent, et autres que il prirent, et tindrent tant Sayete que il abatirent les murs de laville dcunerent aucun asaut au chastiau de terre, mais il ne firint rien, et se partirent et alerent. Et en sel an (2) messir Julyen si vendy Sayete au Temple, cor il (n') ot de qce refaire la des murs quy furent abotus.

الترجمة العربية للنص

تجمع الجيش المغولى فى أرض مملكة بيت المقدس بقيادة القائد المغولى كتبغا ثم أغار جمع كبير منهم على مدينة صيدا عام ١٢٦٠ م . (١) . ولما علم جوليان صاحب صيدا (٢) بقرب وصولهم أمتطى جواده واتجه نحو باب المدينة وحاول منعهم من الدخول . فأقام وسائل الدفاع اللازمة لسد الباب لإعاقة دخولهم . وفى نفس الوقت سهل تهريب عدد كبير من أهالى المدينة إلى قلعة البحر الواقعة فى جزيرة شمال المدينة للأختفاء فيها وذلك بمساعدة سفينتين تابعتين للجنويه قدمتا من صور فى ذلك الوقت بقيادة فرنسيسكان دى جريمو (٣) وهما فى طريقهما نحو أرمينيا . بينما أختبأ عدد كبير من سكان المدينة مع جوليان فى القلعة البرية . وقد تمكن المغول بعددهم الكبير من دخول المدينة وتحطيم أسوارها

---

(١) تقابل سنة ٦٥٩ هـ .

(٢) حكم فى الفترة من ١٢٣٩ حتى ١٢٦٠ م (٦٢٧ — ٦٥٩ هـ)،

(٣) ايطالى الجنسية ، وقد ساعد القديس لويس كثيرا أثناء اقامته فى الشام اذ أجر له عام ١٢٥٣م / ٦٥٢ هـ بعض البحارة الايطاليين لسفينته انظر:
Les Gestes des Chiprois, Cf. R. H. C. - Doc. Arm., t, II, p. 254.

وقتلوا كثير من الأهالى الذين لم تتح لهم فرصة الاختفاء والهرب إلى إحـدى القلعتين المذكورتين . ولم يهاجم المغول القلعة البرية . وقد تركوا المدينة أنقاضا وخرائب . واضطر جوليان صاحب صيدا بعد هذه الغارة الوحشية إلى بيع المدينة إلى جماعة الفرسان الداوية لإفتقاده إلى الأمكانيات اللازمة لإعادة بنـاء ترميم المدينة من جديد .

الملحق الخامس

النص الكامل للهدنة المبرمة بين السلطان المنصور قلاوون وحكام صيدا وعثليت عام ١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ نقلا عن مخطوطة «تاريخ الدول والملوك» لابن الفرات (١).

« في يوم الخميس خامس شهر ربيع الاول من هذه السنة (٢) جرت الهدنة بين الملك المنصور قلاوون وبين الحكام بعكا وصيدا وعثليت على ماتقرر بينه وبينهم في شرحها وصورتها .

أستقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبي الفتح قلاوون الملكي الصالحي وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين على خلد الله سلطانهما وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليت وبلادها التي إنعقدت عليها هذه الهدنة وهم السنجال أودكفيل المملكة بعكا (٣) وحضرة المقدم الجليل أفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الداوية وحضرة المقدم الجليل أفرير نيكول للورن مقدم بيت الإسبتارية (٤) ء لمدة عشر سنوات كاملة وعشرة أيام

---

(١) انظر : نسخة مصورة للمخطوطة تحت رقم ٢١٩٧ تاريخ بدار الكتب ج ١٤ لوحة ٨٨ — ٩٥ .

(٢) توافق ٣ يوليو ١٢٨٣ م.

(٣) يقصد به أودو بو الشيان Odo - Boflechien وهو نائب عن ملك مملكة البيت المقدس بالشام شارل الانجوى.

(٤) يقصد بالأول Guillaume se Beaujeu . وقد حكم صيدا من ١٢٧٣ حتى ١٢٩١ م (٦٧٢ — ٦٩٠ هـ) أما كلمة أفرير معناها أخ بالفرنسية Frere . ويقصد بالثاني Nicholas Le Lorgne

وعشر ساعات أولها يوم الخميس خامس ربيع الاول سنة اثنين وثمانين وستمائة الموافق الثالث من حزيران سنة أربع وتسعين وخمسمائة بعد الالف للاسكندر (١) ، على جميع بلاد السلطان وولده وهي التي في مملكتهما وتحت حكمهما وطاعتهما وتحد به يدهما من جميع الاقاليم والممالك والقلاع والحصون والاعمال والمدن والقرى والمزارع والاراضي، وهي مملكة الديار المصرية وما بها من الثغور والقلاع والحصون الاسلامية وثغر دمياط وثغر الاسكندرية وثغر رشيد والبلاد الحجازية وغزة والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها والبحرى وأعمالها ومملكة بلاد الخليل عليه السلام ومملكة القدس وأعمالها والاردن وبيت لحم وأعماله وبلادها وعسقلان وأعمالها وموانيها وسواحلها ومملكة يافا والرملة وميناتها وقيسارية وجميع ماهو داخل فيها ومحسوب منها وبيت جبريل ومملكة نابلس وأعمالها وميناتها وسواحلها وأعمالها وأرسوف وأعمالها واللد والرملة وغيرها من البلاد الاخرى التي لم تعين في هذه الهدنة .

وعلى جميع العسكر والرعايا من سائر الناس على أختلاف أجناسهم وأديانهم القاطنين فيها والمترددين اليها ومنها من سائر بلاد المسلمين ، وعلى جميع التجار والسفار المترددين اليها في البر والبحر والسهل والجبال في الليل والنهار — أن يكونوا آمنين مطمئنين في حالتي صدورهم وورودهم على أنفسهم وأموالهم وأولادهم وبضائعهم وغلمانهم وأتباعهم ومواشيهم ودوابهم وعلى جميع مايتعلق بهم وكل ماتحوى أيديهم من سائر الاشياء على إختلافهم وعلى جميع مايتعلق بهم من الحكام بعكا وذكرما قدمنا سرده من أسمائهم ومن الفرنج والفرسان الداخلين في طاعتهم وتحويه مملكتهم الساحلية ، ومن جميع الفرنجة على

(١) يلاحظ أنه استخدم هنا التقويم الاسكندري المقدوني بدلا من التقويم الجريجوري أي الميلادي .

إختلافهم الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة فى الهدنة وكل واصل اليها فى البر أو فى البحر على أختلاف أجناسهم وأنهم لاينال بلاد السلطان الملك المنصور وولده ولاحصونهما ولاقلاعها ولا بلادهما ولاضياعهما ولا جيوشهما ولا عربانهما ولا تركمانهما ولا أكرادها ولارعاياها ولا ماتحويه أيديهم من المواشى والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم بغدر ولا سوء، ولا يخشون من جهتهم أمرا ولاغارة ولاتعرضا ولا أذية . وكذلك كل ما سيفتحه ويضيفه السلطان وولده على يدهما وعلى يد نوابهما وعساكرهما من بلاد وحصون وقلاع وأعمال وولايات برا وبحرا سهلا ووعرا . كذلك جميع بلاد الفرنج التى أستقرت عليها هذه الهدنة وهى مدينة عكا وبساتينها وأرضيها ومالها من حقوق حولها من وما تعزوها من بلاد فى هده الهدنة . ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصا المنصورة وباقى بلاد الكرمل ثلاث عشرة ناحية للفرنج ، وعثلت القلعة والمدينة والبساتين ، والكروم وفلاحتها وأرضيها تكون لها ويكون لها من البلاد ست عشر ناحية ويكون خاصا لمولانا السلطان مايذكره . وهو قيسرية بكمالها وحقوقها ومزارعها وبقية بلاد عثليت تكون مناصفة خارجة عما اختاص الشريف وعما لخاص عثليت يكون مناصفة . وفلاحة الاسبتار (١) بعمل قيسارية تكون خاصا للفرنج بمافيها وكذلك نصف مدينة اسكندرونة ،وما عدا ذلك يكون خاصا للسلطان . ومهما كان فى الاسكندرونة من الحقوق والغلة يكون مناصفة وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب اليها يكون خاصا للفرنج ويكون لها من البلاد خاصا خمس عشر ناحية

---

(١) المقصود جماعة الفرسان الاسبتارية .

وما فى الوطأة (١) من أنهار ومياه وعيون وبساتين وطواحين وقنى ومياة جارية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى أراضيهم ، يكون خاصا لهم وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان وولده . وتكون جميع هذه البلاد وما عين فى هذه الهدنة المباركة من البلاد الساحلية آمنه من السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح وآمنين من عساكرها وجنودها وتكون هذه البلاد الداخلية فى هذه الهدنة المباركة الخاص منها وما هو مناصفة مطمئنين هى ورعاياها والقاطنين بها والمترددين عليها من جميع بلاد الفرنجة والتجار والسفار والمترددين منها واليها فى بر وبحر فى ليل ونهار وسهل وجبل آمنين على النفوس والمال والمراكب والداب وجميع ما يتعلق بهم وكل ما ماتحويه أيديهم من أشياء على إختلافها من السلطان وولده من جميع من هو يجب عليه طاعتها ، لا ينالهما ولا ينال هذه البلاد المذكورة التى أنعقدت الهدنة عليها سوء ولا ضرر ولا غارة . ولا ينات أحدي الجهتين المذكورتين الاسلامية أو الفرنجة من الاخرى ضرر ولا أذية . ويكون ما تقرر خاصة للفرنج حسبما بين أعلاه لهم ، وما تقرر أن يكون للسلطان وولده يكون خاصا لها والمناصفات ، الا ما شرح فى هذه الهدنة وعين فيها من البلاد . وعلى أن الفرنج لايحدون فى غير عكا وعثليت وصيدا ماهو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات سورا ولا قلعة ولا برجا ولا حصنا ولامستجدا . وعلى أنه متى هرب أحد من كان ببلاد السلطان وولده إلى عكا والبلاد الساحلية المعنية فى هذة الهدنة وقصد الدخول فى دين النصرانية وتنصر بأرادتة يرد جميع ما يروح معه ويبقى عريانا . وإن كان ما يقصد الدخول فى دين النصرانيه ولا يتنصر رد إلى أبوابها العايا بجميع ما يروح معه بشفاعة معه بعد أن يعطى

---

(١) يقصد بها السواحل

الامان . كذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة وقصد الدخول في دين الإسلام وأسلم بأرادته يرد جميع ما معه ويبقى عريانا، وأن كان ما يقصد الدخول في دين الاسلام ولا يسلم يرد إلى الحكام بعكا بجميع ما يروح معه بشفاعة بعد أن يعطي الامان . وعلى أنه أذا وجد صحبة أحد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين وغيرهم على أختلاف أديانهم وأجناسهم شيىء من الممنوعات بعكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة مثل السلاح وغيره تعاد على صاحبه الذى اشتراه منه ويعاد اليه ثمنه ولا يؤخذ ماله أستهلاكا ولا يؤذى بسبب ذلك لاهو ولا ماله . وكذلك اذا طلع تجار الفرنج من عكا وبلاد الساحل الداخلة في هذة الهدنة الى البلاد الساحلية الداخلة في هذه على اختلاف أجناسهم وأديانهم ووجد معهم شيىء من الممنوعات مثل عدة السلاح وغيرة يعاد على صاحبه الذى اشتراه منه ويعاد اليه الثمن ويرد ولا يؤخذ ماله إستهلاكا ولا يؤذى . وللسلطان ولولده أن يفصلا فيمن يخرج من بلادها من رعيتهما على أختلاف أجناسهم وأديانهم بشيء من الممنوعات ، وكذلك كفيل المملكة بعكا والمقدمون لهم أن يفصلوا في رعيتهم الذين يخرجون بالممنوعات من بلادهم الداخلة في هذه الهدنة . وعلى أنه متى أخذت أخيذة[1] من الجانبين، أو قتل قتيل من الجانبين على أى وجه كان والعياذ بالله ، ردت الاخيذة بعينها أن كانت موجودة أو قيمتها إذا كانت مفقودة والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من جنسه فارس بفارس ورجل برجل وفلاح بفلاح . فأن خفى أمر القتيل والاخيذة كانت المهلة في الكشف أربعين يوما ، فأن ظهرت الاخيذة أو تعين

---

(١) المقصود بها الشيء المأخوذ انظر القاموس المحيط جـ١ ص ٣٥٠ .

أمر القتول ردت الاخيذة بعينها ، ويكون العوض عن القيل بنصيرة . وإن لم تظهر كان والى المكان المدعى عليه وثلاثة أنفار يقع أختيار المدعى عليهم من تلك الولاية . وإن أقتنع الوالى عن اليمين حلف من الجهة المدعية ثلاثة أنفار تختارهم الجهة الاخرى وأخذ ت قيمتها . وإن لم ينصف الوالى ولا رد المال أنهى المدعى أمره إلى الحكام من الجهتين ، وتكون المهلة بعد الأنهاء اربعين يوما ويلزم الولاه من الجهتين بالوفاء بهذه الشروط ومتى أخفوا قتيلا او اخيذة أقدروا على اخذ حق ولم يأخذه كل واحد فى ولايته يتعين على الذى يوليه من ملوك الجهتين إقامة السياسية فيه . من أخذ الروح والمال والنسبق والانكار العام على من يتعين عليه الانكار ، اذا فعل ذلك في ولايته وأرضه . وإن هرب أحد بمال وإعترف ببعضه وأنكر ما ادعي عليه لزم ان يحلف انه لم يأخذ سوى مارده ، فأن لم يقنع المدعي بيمين الهارب حلف والى تلك الولاية آنه لم يطلع على آنه وصل معه غير مارده . وإذا أنكر أنه لم يصل اليه شيء . وعلى أنه إذا انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده التى انعقدت عليها الهدنةورعيتها من المسلمين وغيرهم على أختلاف اجناسهم وأديانهم فى ميناء عكا وسواحلها والبلاد الساحليه التى انعقدت عليها هذه الهدنة ، كان كل من فيها آمنا على الانفس والاموال والمتاجر ، وان عدموا بموت أو غرق فتحفظ لهم أموالهم وتسلم لنواب السلطان . وكذلك المراكب المتوجهةمر هذه البلاد الساحلية الفرنجية المنعقد عليها الهدنـــة للفرنج يجرى لها مثل ذلك في بلاد السلطان وولده ويحتفظ بوجودها ان لم يكن صاحبها حاضر إلى انـــ يسلم لكفيل المملكة او المقدمين . ومتي توفى أحد من التجار المترددين الصادرين والواردين على أختلاف أجناسهم وأديانهم من بلاد السلطان وولده فى عكا وصيدا وعثليث والبلاد الساحلية الداخلة في الهدنة ، تحفظ على ماله إلى أن

يوصل ثوابهما . وكذلك التجار الصادرين والواردين من صيدا وعكا وعثليث اذا توفى أحدهم فى بلاد المسلمين تحفظ أموالهم إلى حين يسلم إلى كفيل المملكة بعكا والمقدمين . وعلى أن شوانى (١) السلطان وولده اذا عمرت وخرجت لا لاذيه من البلاد الساحلية التى أنعقدت عليها هذه الهدنة . ومتى قصدت هـــذه الجهات وكان صاحب تلك الجهات معاهداً للحكام بمملكة عكا فلا تدخل الى البلاد التى أنعقدت عليها هذه الهدنة ولا تتزود منها . وإن لم يكن صاحب تلك الجهات التى تقصدها الشوانى معاهدا للحكام بمملكة عكا والبلاد التى انعقدت عليها الهدنة فلها أن تدخل إلى بلادهـا وتتزود منها . وإذا تكسر شيىء مـن من هذه الشوانى والعياذ بالله فى ميناء من (موانى هذه البلاد التى انعقدت عليها الهدنة وسواحلها ، فان كانت قاصدة من له مع مملكة عكا ومقدميها عهـد ولم يكن لهم معهم عهد ، فيلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت (٢) حفظها وتمكن رجالهـا من الزوادة (٣) وأصلاح ما إنكسر منها والعودة إلى البلاد الاسلامية ويبطل حركة ما ينكسر منها والعياذ بالله هذا واذا كانت قاصـدة بلاد من له مع مملكة عكا ومقدميها عهد فان لم يكن لها معهم عهد فلها أن تتزود وتعمر رجالها من البلاد المنعقد عليها الهدنة وتتوجه إلى الجهة المرسوم لهـا بصدها ، ويعتمد هذا الفصل من الجهتين . ومتى تحرك أحد ملوك الفرنجيـة وغيرهم من جو البحر بقصد الحضور لحضرة السلطان وولده فى بلادها المنعقد عليها هذه الهدنة ، فيلزم نائب المملكة والمقدمون أن يعرفوا السلطان وولده بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد الاسلامية الداخلة فى الهدنة بمدة شهرين وأن

---

(١) شوانى جمع شينية وهى نوع من السفن .

(٢) المقصود جماعة الفرسان الداوية والاسبتارية .

(٣) المقصود هو التزود بالزواد والقوت .

وصلت بعد إنقضاء الشهرين فيكون كفيل المملكة والمقدمون بريئين من عهدة اليمين فى هذا الفصل . ومتى تحرك عدو من جهة أكبر من التتار وغيرهم فأى من سبق اليه الخبر من الجهتين يعرف الجهة الاخرى بما أسبق اليه وعلى انه ان قصد بلاد الشام عدد من التتار وغيرهم فى البر أو فى البحر وكانت عساكر السلطان تمر من قدام العدو ووصل إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة وقصدها بمضرة ، فلكفيل المملكة والمقدمين أن يردوا عن نفوسهم ورعيتهم وبلادهم بما يصل قدرتهم وإن حصل والعياذ بالله جفل(١) من البلاد الاسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة ، فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمون بها حفظها والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر . وعلى أن نائب المملكة والمقدمين بها يوصون من سائر البلاد الساحلية التى وقعت الهدنة عليها أنهم لا يمكنون الحرامية فى البحر من الزوادة من عندهم . وإن ظفروا بأحد منهم يمسكونه وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كفيل المملكة والمقدمون بها حتى يظهر وتسلم اليه كذلك الحال عند السلطان وولده : وعلى إن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة كل من عليه مبلغ أو غلة فيقسم والى ذلك المكان منه الرهينة ويقسم المباشر والكاتب فى وقت واحد هذا الشخص رهينة عليه كذا وكذا من درهم أو علف أو بقرا وغيره . فأذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدام نائب السلطان وولده على ذلك يقدم أهل الرهينة عنه بما انفرنج عليه ويطلقونه . وأما الرهائن الذين أخذوا منسوبا إلى الجفل والاخشاء أنهم لا يهربون إلى البلاد

---

(١) المقصود بها التحرك أو الهجرة . أنظر القاموس المحيط جـ ٣ ص ٤٣٩ ، الطبعة الرابعة عام ١٩٣٨ .

الاسلامية ،ويمتنع الولاة المباشرون من اليمين عليهم ، فأولئك يطلقون . على أن ينادى في البلاد الاسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة في الهدنة على فلاحي بلاد المسلمين يعودوا إلى بلادهم مسلما كان أو نصرانياً ومن لم يعد بعد المناداة يطرد من الجانبين التي انعقدت عليها الهدنة . ولا يمكن فلاحي بلاد المسلمين من المقام في بلاد الفرنج ولا فلاحون بلاد الفرنج من المقام في بلاد المسلمين ، ويكون عودة الفلاح من جهة إلى أخرى بأمان .

وعلى أن تكون كنيسة الناصره وارد مع بيوت من أقرب البيوت اليها لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب كبيرهم وصغيرهم على اختلاف أجناسهم من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة . ويلزم كفيل المملكة بعكا مقدمي البيوت بها . حكام عكا والبلاد الساحلية والداخلة في هذه الهدنة القيام بما تضمنه هذه الهدنة من الشروط جميعها شرطاً شرطا وفصلا فصلا ، والعمل بأحكامها والوقوف عند شروطها إلى انقضاء مدتها ويفي كل منهم بماحلف به من الايمان المؤكدة من أنه يفي بجميع ما في هذه الهدنة على ما حلوا به . وتستمر هذه الهدنه المباركة بين السلطان وولده وأولادهما وأولاد أولادهما وبين الحكام بمملكة عكا وعثليث ، لاتتغير بموت أحد ملوك الجهتين ، ولا ولا بتغيير مقدم وتولية غيره ، بل تستمر على حالها الى آخرها وانقضائها بشروطها المحررة وقواعدها المقررة كاملة تامة . وعلى جميع ذلك وقع الرضا والصلح والاتفاق وحلف عليها من الجانبين والله الموفق .

الملحق السادس

بيان بأسماء بارونات صيدا ومقدمى الداوية الذين تولوا أمرها منذ الاستيلاء عليها الى حين سقوطها فى قبضة المماليك البحرية .

اولا : اسرة يوستاش جارنييه :

يوستاش جارنييه (١١١٠ – ١١٢٣م /٥٠٤ – ٥١٧ هـ)
Eustachius Garnier

جيرارد بن يوستاش (١١٢٤ – ١١٥٤ م / ٥١٨ – ٥٤٩هـ) Gerardus

رينالد بن جيرارد (١١٥٤م – ؟ /٥٤٩ هـ) (١) Rinardus

باليان بن رينالد (١٢١٠ – ١٢٢٩ م/ ٦٠٧ – ٦٢٧هـ) Balianus

جوليان بن باليان (١٢٣٩ – ١٢٦٠ م/ ٦٣٧ – ٦٥٩هـ) Julianus

ثانيا : مقدموا الداوية

توماس بيرارد (١٢٦٠ – ١٢٧٣ م/ ٦٥٩ – ٦٧١هـ)
Thomas Bérard

وليم دى بوجى (مايو ١٢٧٣ – مايو ١٢٩١م/ شوال ٦٧١ – جمادى الأولى ٦٩٠) Guillaume de Beaujeu

ثيبوجود (مايو ١٢٩١ - يوليو ١٢٩١ م / جمادى الأولى ٦٩٠ – رجب ٦٩٠ هـ) Thibaud Gaud

---

(١) غيرمعروف تاريخ وفاته ، ولكن لا شك أنه توفى بعد اكتوبر ١١٩١ م / رمضان ٥٨٧ هـ لانه فى هذا العام حدثت مباحثات ومفاوضات بينه وبين صلاح الدين انظر ماسبق .

قائمة المصادر والمراجع

- بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في حواشى الكتاب
- مجموعات الحروب الصليبية.
- المخطوطات والمصورات العربية.
- المصادر الأصلية الأوروبية.
- المصادر الأصلية العربية.
- المراجع الثانوية الأوروبية.
- المراجع الثانوية العربية والمعربة.
- المعجم والموسوعات.

بيان بالمختصرات
الوارد ذكرها في حواشي الكتاب

A. O. L.	— Les Archives de l'orient latin.
Cam. Med. Hist.	— Cambridge Medieval History.
Ency. of Islam.	— Encyclopaedia of Islam.
Ency. of Places.	— Encyclopaedia of Places.
Inter. Ency.	— International Encyclopaedia.
Chamber's Ency.	— Chamber's Encyclopaedia.
R. H. C. - H. occ.	— Recueil des Historiens des Croisades-Historiens occidentaux.
R. H. C. - Doc. Arm.	— Recueil des Historiens des Croisades Documents Armeniens.
R.H.G.F.	— Recueil des Historiens des Gaules et de — la France.
R. O. L.	— Revue de l'orient Latin.
J.A.	— Journal Asiatique.

(١)

مجموعات الحروب الصليبية

Recueil des Historiens des Croisades, Publié par les soins de L'Academie des Inscription et Belles-lettre, in 16 huge Vols., Paris. 1841-1906:

1 — Historiens Occidentaux, 5tomes.)1847-1805);

II - Historiens Orientaux (Arabes), 5tomes (1872-1906);

III - Historiens Grecs, 2tomes (18 5-1881);

IV - Documents Armeniens, 2tomes (1869-1906);

V - Lois, 2tomes (1841-1843).

Recueil des Historiens des Gaules et de la France, 24Vols. Paris, 1738-1981.

Les Archives de l'Orient Latin, publiées par la societé de l'orient Latin 2Vols., Paris, 188' et1887. Textes, Iventaires, et études Originales.

Palestine Pilgrims, Text Society, 13Vols. and general Index, London, 1887-1897.

Revue del'Orient Latin, Publiée sous La direction de M.M. le Marquis de Vogué et Ch. Schefér. Paris, 1893-1911.

(٢)

المخطوطات والمصورات العربية (١)

الكتاب المقدس — بيروت ١٩٥١ .

ابن العديم (ت ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧ م) كمال الدين أبي حفص عمر بن أحمد بن هبة الله ·

١ - بغية الطلب فى تاريخ حلب - دار الكتب المصرية - رقم ١٥٦٦ ح ، تصوير شمسى.

٢ - زبد الحلب فى تاريخ حلب - مكتبة البلدية بالاسكندرية - رقم ٣٥٥٤ ر - ٣ اجزاء - تصوير شمسى .

ابن الفرات (ت ٩٠٧ هـ/ ١٥٠٩ م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم :

تاريخ الدول والملوك - دار الكتب المصرية - رقم ٣٢٩٧ تاريخ ، تصوير شمسى.

ابن أيبك (ت ٧٣٢ هـ / ١٢٣١ م) أبو بكر بن عبد الله :

١ - كنز الدرر وجامع الغرر - ٩ ج - دار الكتب المصرية - رقم ٤٦٦٣ تاريخ ، (تصوير شمسى) .

٢ - درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان - مكتبة البلدية بالاسكندرية رقم ٣٨٢٨ ح ، (نسخة خطية).

ابن بهادر (عاش فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى) محمد بن محمد بن بهادر :

فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر - دار الكتب المصرية - رقم ٢٣٩٩ تاريخ ، (تصوير شمسى).

---

(١) أشرنا فى حواشى الكتاب الى المخطوطة بـ (ورقة) والمصورة بـ (لوحة) والمطبوع بـ (صفحة تمييزا لكل منهم).

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو حسن يوسف :
المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — ٥ ج — دار الكتب المصرية رقم ٢٣٥٥ تاريخ ، نسخة خطية .
ابن دقماق (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٧ م) صارم الدين ابراهيم بن محمد :
١ — نزهة الأنام فى تاريخ الأسلام — دار الكتب المصرية رقم ١٧٤٠ تاريخ ، « تصوير شمسى » .
٢ — الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والسلاطين — دار الكتب المصرية — رقم ١٥٠٢ تاريخ ، « تصوير شمسى » .
ابن قاضى شهبة (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) بدر الدين أبى الفضل محمد بن أبو بكر :
الدر الثمين فى سيرة نور الدين — مكتبة البلدية بالاسكندرية — رقم ١٣٣٦ ب ، « نسخة خطية » .
أبو شامه (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين :
الذيل على الرضتين — ٣ ج — مكتبة البلدية بالاسكندرية — رقم ٣٥٠٣د ، « تصوير شمسى » .
الإدريسى (غير معروف تاريخ وفاته) الشريف محمد بن عبد العزيز :
نزهة المشتاق فى ذكرى الامصار والاقطار والجزر والمداين والآفاق — مكتبة البلدية بالاسكندرية — رقم ٣٦٢٤ب ، « نسخة خطية » .
الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن أبو بكر :
البستان الجامع لتواريخ أهل زمان — جامعة الدول العربية — رقم ٢٨٧ تاريخ « ميكروفيلم »

الحريري (عاش في القرن الثالث عشر الميلادي / القرن السابع الهجري) أحمد بن علي :

الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين ـ دار الكتب المصرية برقم ٢٢٨٦ تاريخ تيمور ، « تصوير شمسي » .

الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٠٨ م أبو عبدالله محمد بن أحمدين :

تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ـ بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٦تاريخ ، « تصوير شمسي » .

العيني (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) بدر الدين أبو محمد محمد بن أحمد بن موسى :

عقد الجمان في تاريخ أهل زمان ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ١٥٨٤ تاريخ ، « تصوير شمسي » .

النويري الكندي : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب :

نهاية الأرب في فنون الأدب ـ ٥٥ مجلد ـ دار الكتب المصرية ـ رقم ٥٤٩ معارف عامة ، « تصوير شمسي » ـ

النويري السكندري (عاش في القرن ١٤ م / ٨ هـ) محمد بن قاسم :

الالمام بما جرت به الاحكام المقضية في واقعة الاسكندرية ـ مكتبة كلية الآداب بالاسكندرية رقم ٧٢٧ م ، ز « تصوير شمسي » .

النابلسي (عاش في أوائل القرن ١٨ م / أوائل القرن ١٧ هـ) عبد الغني :

الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز ـ بمكتبة البلدية بالاسكندرية ـ رقم ٣٥٩ ت ، « نسخة خطية » .

مرعي المقدسي (عاش في القرن ١١ هـ / ٧ م) :

نزهة الناظرين فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين ـ بمكتبة البلدية برقم ١٤١٦ ح ، « نسخة خطية » .

مؤلف مجهول : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ـ مكتبة جامعة الدول العربية ـ برقم ٢٩٤ تاريخ ، « ميكروفيلم » .

(٣)
المصادر الأصلية الأجنبية

Albert d'Aix, Historia Hierosolymitana. Ed.R.H.C.-H. Occ., t.IV, Paris, 1879, pp. 265-713.

Ambroise, The Cruade of Richard Lion-Heart. Translated from old French by M.J. Hubert, New-York, 1941.

Annales de Terre Sainte (1095-1291), Publiées par R.Rohericht et G.Raynaud, in A.O.L., t.II.pp.427-461.

Anonymous, Li Estoire de Jerusalem et d'Antioche. Ed. R.H.C.-H. Occ., t.V. Paris, 1869, pp 623-648.

Anonymous, Incipit Quedamb Itinerarium Terre Sancte Promimissonis. Cf.R.O.L., t.XIII 1917, pp. 1-70.

Anonymous, Historia Hieresolimitana. Ed.R.H.C.-H. Occ., t.IV, Paris, 18 9,pp.549-586.

Anonymous, Gesta Francorum Expugnantium Iherusalem, Ed.R.H. C.-H. Occ., t.III, Paris, 1866, pp. 490-543.

Baldrici, Historia Jerosolimitana. Ed R.H.C.-H. Occ., t.IV, Paris, 187 , pp.4-111.

Burchard of Mount Sion, A Description of the Holy Land (A.d. 1289), translated from the Original Latin by Aubrey. Stewart. London, 1896. Cf. Palestine Pilgrims, Text Society, XII, pp 1-136

Chronique de Terre Sainte, Les Gestes Chiprois. Ed.R.H C.- Doc. Arm., t.II, Paris, 1969, pp. 623-871.

Clary, R., The Conquest of Constantiuople.

وقد رجعنا إلى الترجمة العربية لهـذا الكتاب تحت اسم « فتح القسطنطينية على يدالصليبين » ترجمة الدكتور حسن حبشي ـ القاهرة ١٩٦٤ .

Desimoni Cornelio, AL'Aias et A Beyruth Cf. A.O.L., t.I, Paris, 1884, pp.439-440.

Documents Relatifs a la Successibilité au Toren et a la Regence, Cf Assises de Jerusalem, t.II, Peris, 1843, pp. 395-422.

Eracles, L'Eracles et Empereur et la Conaues des la Terre d'Outre mer, Ed R.H.C. H. Occ., t.II, Paris, 1859, pp. 1-481.

Foucher de Chartres, Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium (ab annel 1095 que ad annaum 1127). Ed.R.H.C.-H. Occ., t.III, Paris, 1866, pp. 311-485.

Gotfridi, Anonymo nhenani Historia et Getsa ducis Gotfridi. Ed. R.H.C.-H. Occ., t.V, Paris, 1969, pp. 439-520.

Guillaume de Tyr, Historia Rerum inpatibus transmarinis Gestarum, Ed.R.H.C.-H. Occ, t.I, Paris, 1879, pp. 90-1150.

Guillaume de Nangis, Vie de Saint Louis ed. R.H.G.F., t.XX; Paris, 1840, pp. 313-46 .

Hayton, La Flor des Estoires de la Terre d'Orient. Ed. R.H C - Doc. Arm., t II, Paris, 1864, pp. 55-362.

Hethoum, Comt de Geriges, Table Chronilogique. Ed.R H.C.-Doc. Arm.; t.I, Paris, 1869 pp. 471-490.

Jaques d'Ibelin, Livre de Jaques d'Ibelin, Cf. Assises de Jerusalem, t.I, Paris, 1843, pp. 453-571,

Jean d'Ibelin, Livet de Jean d'Ibelin, Cf. Assises de Jerusalem, t. I, Paris, 1841, pp 1-432.

Joinville, Jean de, Histoire de Saint Louis, Texte Originale du XIV e Siècle, accompagne d'une traduction en Francais Moderne par M.Natilis de Wailly. Paris, 1874.

رجعنا للترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم مذكرات جوانفيل : لويس ـ حياته وحملاته على مصر والشام ـ ترجمة د. حسن حبشي ـ القاهرة ١٩٦٨ .

Les Lignage d'Outremer, Cf. Assises de Jerusalem, t.II, Paris, 1843, pp. 435-474.

Ludolph, Von Sochem,s, Description of the Holy Land, London; 1895, Cf. Palestine Pilgrims: Text Society.

Matthew of Westminister, The Flowers of History, 2Vols, London, 1853.

Mattieu d'Extraits de la Chronique: Ed.R.H.C.-Doc, ARM., t.I, Paris, 1869, pp. 3-150.

Michel le Syrien, Extrait de la Chronique de Micgel le Syrien, Ed.R H.C.-Doc. Arm., t.I, Paris, 1869, pp. 309-409.

Monitum, Historia Nicenaevel Antiochena Necnon Jerosolymitana. Ed.R H.C.-H.Occ., t.V, Paris,1969, pp. 139-185.

Philippe de Navarre, Livre de Philippe de Navarre. Cf. Assises de Jertsalem, t.I, Paris, 1843, pp 572-607.

Polo, Marco, The Travels of Marco - Polo the Ventien, London, 1970.

Roger of Wendover, Flowers of History, 2Vols, London, 1849.

Rothelin, Continuation de Guillaume de Tyr dite du Manuscrit de Rothelin (1221-1261). Ed.R.H.C.-H. Occ., t.II, Paris, 1859, pp. 489-639.

Sanuto Marino Secrets for the Crusadeus to help them to recover the Holy Land, Written in A.D 1321, translated by A. Stewart, London, 1886. Cf. Palestine Pilgrims Text Society., t.XIV pp. 1-73.

Ville Hardouin, The Conquest of Constantinople, London. 1873.

(٤)
المصادر الاصلية العربية

ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٤ م) أبو الحسن بن ابى الكرم الملقب عز الدين :

١ - الكامل فى التاريخ - ١٠ ج - القاهرة ١٣٠١ هـ / ١٨٨٢ م .

٢ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل - تحقيق عبد القادر طليمات - القاهرة ١٩٦٣ .

ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله :

مهذب رحـــلة بن بطوطة المسماه تحفة المنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - ٢ ج - القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٣٧ .

ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - ٩ ج - القاهرة ١٩٤٢ .

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسى :

رحلة ابن جبير - نشر وليم برانت - ليدن ١٩٠٧ .

ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ / ٣٠٧ م) جمال الدين ابى الفرج عبد الرحمن :

تلبيس أبليس - القاهرة ١٩٧٨ .

ابن الجوزى « سبط » (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م) أبو المظفر شمس الدين يوسف :

مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان - جـ ٨ - حيدر أباد ١٩٥١ .

ابن حوقل (عاش فى القرن الرابع هـ / القرن العاشر م) ابن القاسم النصيبي :

صورة الأرض - ليدن ١٩٣٨ .

ابن خلدون (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) عبد الرحمن محمد :

العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر - ٧ ج - بيروت ١٩٦٨ .

ابن خلكان (ت ٦٨٠ هـ / ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس أحمد :

وفيات الأعيان ـ ٦ ج ـ القاهرة ١٩٤٨ ـ ١٩٤٥ .

ابن الشحنة (ت ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م) أبو الفضل محمد بن الشحنة الحلبي :

الدر المنتخب في تاريخ حلب ـ بيروت ١٩٠٩ .

ابن شداد (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٩ م) القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف :

النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروفة بسيرة صلاح الدين ـ تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ـ القاهرة ١٩٦٤ .

ابن العبري (٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م) غريغوريوس ابى الفرج بن آهرون الطبيب الملطي :

تاريخ مختصر الدول ـ بيروت ١٨٩٠ .

ابن الفرات (ت ٩٠٧ هـ / ١٥٠١) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم :

تاريخ ابن الفرات ـ تحقيق الدكتور حسن الشماع ـ ٣ ج ـ البصرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ .

ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد :

ذيل تاريخ دمشق - بيروت ١٩٠٨ .

ابن كثير (ت ٤٧٤ هـ / ١٣٧٣ م) عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر والقرشي :

البداية والنهاية في التاريخ ـ ١٤ ج ـ القاهرة ١٩٣٩ ـ ١٩٣٨ .

ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة ابو مظفر اسامة بن رشد :

الاعتبار ـ تحقيق فيليب حتي ـ الولايات المتحدة الامريكية ١٩٣٠ .

ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص الدين عمر :

١ ـ تتمة المختصر في اخبار البشر ـ ٢ ج ـ القاهرة ١٨٦٨ .

٢ ـ خريدة العجائب وفريدة الغرائب ـ القاهرة ١٩٣٩ .

ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) جمال الدين محمد بن سالم :

مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب — ٣ ج — نشر د. جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٥٣ — ١٩٦٠ . وج ٤ نشر د. حسنين محمد ربيع القاهرة ١٩٧٢ .

أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين :
الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية — ٢ ج — بيروت (بدون تاريخ) .

ابو الفدا (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل :
١ — المختصر فى أخبار البشر — ٤ ج — القاهرة ١٩٠٦ .
٢ — تقويم البلدان — باريس ١٨٩٠ .

الأربلى (ت ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م) عبد الرحمن سنبط بن إبراهيم بدرين :
خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك — تحقيق مكى السيد جاسم بغداد ١٩٦٤ .

الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن محمد بن حامد :
١ — الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمد محمود صبيح ، القاهرة ١٩٦٥ .
٢ — تاريخ دولة آل سلجوق — القاهرة ١٩٠٠ .

الأمير صالح بن يحيى (عاش فى النصف الأول من القرن ٩ هـ / ١٥ م) :
تاريخ بيروت — أخبار السلف من ذرية بحتر بن على أمير الغرب ببيروت — تحقيق فرنسيس هورس اليسوعى وآخرون — بيروت ١٩٦٢ .

الأنصارى الدمشقى (٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) شمس الدين ابى عبدالله محمد بن ابى طالب :
نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ليبزج ١٩٢٣ .

الحنبلي (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م) أبو اليمن القاضي مجير الدين :
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل - ٢ ج - القاهرة ١٢٨٣ .
الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان :
١ - دول الأسلام - تحقيق فهيم شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم - ٢ ج - القاهرة ١٩٧٤ .
٢ - العبر فى خبر من غبر - تحقيق صلاح المنجد - ٥ ج - الكويت ١٩٦٣ .
السبكي - (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م) تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن أبى الحسن :
طبقات الشافعية الكبرى - ٦ ج - القاهرة ١٩٠٦ .
الصفدى (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) صلاح الدين أبو الصفا خليل بن عز الدين أيبك :
الوافى بالوفيات - ج ١ - أستنبول ١٩٣١ .
العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٨٣ م) ابى الفلاح عبد الحي :
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - ٨ ج - بيروت (بدون تاريخ) .
العمرى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) شهاب الدين أبو العباس المعروف بابن فضل الله :
مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - ج ١ نشر أحمد زكى - القاهرة ١٩٢٤ .
العينى (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين :
الروض الزاهر فى سيرة الملك الظاهر - تحقيق د . هانست أرنست - القاهرة ١٩٦٢ .
القرمانى (ت ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م) ابى العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقى :
أخبار الدول وأثار الأول فى التاريخ (بدون مكان وتاريخ الطبع) .
القزوينى (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) زكريا بن محمد بن محمود :
أثار البلاد وأخبار العباد - جوتنبرج - ١٨١٨ .
القلقشندى (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) أحمد بن على بن أحمد عبد الله :

صبح الاعشى في صناعة الانشا ـ ١٤ ج ـ القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩٢٠ .
الكتبي (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣ م) محمد بن شاكر بن احمد بن عبد الرحمن فخر الدين :
فوات الوفيات ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ ٢ ج ـ القاهرة ١٩٥١ .
المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقي الدين أحمد بن علي :
١ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ الجزءان الأول والثاني إلى ٧٤١ هـ /
١٣٤١ م ـ نشرة وعلق عليه الدكتور محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة
١٩٣٤ ـ ٩٤٢ .
٢ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار ـ ٣ ج ـ القاهرة ١٣٢٤ هـ .
اليافعي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٣ م) أبي محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سيمان :
مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر من حوادث الزمان ـ ٤ ج ـ
الهند ١٩١٨ .
بنيامين التطيلي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) بن يونه النباري الأندلسي :
رحلة بنيامين ـ ترجمة عن الأصل العبري عزرا حداد ـ بغداد ١٩٤٥ م .
ناصر خسرو علوي (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) أبو معين الدين :
سفر نامة ـ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ـ القاهرة ١٩٤٥ .
ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الملقب
شهاب الدين :
معجم البلدان ـ ٤ ج ـ وفهرس ـ ليبزج ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠
مؤرخ مجهول : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع
٦ ج ـ قام بنشره ت . ج جوينبولي ـ طبع بريل

(٥)

المراجع الثانوية الاوروبية

Addison, G , The History of the Knibts Templars, London, 1842.

Anthony, J., The Crusades. Lond n, 1866.

Archer, T.A.,, The Crusader: The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem. U.S.A., 1894.

Atiya, A.S , The Crusade of the Later Middle Ages. London, 1938.

Banister, J,T., A Survey of the Holy Land. Geography, History and Destiny. London, 1843.

Besant, W. & Palmer, E., The History of Jerusalem. London, 1883.

Belloc, H., The Crusades. London, 1937.

Bréhier L., L'Eglise et L'Orient au Moyen Age. Paris, 1907.

Brook, Z.N., Methuen's History of Medieval ond Modern Europe. (from 911 to 1198),8 Vols, Lunpon, 1938

Browne, E., A Literary History of Persia, 4 Vols. Cambridge, 1591.

Burckhardet, J. Travels in Syria and tho Holy Land. London, 1822.

Calthrop, P.M., The Crusades. London, (N.D).

Campbell, G.A., The Crusades. London, 1935.

Charmes, G , Voyage en Syrie. Paris, 891.

Conder, C.R., The Latin Kingdom of Jerusalem. London, 1897.

Defrémery, M. Nouvelles Recherches sur les Ismaéliens ou Bathiniens de Syrie. Cf.J.A.5e serie, t.V, 1855, pp. 5-76.

Dodu, G.; Histoire des Institutions Monarchiques dans le Royaume Latin de Jerusalem(1099–1291). Paris, 1894.

Duruv, V., The History of the Middle Ages. New York, 891.

Dussaud, R., La Syrie Antique en Médiévale Illustrée. Paris, 1931.

Fedden, R., 1 – Syria. London, 1947.

2 - Crusaders, Casteles. London, 1950.

Franklin, G.; Palestine Depicted and Described. London, 1911.

Func-Brentano, F., Les Croisades. Paris, 1 49.

G abrieli, F., Arabe Historiens of the Crusades, London. 1963.

George, S., Incidents of Travel in Egypt, Arabia, Petrea and the Holy Land. Edenberg, 1839.

Grousset, R., Histoire des Croisades, 3 Vols, Paris 1948.

Guyard, M.S.. Un Crand Maitre drs Assassins au temps de Saladin. Cf.J A;7e. Serie. t.IX. 1877. pp. 324-439.

Hardwick, C., A History of the Christian Church Middle Age. London. 1831.

Heyd, W , Histoire du Commerce de Levant au Moyen Age 2Vols, Pafis, 1885-1886.

Hitti., P. 1— A Short History of Lebanon. New York, 1965.

2— History of Synia, London, 1 57,

3— Lebanon in History. New York, 1957.

4— History of the Arabs. London 19 7.

Iorga, N., Histoire des Croisades. Paris, 1924.

Jacob de Hoas, History of Palestine. New York, 1938.

King, E J , The Knights Hospitallers in the Holy Land. London, 1931.

L'Abbé de Vertot, Histoire de L'Ordre des Chevaliers de Malte, 7Vols, Paris, 1619.

Lacroix, P., La Chevalerie et les Croisades. Paris, 1887.

Lamb, H., The Crusades. London, 1931.

Lammens, H. La Syrie: Precis Historique. 2 Vols, Beyrouth, 1921.

LaMonte, L., 1— The World of the Middle Ages. New York, 1949.

2— Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem 1100-1291. Cambridge, 1932

Lane-Poole, St. Saladin. London, 1898.

Landone, B., The Middle Ages. 3Vols, U.S.A., 1947.

Lavisse, E. et Rambaud, A.,

Histoire Général du I Vesiécle à Nos Jours. 12Vols, Paris, 1893.

Ludlow, J., The Age of the Crusades. Edinburgh, 1897.

Maimbourg, L. Histoire des Croisades, 4 Vols, Paris, 1684.

Margoliouth, D.S., Cairo Jerusalem and Damascus. London, 1907.

Michaud, M, History of the Crusades, tr. from the Original by W. Robson., 3Vols, London, 1352.

Michelant, H. Itineraires a Jerusalem et Description de la Terre Sainte. Paris, 1882.

Michels, M., Precis de L'Histoire du Moyen Age. Paris, 1836.

Muller, W., Castles of the Crusaders, London, 1966.

Parkes, J., A History of Palestine; 135 A.D to Modern times, London, 1949.

Rey, G., Etude sur les Monuments de L'Architecture Militaire des Croisés en Syrie et dans L'Ile de Chypre. Paris, 1871.

Rohrichet, R., Le Combate: du Sultan Bibars Contre les Chretiens en Syrie. Cf.A.O.L.,t.II; pp.365-406, Paris, 1884.

Runciman, S., A History of the Crusades, 3Vols, London, 1971.

Schlumberger, G.,

1 Campagnes du Roi. Amaury ler de Jerusalem, en Egypte, au XII, Siécle. Paris, 1906.

2— Monnaie Indédité de Gèrard Comte de Sidon. Cf.A.O.L.,t.I, pp. 673-675. Paris, 1884.

Setton, K.M., (Ed) A History of the Crusades. 2 ols, Philadelphia, 1958.

Smail, R.C., Crusading Warfare (1097-1 93). Cambridge, 1956.

Stanley, P., Sinai and Palestine. London, 18 6.

Stephen, G., Incidents of Travel in Egypte, Arabia, Petrea and the Holy Land. Edenburgh, 1839.

Stephenson, C., Mediaevel History. London, 1 69.

Stevenson, W.B., The Crusaders in the East, London, 1907.

Taylor et Reybaud, L.,

La Syrie, L'Egypte, La Palestine et le Judéa, Paris, 1839.

Thomas, W., Early Travels in Palestine. London, 1849.

Thompson, J. History of the Middle Ages. London, 1931.

Treece, H., The Crusades, New York, 1964.

Tristram, H.B., The Land of Israel: A Journal of Travels in Palestine. London, 1879.

Trudon des Ormes, A Listes des Maisons du Temple en Orient et en France. Cf.R.O.L.,t.V, pp. 393-469, Paris, 1897.

Watson, C M., The Story of Jerusalem. London, 1912.

Williams, J., Knights of the Crusades. London, 1969.

(٦)

المراجع الثانوية العربية والمصرية

ابراهيم الأسود : ذخائر لبنان - بيروت ١٨٩٦ .

ابراهيم علي طرخان : النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ـ القاهرة ١٩٦٠ .

أحمد البيلى : حياة صلاح الدين ـ القاهرة ١٩٢٦ .

أحمد عارف الزين : تاريخ صيداء - بيروت ١٩١٣ .

اسامة زكى زيد (الدكتور)

الصليبيون واسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية - الاسكندرية ١٩٨٠

السيد الباز العرينى (الدكتور :

١ ـ مصر فى عهد الأيوبيين ـ القاهرة ١٩٦٠ .

٢ ـ مؤرخو الحروب الصليبية ـ القاهرة ١٩٦٢ .

السيد عبد العزيز سالم (الدكتور) :

١ ـ دراسة فى تاريخ مدينة صيدا فى العصر الاسلامى ـ بيروت ١٩٦٧ .

٢ ـ طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي - الاسكندرية ١٩٦٧ .

الأمير حيدر الشهابى : الغرر الحسان فى تواريخ حوادث الزمان ـ القاهرة ١٩٠٠ .

باركر (أرنست) : الحروب الصليبية ـ ترجمة د السيد الباز العرينى ـ القاهرة ١٩٦٠ .

جمال الدين الشيال (الدكتور) : تاريخ مصر الاسلامية ـ ٢ ج ـ القاهرة ١٩٦٧ .

جوزيف نسيم يوسف (الدكتور) :
١ ـ العدوان الصليبي على بلاد الشام ـ الاسكندرية ١٩٧١ .
٢ ـ العدوان الصليبي على مصر ـ الاسكندرية ١٩٦٩ .
٣ ـ العرب والروم واللاتين ـ الاسكندرية ١٩٦٠ .
جورجي يني : تاريخ سوريه ـ بيروت ١٨٨١ .
حسن حبشي (الدكتور) :
١ ـ الحروب الصليبية الأولى ـ القاهرة ١٩٤٧ .
٢ ـ نور الدين محمود والصليبيين ـ القاهرة ١٩٤٨ .
حسين مؤنس (الدكتور) : نور الدين محمود ـ القاهرة ١٩٥٩ .
خليل خوري : خرابات سوريا ـ بيروت ١٨٦٠ .
سعيد عبد الفتاح عاشور (الدكتور) الحركة الصليبية ـ ٢ ج ـ القاهرة ١٩٦٣ .
عبد الرحمن فهمي (الدكتور) : النقود العربية ماضيها وحاضرها ـ القاهرة ١٩٦٤ .
عمر أبو النصر : قلعة الموت « الحسن بن الصباح » بيروت ١٩٧٠ .
عمر كمال توفيق (الدكتور) :
١ ـ مملكة بيت المقدس الصليبية ـ القاهرة ١٩٤٨ .
٢ ـ المؤرخ وليم الصوري ـ مجلة كلية الآداب المجلد ٢١ لسنة ١٩٦٧ ص ١٨١ ـ ٢٠٠ .
زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي تحقيق زكي محمد حسن ، حسن أحمد محمود ـ القاهرة ١٩٦٤ .
فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ ٢ ج ـ بيروت ١٩٥٨ .
كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ـ ترجمة د. نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ـ بيروت ١٩٤١ .

هكوبلاند : الاقطاع في العصور الوسطى بغرب أوربا ـ ترجمة د. محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة ١٩٦٥ .

محمد زكي حسن (الدكتور) : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ـ القاهرة ١٩٤٥ .

محمد كرد علي : خطط الشام ـ ٦ ج ـ دمشق ١٩٢٥ .

محمد محمد مرسي الشيخ (الدكتور) : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ـ الاسكندرية ١٩٧٠ .

محمد مصطفى زيادة (الدكتور) : المؤرخون في مصر في القرن ١٥ م / ٩ هـ ـ القاهرة ١٩٥٤ .

مصطفى غالب (الدكتور) : أعلام الاسماعيلية ـ بيروت ١٩٦٤ .

ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان ـ تحقيق ملحم خليل وأندراوس حنا ـ القاهرة ١٩٠٨ .

نجيب ميخائيل (الدكتور) : مصر والشرق الأدنى القديم ـ ج ـ ج ٣ ـ الاسكندرية ١٩٦٦ .

نظير حسن سعداوي (الدكتور) :

١ ـ المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ـ القاهرة ١٩٦٢ .

٢ ـ ثلاثة من مؤرخي الحروب الصليبية ـ القاهرة ١٩٥٧ .

نعمان القسطالي: الروض الغناء في دمشق الفيحاء ـ بيروت ١٨٧٩ .

يسري الجوهري (الدكتور) : الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ـ القاهرة ١٩٧ .

يوسف الدبس : تاريخ سورية ـ ٦ ج ـ بيروت ١٩٠٢ .

(٧)
المعاجم والموسوعات

A Hand Book of Syria. Prepared by the Geographical Section of the Naval Inelligence Division. London, (N.D).

Cambridge Medieval History, 8 Vols, Cambridg. 1911-1936.

Chamber's Encyclopaedia, 14 Vols, London, 1970.

Encyclopaedia Britannica, 2ˑ Vols, London, 1868.

Encyclopaedia of Islam, 5 Vols, London, 1913-1936

Encyclopaedia of Places, London, 197ˑ.

International Encyclopaedia, 20 Vols, Canada 1970.

The Jewish Encyclopadia, ˑˑ Vols, London, 1970.

فهرس عام

(أ)

(ر)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	الأخير	قردريك	فردريك
١٣	ح٢	الأحمو	الأحمر
١٥	٦	تتزهم	تتزعم
	١١	تقبل	تقل
	ح١	ذراسة	دراسة
١٧	٧	الجالة	الحالة
	٩	الجكم	الحكم
	١٠	تقرق	تفرق
١٨	١	خاجرا	حاجزا
	٧	للشرق	الشرق
٢٢	٦	أوربا	أوربان
٢٣	١٦	المجاولات	المحاولات
	الاخير	ومجاولاته	ومحاولاته
٢٥	٩	وذلك	ذلك
	١٠	آخو	آخر
٢٧	٣	ملاخق	ملاحق
	١٤	والثالث	الثالث
٢٨	٣	قآمة	قائمة
٣١	١٠	الجكم	الحكم
٣٢	٤	بتنصيلات	بتفصيلات
	٩	(١٢٤ – ١١٥٤م/ ٥٤٨هـ	(١١٢٤ – ١١٥٤م/٥١٨هـ–٥٤٨هـ)
٣٣	١١	قاسم	بأسم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٧	٥	شيدا	شيدها
٣٨	١٣	تاويخ	تاريخ
٣٩	٢١	ضد	عند
٤٤	الأخير	اشاد	اشار
٤٧	الأول	والصراغ	والصراع
٤٨	٦	صيد	صيدا
٥٠	١١	نمت	تمت
٥١	٥	منتجات	منتخبات
٥٢	ح١	البعيده	البعيدة
		ظلى	فى
٥٣	٦	طيبة	طيبة
٥٤	١٤	الملاجظ	الملاحظ
٥٥	ح٢ سطر٤	الا اعيان	الأعيان
	ح٢ سطر ٥	دقماث	دقماق
	ح٢ سطر ٧	الجبوب	الحروب
٥٧	١٢	(٢)	(١)
	ح٢	(٣)	(١)
	ح٢ سطر ٦	الوثيات	الوفيات
٥٨	الاخير	ثناياء	ثناياه
	ح١ سطر٢	بالمصول	بالموصل
		ا اشام	الشام
٦٠	٦	لمنشأة	لنشأة
	٨	١٩٣ام	١١٩٣م

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦١	١٩	١١٩١م	١٢٩١م
٦٢	٣	فنوسن	فنيون
	١١	لسكتبى	للسكتبى
	١٦	بجيد	بجديد
٦٤	ح٢ سطر أخير	والسكشوف	والسكشوف
٦٦	ح١ سطر٢	اشماع	الشماع
٦٩	٧	لتعدد ٣	لتعدد
٧١	٤	١٠٨ م	١٠٨٨ م
٧٣	١١	اسنابها	اسبابها
٧٤	٨	أثر	أثره
	١٤	لتشغيل	لتستغل
٧٦	١٢	وانظر سوس	وأنطر سوس
	١٦	المشسكل	المشاكل
٧٧	٨	بمدينة	بالمدينة
	ح٢	(٢)	(١)
٨٧	٨	تفا نوا	تفانوا
٨٩	ح١	١٦٨	١٦٢
٩٣	ح١	*Lamente*	La Monte
١٠٣	٥	يروث	يروى
١٠٦	١٣	لانجاه	لانحاه
١١٢	٧	وفيم	وليم
١١٣	٧	مألفـه	مؤلفه
١١٣	١٦	مواق	موانى
١١٣	١٦	الواقهة	الواقية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٤	٥	دا نسيبيان	رانسيمان
١١٤	١٧	والمشترعمات	والمشتريات
١٢٥	٢	الأناده	الأفانة
١٢٦	٣	١١٤	١١٠٤
١٢٧	١	هباك	هناك
١٢٧	١٠	سرويح	سروج
١٢٩	١	أدبل	ابريل
١٣٧	١	بهيف	بهدف
١٣٧	٤	طفطتكين	طغتكين
١٣٧	٥	للتصديق	للتصدى
١٣٧	١١	اضه	أرضه
١٣٨	ح١	بلدين	بلدوين
١٤٠	٦	دخيلية	دخيلة
١٤٣	٦	نفوذه	نفوذه
١٤٢	١١	بأيدهم	بأيديهم
١٤٢	١٢	العدو للصليبى	العدو الصليبى
	١٤	غيره	غيره
	ح١	غتبر	غير
١٤٣	١٤	المسلمون	المسلمين
١٤٥	١	بعد	بعدد
	ح١	(٢)	(١)
		(١)	(٢)
١٤٦	٨	نجو	نحو
١٤٧	٤	قويب	قريب
	١٢	أنيا	أين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٩	٨	:	.
	٦	يجربون	يخربون
١٥٢	١٤	تفضل	بفضل
	١٥	الجامية	الحامية
١٥٤	١٥	تنكر	تتذكر
١٥٦	١٥	مسرج	مسرح
	٨	كثر	أكثر
	١١	لماسكة	للماسكة
	١٦	تصدم	تصطدم
١٥٧	ح١	العقات	العلاقات
	ح١	(٢)	(١)
١٥٨	١١	بت	بيت
١٦١	٣	م	تم
	٤	لوقع	لموقع
	٨	٧٣	٥٧٣
	ح١	الضافيه	الصافيه
١٦٢	٢	انوربخ	المؤرخ
	١٢	محاضيل	محاصيل
١٦٣	٢	(١)	(١)
	٧	لاذوا اثرها	لاذو على اثرها
١٦٤	١	اقاذ	انقاذ
١٦٤	٦	ولا يسمنا	ولا تسمنا
	١٠	المسلمين	المسلمين

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦٥	٦	للمعركة والحاسمة	للمعركة الحاسمة
	٨	٨٧ ام	١٨٧ ام
	١١	الاساسيات	الاساسية
	١٣	لوزجياو	لوزجنيان
١٦٧	١٥	واجتياز	واجتاز
١٦٨	٧	وأدتوا	وذاقوا
١٦٩	٢١	كلارى	كلارى
١٧٠	١٥	د٥٨٥هـ	٥٨٣هـ
	١٧	وصلت	وظلت
١٧١	١٩	سفوطها	سقوطها
١٧٥	٥	طبيعا	طبيعة
	١٢	اسرها	أمرها
١٧٦	٩	ولم	ولما
	٦	أجد	أخذ
	ح ١	وتمت بها	وهرب منها
١٧٩	ح سطر ١٦	مصاصد	مراصد
١٨٢	٨	بألون	بالمؤن
	خ ١	Copanr	Corder
١٨٣	ح ١	ابن	ابن
١٨٤	١٤	مقامه	مقاومه
١٨٥	٤	(٢)	(١)
١٨٦	٤	ولعب	ولعبت
	٨	حاو	حال
	٩	تجمر انهم	تجمهر اتهم
	ح ١	(٢)	(١)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٨٧	ح٣	Lamonte	La Monte
١٩٠	٨	وحاولوا	وحاولوا
١٩١	١١	يقوم	يقوى
١٩٢	٤	فاقشا	فناقشا
	١٢	حاثرا	حائرا
١٩٣	٤	الصليبين	الصليبيين
١٩٣	١٠	١٩٢	١١٩٢
١٩٣	١٣	صكونراد	صكونراد
١٩٣	١٩	عناصفتها	مناصفتها
	ح١ ، ح٢	الجاث	الجان
١٩٤	٥	جورسيه	جروسيه
	١١	المعاوضات	المفاوضات
	١٤	ديد	تفيد
	ح	(٣)	(١)
١١٥	٨	بالجيس	بالجيش
	٩	واحى	نواحى
	ح٢	وملى	ومن
١٩٦	٢	الفرضة	الفرصة
	٩	ضمن	ضمن
	١٥	نموجبها	بموجبها
١٩٧	٣	اذا	اذ
	٨	خ ضمتين	خاضعتين
	٩	الاستيلاه	الاستيلاء
١٩٨	٣	٦١/١٢ ٤	٦٠١/١٢٠٤

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٩٩	٣	مهم	معهم
	٦	والله	والله
		والرمله	والرمله
٢٠٠	١	اتهت	انتهت
٢٠١	١	عامسلا	عاقسلا
٢٠٣	ح	(٢)	(١)
		الكامل بمحمد	الكامل محمد
٢٠٤	١	الاسط ل	الاسطول
	٤	متد	تمتد
٢٠٥	٥	اللاذقية	اللاذقية
	ح١	33-93	338-339
٢٠٦	٦	الصرفين	الطرفين
٢١١	٢	ايديهم	ايديهم
		١١٠ م	١١١٠م
٢١٥	٥	معبسة	مقتبسة
٢١٦	١٦	بتحصيبها	بتحصينها
٢٢٠	٧	(٤)	(١)
	١٠	(١)	(٢)
	١٣	(٢)	(٣)
٢٢١	٤	الامه	التامه
٢٢٢	٣	٦٦٢٨	٦٢٨
٢٦٩	٦	صيد	صيدا
٢٧٢	١١	الخوازي	الخوارزمي

رقم الايداع : ٨٠/٤٧٤٨
الترقيم الدولى : ٧ - ٩١٦ - ٢٠١ - ٩٧٧
ISBN

مطبعة مصنع اسكندرية للكراس
محمد محمود محمد سعد
٥ شارع أديب إسحق . تليفون : ٨٠٥٨٤٧ - ٨٠٠٩١٠



